مجلة مجمع اللغة العربية

بحوث مؤتمر
الدورة الستين
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
القسم الثاني

الجزء التاسع والسبعون
جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ
نوفمبر ١٩٩٦ م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء التاسع والسبعون

جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ

نوفمبر ١٩٩٦ م

رئيس التحرير

إبراهيم الترزى

أمين التحرير

سعد توفيق

مساعدة أمين التحرير

سميرة شعلان

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بحوث :	
● العربية والتعريب فى العلوم الإنسانية بالجامعات المصرية . للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح	٩
● نبضات قلب ... ! ! قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشى	٢١
● تعريب التعليم الجامعىّ ضرورات مُلزِمة ، ومنافع مؤكَّدة ، واعتراضات مُفنَّدة للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد	٢٥
● الترجمات والمترجمون فى كتاب « الفهرست » للأستاذ الدكتور بدوى طبانة	٣٦
● نماذج من تقارض الصيغ فى مضعّف الثلاثى ومضعُّف الرباعى للأستاذ الدكتور أمين على السيد	٥٢
● حَجْر اليمامة للأستاذ عبد الله بن خميس	٩٦
● الآثار النفسية فى تعريب العلوم والإبداع . للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين	١١٢
● علم دراسة المستقبل للأستاذ الدكتور أحمد صدقى الدجانى	١٢٢

الموضوع — الصفحة

● مقامات الحريرى وإعجاز القرآن فى حوار مسيحى إسلامى فى الأندلس للأستاذ الدكتور محمود على مكى ١٣٩

● تعريب العلوم – القضية للأستاذ أحمد شفيق الخطيب ١٨١

شخصيات مجمعية :

أولاً: الاستقبال :

● كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصبّاغ للأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح إبراهيم ٢١٨

● كلمة الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصبّاغ فى حفل استقباله عضواً بالمجمع ٢٢٢

● كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقى ٢٢٩

● كلمة الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى فى حفل استقباله عضواً بالمجمع ٢٣٥

● كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب للأستاذ الدكتور سليمان حزين ٢٥٥

● كلمة الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب فى حفل استقباله عضواً بالمجمع ٢٥٨

الموضوع	الصفحة
● **ثانيا التأبين :**	
● كلمة المجمع فى تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام للأستاذ الدكتور شوقى ضيف الأمين العام للمجمع	٢٦٥
● كلمة أخرى للمجمع فى تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور كمال محمد بشر	٢٦٩
● « النجم الذى هوى » مرثية فى تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن	٢٧٨
● مرثية أخرى فى تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور حسن على إبراهيم	٢٨١
● كلمة الأسرة للأستاذة الدكتور ثريا محمد مهدى علام كريمة الفقيد	٢٨٣
● كلمة المجمع فى تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر للأستاذ الدكتور محمود حافظ .	٢٨٧
● « عاشق المجهر » قصيدة فى تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن	٢٩٤
● كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس المجمع فى تأبين المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات عضو المجمع من اليمن	٢٩٥
● كلمة المجمع فى تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى	٢٩٦

بحوث ومحاضرات

العربية والتعريب فى العلوم الإنسانية (*) بالجامعات المصرية

للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح

سبق أن ناقشنا بعض نقاط هذا البحث فى المجلس القومى المصرى للتعليم والبحث العلمى مقرونة ببحث آخر قدمه زميل جليل عن تعريب العلوم الطبيعية الحديثة . وكان من الطبيعى أن تقل مشكلات التعريب فى مجالات العلوم الإنسانية بالجامعات العربية عن مثيلاتها عن العلوم الطبيعية والتطبيقية ، بعد أن حققت اللغة العربية لأولاهما جانبا كبيرا مما تستحقه من تطوير فى مجالات الدراسة والتدريس والبحث والتأليف منذ ما قبل إنشاء الجامعات المصرية ذاتها . ومع ذلك فلا يزال يشوب أساليب مناقشاتها ومداولاتها وأحاديثها الأكاديمية والشفهية أحيانا قصور نسبى فى الالتزام بقواعد العربية الفصحى شكلا وأداءً ، وذلك بما يكاد يقلل من تأكيد صلاحيتها لمطالب العلوم الحديثة ، ويقلل من الثقة بحيويتها المتجددة ، وينعكس بالتالى على استعدادات الطلاب اللغوية ، ويضعف موقف الفكر العربى فى التعامل بها مع مضامين التطورات الحديثة ، ولو إلى حد ما .

ولا جدال ابتداءً فى أن هيئات التدريس بالجامعات المصرية وبقية الجامعات العربية حققت أطواراً لا يستهان بها فى تزكية اللغة العربية ، وفى إحياء التراث العلمى العربى بكل أبعاده ، عن طريق إعادة تحقيقه ونشره ، وتحديث معالجته ، فى دراسات مقارنة تجمع بين التأصيل والمعاصرة . كما قطعت أشواطاً لا بأس بها فى ترجمة أمهات المؤلفات والبحوث الأجنبية الرائدة ، وفى تعريب مصطلحاتها .

ولكن جرياً على خطة الدعوة دائما إلى ما هو أفضل ، ومن قبيل النقد الذاتى للجهود والتطبيقات الأكاديمية المصرية الراهنة فيما يتصل بموضوع هذه الدراسة ، يمكن القول بأنه يتحمل جانبا من تبعة العلل المعوِّقة لاكتمال المنظومة العلمية المنشودة لتعميم عربية التعليم فى الجامعات المصرية وفى غالبية أخواتها من

(*) أُلقى البحث فى الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

الجامعات الأخرى ، بعض أعضاء هيئات التدريس الجامعى أنفسهم ، كما تتحمل جوانب أخرى منها طبيعة برامج التعليم العام ، وقلة الإمكانات التحصيلية اللغوية لجموع الطلاب ، فضلا عن المستويات الثقافية المتواضعة السائدة فى المجتمع العربى المعاصر على اتساعه .

ومن الظواهر التى يمكن الاستشهاد بها من خلال الممارسات العملية فى هذا السياق ، بغير تعميم ودون تضخيم ، ما يلى :

أولا : ما يلحظ من قلة التزام بعض أعضاء هيئات التدريس أنفسهم بإيفاء قواعد اللغة العربية الفصحى وأساسيات نحوها وصرفها حقها الخالص من الطابع العلمى ، خلال مناقشاتهم مع طلابهم ، وأثناء قيامهم بالشرح والتفصيل والتطبيق الشفهى فى مدرجات الدراسة ، بل فى سياق بعض الندوات الثقافية الخاصة والعامة أحيانا . وذلك على الرغم من الأمر الواقع من التزام أغلبهم بأساسيات اللغة الفصحى وتطويعها لأداء مختلف الأفكار والمعانى والصيغ العلمية والتقنية الحديثة حين إلقاء محاضراتهم المكتوبة ، وحين صياغة مؤلفاتهم المنشورة .

وهكذا قد يُؤْثر بعضهم استخدام اللهجة الدارجة بنطقها العامى أحيانا فى شروحه ومناقشاته ، أو يؤْثر من وجه آخر استخدام التعبيرات الأجنبية بحرفيتها فى عرض آرائه ونظرياته وشروحه دون بذل مجهود كبير لإلحاقها ببدائل ومترادفات عربية يشعر الطلاب أنها تستطيع أن تقف معها على قدم المساواة فى مدلولها ومرماها .

وحقا قد لا يتأتى أحد هذين الاتجاهين السلبيين عن تهوين متعمد من شأن اللغة العربية الفصحى ، أو عن قصور فعلى فى القدرة على تطويعها العلمى فى سياق الإقناع وترتيب الأفكار ، بقدر ما يتأتى أحيانا عن تبسط وعفوية فى الحديث أو يتأتى أحياناً أخرى عن قلة التحكم فى ازدواجية التفكير والتعبير لدى العائدين حديثا من بعثات خارجية لم يكونوا قد تزودوا قبلها بحصيلة لغوية عربية متينة ، وعلى أية حال ، فإنه لما كانت المقدرة على ممارسة التعبير الفصيح المتجانس ومتابعته تزكو عادة لدى الدارسين عن طريق التجربة والمحاكاة فى داخل المجتمع الأكاديمى الملتزم ، فإنه غالبا ما يترتب على إغفال بعض الأساتذة لدقة التعبيرات الفصيحة

المسترسلة والقواعد العربية الأساسية شفاهة فى قاعات الدرس وحلقات المناقشة ، أن يفتقد الطلاب النموذج العملى للقدوة اللغوية والتعبيرية الحقة فى معالجة حقائق العلم وتفاصيله لدى من هم أقدر منهم عليها وهم أساتذتهم ، وفى أولى الأمكنة بما يتوقعونه من مثاليات منهجية وهى الجامعات ، وكثيرا ما يكون فى غياب هذه القدوة ما يغرى الطلاب تلقائيا بتناسى أو فقدان ما استظهروه من أولويات قواعد اللغة ونحوها فى مراحل التعليم العام ، فى سياق ما يدعون إليه من إجابات ومناقشات ، وينساقون من ثم إلى التزيد من الفصل التعسفى بين لغة الكتب المنظومة وبين لغة الشروح والمناقشات الشفهية المرسلة ، وقد يعجزون عن إتقان الأولى كما يعجزون عن تطوير الثانية .

ولا تعنى الدعوة هنا إلى تلافى هذه الظاهرة الازدواجية فى رحاب الجامعات مجرد استكمال الشكلية اللغوية ، ولا مجرد رغبة تمييز الأستاذ الجامعى بالضرورة عمن سواه من المثقفين وعن بقية أفراد المجتمع الذى يعايشه ، بقدر ما تعنى بها الحرص العملى على التمسك بخصائص اللغة القومية ، وتزكية صلاحيتها للمعاصرة العلمية قولاً وفعلاً ، وتأكيد اعتبارها أحد المقومات الرئيسية والمعايير الأساسية لتوضيح المفاهيم وتحديد المعانى ومنع الالتباس فى مضامين العلوم المنطوقة بها . ثم أن يكون التعبير الراقى والقدوة اللغوية الفصحى من أوليات مظاهر اقتداء الطلاب بقادة العلم فى الجامعة ، ومن دوافع ومعالم احترامهم للغتهم القومية واعتزازهم بها كلما لمسوا فاعلية تجاوبها مع مطالب العلم الحديث فى كل أطواره .

ومن العجب حقا أن بعض من يتغاضون قليلا أوكثيرا عن مراعاة قواعد النحو والنطق السليم فى التخاطب الجامعى باللغة العربية فى قاعات الدراسة وخارجها لا يكادون يتغاضون عن مثلها بالنسبة للغات الأجنبية إذا ما أخطأ متكلم فى قاعدة من قواعدها أو أخطأ فى نطق أحد أسمائها ومسمياتها ، تأثراً فى أغلب الظن بما تعودوه فى الجامعات الأجنبية من وجوب احترام ارتباط صحة العلم بصحة اللغة .

ومرة أخرى لا يعنى هذا المطلب التزام المناقشات الجامعية فى كل علم وكل مناسبة

بتراكيب لغوية مستغلقة بهدف إظهار ميزة التفوق ، أو افتعال صنعة أدبية لازبة بغير مبرر يدعو إليها . ولا هو يعنى بحال من الأحوال التخلى عن الاستشهاد بالمصطلحات الأجنبية العلمية حيثما دعت الضرورة إليها فى مواضعها من الشروح الشفهية ، وإنما حسب المناقشات الجامعية أن تتجانس مع ما تستخدمه المؤلفات العربية الراقية من صياغة لغوية سليمة مستساغة ميسورة التناول ، تلتزم بأساسيات النحو والصرف دون تعنت ، وتعمل على تزكية صلاحية لغتها لتوليد المعانى والصيغ العلمية والتقنية المستحدثة على أسس مرنة من القياس والاشتقاق والاقتباس والابتكار ، ثم تقرنها بما يقابلها من مصطلحات علمية أجنبية شائعة أو مستحدثة إلى أن تحل هى محلها شيئا فشيئا ، أو تعرِّب صياغتها وجرسها . ويقتضى هذا تتبع ما تقره المجامع والمعاجم اللغوية الحديثة من هذه البدائل وتعميم استخدامها فى التأليف والتدريس وحلقات المناقشة ، بما يحقق تجانس التعبيرات العلمية الرئيسية بين جامعات الوطن العربى ، وذلك على نحو ما أنجزه عدد كبير من الأساتذة فعلا .

ولاريب فى أنه إذا ما واجه الأستاذ طلابه بهذه الالتزامات فى سياق تخصصاته ودراساته الأصيلة ، فإنهم سوف يندفعون تلقائيا إلى الاقتداء به ، ويحرصون على اكتساب مقومات منهاجه العلمى واللغوى ، والتغلب على ما يمكن أن يعترضهم من صعوبات ما أمكن .

ولعل تزويد الدراسات والعلوم الإنسانية منها بخاصة ، من آن إلى آخر ، بمختارات متميزة من كتب التراث العلمى القيمة التى جمعت بين الثراء اللغوى والإبداع فى العلوم المعنية بها ، يمكن أن يزكى معايشة الأستاذ والدارس لمقدرة البيان العربى الفصيح على مجاراة العلم فى كل أطواره ، كما أن فيه ما يوصل النشأة القومية لهذه الدراسات أو بعضها ، ويلحقها بجذورها العربية والمستعربة .

ولا يكفى هنا التزام البعض بتوفير الكلمة العربية العلمية الدقيقة المنتقاة ، وتقدير روائع التراث وأصول اللغة الفصحى ، بينما يتجاهلها آخرون .فغالبا ما تطرد العملة المعيبة العملة الجيدة ، كما يقال ، وتضعف من تأثيراتها الطيبة .

ثانيا: سبق أن ناقشنا فى عجالة أخرى فى المجلس القومى للثقافة، ما هو معروف من أن تعبير العلوم الإنسانية تعبير حديث العهد نسبيا، تأثر إلى حد ما بالتعبير الإنجليزى Human Studies - ورادفه بعض الشىء تعبير، الدراسات النظرية - وكان من عوامل تخصيصه بمسماه الذى عرف به عاملان أساسيان، أولهما هو اهتمام دراساته المتنوعة بمختلف شئون الإنسان فى حالات الإفراد والجمع، وفى شتى البيئات والمجتمعات، ثم نوعيات التفاعل معها كماً وكيفاً وإيجاباً وسلباً، ومدى التطور بها معنويا أو ماديا، بالفكر أو بالعمل، فى كل من ماضى الحضارات وحاضرها، وفيما يمهد لمستقبلها.

أما العامل الثانى فهو الترابط الوثيق بين هذه العلوم الإنسانية وبين «الإنسانيات» التى تأثرت تسميتها العربية بعض الشىء أيضا بالتسمية الإنجليزية - Humanities - ومدلولاتها المحددة التى تكاد تختص بالإنسان دون سواه، بناء على قيامها أساسا على اللغويات والقيم والمعتقدات ومختلف الفنون والآداب.

وهكذا تضمنت مجموعة العلوم الإنسانية تخصصات متنوعة، تاريخية وجغرافية، وفلسفية واجتماعية، ومنطقية ونفسية، وتشريعات قانونية، وتنظيمات سياسية وإدارية، ونظما تربوية، وأسسا تجارية واقتصادية، وأنثروبولوجية وإثنوجرافية، وما شابه هذه وتلك بالإضافة إلى مختلف التشعيبات الفرعية الكثيرة المنبثقة عن هذه التخصصات، أو المتداخلة فيها.

ومن المسلّم به أن تمايز مجموعات العلوم الإنسانية بطابعها الخاص، لم يمنعها من الأخذ والعطاء مع ما سواها من علوم ودراسات، كما أن شدة التعدد والتنوع فى تخصصاتها وفروعها، لم تحل دون قيام روابط أساسية تجمع بينها، ومن أهمها تجانس مناهجها العلمية، وما تستهدفه عادة من توفير معرفة إنسانية متكاملة يفترض أن تتكامل فيها مختلف القيم، وأدلة العقل والنقل، والقياس ومدركات الحس، وظواهر الكون، ومبادئ الأخلاقيات والسلوكيات، بحيث تكفل أكبر قدر من التوازن المحمود بين الماديات والروحانيات، فى شتى شئون الحياة.

وهكذا تكون الدراسات الإنسانية أقرب إلى مفهوم التراث والثقافة فى عرف الأمم النامية ، نظرا لقدم مدارسها الوطنية وأفكارها النظرية وتوافر مؤلفاتها وفرة نسبية وما يتصل بها من موضوعات القيم والزوحيات ، وفرص الإبانة عن الذات ، والسعى ، لإحياء عيون التراث ، ولا سيما العلوم التى تزاوج بين الثراء اللغوى والإبداع العقلى ، وتحقيقها وإعادة نشرها ، ثم تحديث معالجتها فى دراسات مقارنة قد تجمع بين القديم والمستحدث من النظريات ، وتهيىء فرص الانفتاح على الثقافات العالمية الأخرى .

ثالثا: وجوب اعتبار ما تم إنجازه من تعريب التعليم فى الجامعات حافزا على المزيد من التعريب بكل مفاهيمه ، وعدم قصره فى الحالين على مجرد كونه وسيلة لتيسير عملية التعلم وتزكية اللغة القومية فحسب ، كما قد يتبادر إلى الذهن أحيانا ، وحتمية اعتباره رافدا من روافد تنمية مدارس فكرية عربية ذات مناهج متميزة واهتمامات متخصصة . ولا بأس هنا من تأكيد ما سبق التنويه به من ارتباط التواصل الفكرى واللغوى والتكامل العلمى معاً لدى طلاب اليوم وباحثى الغد ، بمدى التوفيق التربوى أصلاً فى تكوين العقلية المتفتحة وتدريبها على مواصلة التعلم الذاتى ، وإشباع الميول والقدرات الطلابية عن طريق التحصيل الخاص بما هو عربى ، وما هو معرب ، وما هو أجنبى ، ما أمكن ، وذلك مطلب أشد إلحاحا فى الوسط الجامعى عنه فيما سواه . ولن يتحقق بصورته المرجوة إلا فى ظل مخططات ثقافية علمية وعملية كبيرة واضحة الأهداف والمراحل ، موفورة الموارد والمصارف ، لتيسير نشر الكتاب الجاد بنوعياته العلمية والأدبية المختلفة ، والعمل على سهولة تداوله واقتنائه بين الجامعيين ، وذلك مع تحقيق التوازن النسبى فى هذه المخططات بين التوسع فى نشر كتب التراث المختارة ، والتوسع الأكبر فى ترجمة مختارات المؤلفات الأجنبية الرئيسية الحديثة والمتطورة التى تتضاعف أعدادها ونوعياتها باستمرار ، وكل من هذين الاتجاهين فى عالم التأليف والترجمة والنشر ينبغى أن تأخذ الجامعات بناصيته لتقديم الأهم على المهم منه فى كل مجال ، وأن تزيد اللجان العلمية من اعتبار ترجمة المؤلفات الأجنبية الهامة جزءا من الأعمال العلمية المؤهلة لترقية أعضاء هيئات التدريس ، إذا ما ألحقوا بعض موادها

بتعقيباتهم الخاصة وتركوا بصماتهم عليها ، ولا يقل أهمية عن هذا وجوب تشجيع ترجمة بعض المؤلفات العربية المتميزة إلى لغات أجنبية .

ويواكب هذا وذاك ما ورد بعضه فى توصيات سابقة عما ينبغى أن تكفله المكتبات الجامعية من حوافز الارتباط بها ، والانتفاع بها ، والتردد عليها لأطول مدة ممكنة من وقت فراغ الطلاب ، إذا ما تحققت لها الحصيلة الضخمة الوافية من المصادر والمراجع ، وتابعت كل جديد من المؤلفات والدوريات العالمية ، وأخذت بأساليب الخدمة المكتبية المتطورة الميسرة .

وهذه كلها مطالب وغايات ملحة لإتمام حركة التعريب وما حولها ، ونعرف جميعا كيف تفاوتت أنصبة الجامعات العربية من إمكانات تحقيقها فى عالم الواقع ، وكيف ينبغى أن تتوافر لها أولوية الاعتبار والتمويل عن كثير مما تدعمه الدولة من مطالب مادية لطلاب الجامعات .

رابعا : إذا أجيزت دعوات سابقة لتزويد العلوم الإنسانية أو النظرية ، العربية منها والمعربة ، بمزيد من أساسيات العلوم الطبيعية والرياضية والمعملية ، وما تمخضت عنه تطبيقاتها وإنجازاتها فعلا فى العالم الخارجى من إبداعات تكنولوجية حديثة لها أثرها الكبير فى التطور الاجتماعى والاقتصادى المعاصر والمستقبلى ، ومع التوعية بوجوب توظيفها سلميا من أجل نفع الإنسان ورخائه ، وهى دعوة منطقية سليمة - وجب أن تقابلها فى الوقت ذاته دعوة أخرى إنسانية تستهدف تحقيق التكامل العلمى والثقافى فى أوساط الجامعيين بخاصة والمثقفين بعامة . وتقتضى التوسع فيما سبق أن أطلق عليه اصطلاح تأديب العلوم ، ومن مظاهره أن تزيد العلوم الطبيعية والتجريبية من تعاملها مع أساليب اللغة العربية وانتفاعها بما تكفله لها من بدائل المصطلحات الأجنبية فى سياق مراحل التعريب ، وما يفيد فى التعريف العام بحقائق العلوم الحديثة وتفسير منجزاتها بأساليب بيانية ميسرة تشجع على اتساع رقعة المعرفة بها ، وتعمل على تجانس لغة العلم بنوعياته المتعددة فى رحاب اللغة القومية الواحدة ، وهو ما لا يتعارض إطلاقا مع الاحتفاظ معه بحرفية صيغ الرموز العلمية الاصطلاحية الأجنبية التى اكتسبت صفة العالمية أو يصعب ترجمتها إلى اللغة العربية .

وساند هذا الاتجاه اتجاه آخر بدأ تنفيذه فعلا ولكن بنسب متفاوتة ، وهو تطعيم الدراسات الطبيعية والعملية والرياضية بقدر ملائم مما يناسبها من حقائق العلوم الإنسانية ، كتطعيم التعليم الطبى مثلا بدراسات فى علم النفس والاجتماع ، وتطعيم التعليم الهندسى بدراسات عن تاريخ العمران ونمو المدن ومراحل تطور الفنون وأهدافها ثم إلحاق هذه العلوم كلها أو التمهيد لها بدراسات موجزة عن تاريخ علوم الطب والكيمياء والأحياء والرياضيات وأمثالها عند العرب بخاصة وفى العالم الإسلامى بعامة ، كأجزاء من دراسات مقارنة تزكى مبررات التعريب .

ولا تنهض هذه الدعوة على أية شبهة من الرغبة فى تغليب الأدوات اللغوية والقومية للتعريب على حقائق العلوم البحتة ، ولا تطغى الجانب النظرى على الجوانب العملية والتطبيقية فيها ، ولكنها تنهض على أساس مقولة أن أنفع العلوم الطبيعية والمعملية لا تستهدف المفاهيم المجردة وحدها ، ولكنها تستهدف خدمة الإنسان ونفع الإنسانية قبل كل شىء ، وبهذا يمكن أن تتجانس مع العلوم الإنسانية فى أهدافها البعيدة وتتبادل النفع معها تحت مظلة اللغة الواحدة والتعريب الهادف .

خامسا : تتحمل أساليب التعليم العام ونوعيات تحصيل الطلاب تبعاتهما من معوقات أهداف العربية والتعريب حتى بالنسبة لأولياتها من سلامة اللغة ودقة التعبير ، ووضوح الفكرة فثمة ضمور واضح فيما أصبح عليه المستوى اللغوى والتعبيرى العربى الذى يحصله غالبية تلاميذ التعليم العام ويلتحقون بعده بالتعليم الجامعى ، وذلك واقع تخرج تفاصيله عن نطاق الدراسة الراهنة ، وينبغى أن تعالج مسبباته جذريا من قبلّ المسئولين عنه .

ومن هذا القبيل وجوب إعادة تقويم مناهج اللغة العربية ومحتويات وطرق تدريسها واختبارتها تقويماً موضوعيا متكاملا ، بما يزيد من جليل أثرها فى مجريات التعليم والتثقيف وربط الأجيال بالذاتية الثقافية العربية المتطورة ، وبما يزيد من تداول وتناول قواعدها الجوهرية على أسس محببة والاقتراب بها من واقع الحياة .

ومن هذا القبيل كذلك حتمية بذل المزيد من الدقة حين تطبيق المناهج والبرامج ، وحسن اختيار نصوص التراث الرائدة أو المقررة ، بما يتفق أساسا مع القيم الفكرية الفعلية المستهدفة ويتناسب مع المراحل العمرية والذهنية للطلاب ، وبما يجعلها مرغوبة أساساً من دارسيها .

وكثيرا ما نبهت دراسات لجان التعليم إلى ارتباط قيمة الكلمة ودقة التعبير عن الفكرة لدى الطلاب بما يتاح لهم ممارسته من حرية الإبانة عن ذاتياتهم وأفكارهم ، وما يستزيدونه ذاتيا من حقائق ومعارف خارج الفصول فى المكتبات والجمعيات والندوات الطلابية ، وكذا فى مجالات التعامل مع مصادر المعلومات حينما يتصدون لحل مشكلاتهم المعرفية بأنفسهم .

ومن المفروض أن تصقل حصيلة الطلاب من هذا كله وتتضاعف كمّا وكيفاً فى رحاب الجامعة ، حيث تتسع آفاق الإجادة والاستزادة والاستنارة والإبداع أمامهم فى مكتباتها الكبيرة ، وأنشطتها الثقافية الحرة إذا ما تهيأت لها مقوماتها الضرورية فعلا لكى توفر لهم معرفة موسوعية تظاهر تخصصاتهم ، ويمكن أن يحصلها بعضهم بنفسه ويرى فيها نفسه .

غير أنه كثيرا ما يلحظ فى اختبارات العلوم التى تتطلب نوعا من الصياغة التفصيلية لحقائقها ونظرياتها وتطوراتها ، وفى مقدمتها العلوم الإنسانية نفسها حتى بعد أن استوفت أغلب متطلباتها من العربية والتعريب ، من اضطرار أغلب الأساتذة الممتحنين الجامعيين إلى التغاضى عن الأخطاء اللغوية والتعبيرية المعيبة التى استفحلت أعدادها وأنواعها فى إجابات الطلاب الكتابية خلال عشرات الأعوام الأخيرة . وهى ظاهرة قد تعنى قلة تقدير الطلاب أن البيان السليم هو أحد المقومات الجوهرية والمعايير الفعلية . كما سبق ذكره ، لتوضيح المحتويات الفكرية للعلوم وتحديد معانيها ، ومنع الالتباس فى قضاياها ، فضلا عن كونه أقرب قرائن الانتماء إلى مجتمع المثقفين ، ثم عدم إدراكهم بالتالى لفداحة تجنى أخطاء اللغة والتعبير على مضامين العلوم ، إذا ما زادت عن حدودها العارضة أو المحتملة .

وقد يسئ إلى الطلاب فى هذا السياق ، حتى المتميزين منهم فى مضمار العلوم ، سبق دراستهم أحيانا فى مراحل التعليم قبل الجامعى بمدارس أجنبية اعتادوا فيها على الاتباط والتعبير بلغاتها الأوربية أكثر مما يفعلون من اللغة العربية وهى اللغة الغالبة على الدراسة والاختبارات بالجامعات . وكأنهم انتفعوا منها انتفاعا كبيرا من جانب ، وفقدوا

منها ما لا يقل عنه أهمية من جانب آخر ، وعانوا بذلك من بعض الانفصام اللغوى والانفصام الولائى ، وربما قلة الاندماج كذلك مع زملائهم فى الجامعة بعد أن ميزتهم الفوارق الاقتصادية بمجتمع مدرسى ولغات أجنبية ومصروفات طائلة على شىء من الاختلاف مع مجتمع المدارس الحكومية العربية المجانية ، وعلى كثير من التباين مع ما نص الدستور عليه من مبررات مجانية التعليم فى كل مراحله .

ومن وجه آخر ، قد يفسر التغاضى الاضطرارى أو التجوزى من قبل بعض الأساتذة عن أخطاء اللغة والتعبير التى تفسد قيمة اللغة العربية ولا تكاد تستفيد من التعريب فى إجابات طلابهم ، بتقديرهم للأمر الواقع من آثار قلة فرص المواجهة الفكرية واللغوية المباشرة بينهم وبينهم فى قاعات البحث والدراسة بعد أن زاد تضخم أعداد الطلاب فيها بما يقلل من جدوى التوجيه الشخصى لهم أولاً بأول .

ولا تقل أضرارا عن ذلك فى آثارها السلبية أيضا قلة فرص المواجهة المباشرة كذلك بين الأستاذ وبين طلابه خلال الاختبارات الشفهية التى قل عقدها نتيجة للسبب نفسه ، أى كثرة أعداد الطلاب فى الفرقة الواحدة ، ولأسباب عارضة أخرى لا مجال لذكرها ، الأمر الذى جعل الطلاب فى غير دافع عملى إلى بذل جهد كاف فى تحرى دقة التعبير والإبانة عن أفكارهم الذاتية أمام أساتذتهم .

وأخيرا قد يتحرج الأستاذ الملتزم نفسه من أن يوسم بالتعنت إذا ما تتبع الأخطاء التعبيرية واللغوية فى إجابات طلابه ، فضلا على أخطائهم فى معارفهم التخصصية وما أكثرها . وبناء على هذا كله فهو غالبا ما ينتهى إلى إجازة الأمر الواقع ، والقنوط من إصلاح التدهور الشائع فى المستوى التعبيرى لدى الأكثرية الغالبة من تلاميذه .

وتستفحل عيوب هذه الظاهرة المتجنية على قيم اللغة العربية وتيسيرات التعريب فى مراحل الدراسات العليا ، فكثيرا ما تتباين وجهات نظر الممتحنين فى وجوب التوقف عند الأخطاء التعبيرية واللغوية فى الرسائل المقدمة باللغة العربية للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، ومدى الاعتداد بهذه الأخطاء عند تقييم تقديراتها النهائية ، ومن العجب حقا أن

يحدث هذا التباين - وكثيرا ما يحدث - فى مصر وبقية البلاد العربية ، فى الوقت الذى تصر فيه أغلب الجامعات الأجنبية الكبرى على ألا تتعدى الأخطاء التعبيرية واللغوية والكتابية نسبة ضئيلة محدودة من محتوى الرسائل المقدمة إليها ، وإلا رفضت الإذن بمناقشتها أصلاً ، تقديرا منها لارتباط سلامة العلم بسلامة اللغة .

ومن جانب آخر ، فليست الدراسات الإنسانية الجامعية عن الإنسان والمكان والزمان ووسائل التعبير القومية بمعزل عن حصيلة ثقافة المجتمع الذى تعايشه ، وهنا يصعب تجاهل ما تكرر ذكره فى دراسات سابقة عن الآثار الانتكاسية لما يعايشه المتعلمون الآن فى حياتهم اليومية فيحاكونه أو يرفضونه من الألفاظ والتعبيرات والأساليب العربية والمعلومات المقروءة والمسموعة التى تفرض نفسها فى وسائل الإعلام المتنوعة ، فضلا عما يتشربونه من مختلف مواقف بيئاتهم الاجتماعية إزاء اللغة الفصحى وتراثها الفكرى والتعبيرى وصلاتها العلمية بالعالم المتقدم المعاصر .

ولا سبيل إلى تجاهل قيمة بعض المواضيع والبرامج العلمية والثقافية الراقية التى تقدمها وتعتز بها الصحف الهادفة والإذاعة المسموعة والمرئية ، والندوات الثقافية ، والمسارح الجادة ، فى مصر من حين إلى آخر ، ولكن لا سبيل إلى التغاضى فى الوقت ذاته عما تردّت إليه أساليب التعبير ونوعية المعلومات بشكل صارخ فى عدد آخر من مواضيعها وبرامجها بل عناوينها وإعلاناتها كتابةً وقراءة وتصويراً خلال الأعوام الأخيرة بوجه أخص ، وهذه تبدو كأنما غاب عنها الحسيب والرقيب والمراجع . أو كأنما خضعت لدعوة مستترة إلى التباعد عن بنية اللغة الفصحى وأساسيات قواعدها مع استخدام الألفاظ الأجنبية أحيانا بحرفيتها الظاهرية ، أو معربة بصورة ركيكة مرفوضة وذلك فى الوقت الذى لا تكاد أجهزة إعلام عالمية أخرى تجيز الإعلان عن مسميات أجنبية بغير لغتها القومية ، أو على الأقل بغير أن تخضعها تماما لقواعد لغتها . وحقا قد لا تتعدى الأخطاءُ اللغوية والبيانية والمعرفية الصارخة فى الصحف ذات السمعة

الطيبة والبرامج المسموعة والمرئية الراقية العدد القليل منها قياسا إلى الجيد من مواضيعها ، ولكن الأخطاء فى أمثالها أخطاء مضاعفة الأثر وإن قلت أعدادها ، وقد تطبع النشء بما لا تستطيع الجامعات نفسها أن تغيره بسهولة .

سادسا : لم يكن من شأن القيم القومية والأهداف التعليمية والثقافية التى حققتها ولا تزال تحققها مراحل تعريب العلوم فى الجامعات المصرية ما يجعل دراسات هذه العلوم تنطوى على عربيتها ، أو تستغنى عن التفاعل مع أضرابها من اللغات الأجنبية ، حيث لا سبيل إلى تجاهل الأمر الواقع من اتساع خطى التقدم العلمى وتطبيقات مناهج البحث فى الجامعات الراقية من العالم الخارجى ، عنها فى داخل الوطن العربى ، ولا غنى للجامعات العربية بالتالى عن مضاعفة ما أخذت به فعلا بنسب متفاوتة من انفتاح على مقومات ومراحل نتاج هذا التقدم بكل أطرافه ، والوعى بأساليبه ، ثم مجاراته بالمشاركة فيه ما أمكن بالتطوير والابتداع والنشر ، ليس باللغة العربية وحدها ، وإنما كذلك باللغات العالمية التى يمكن نشره بها .

وعلى الصعيد العملى ، فلا شك فى أن من صالح المجتمع أن تزوده الجامعات بالأعداد الكافية من خريجيها المؤهلين لأعمال الترجمة اللغوية والفنية ، حتى يساهموا بدورهم فى تلبية متطلبات مختلف مشاريع التنمية التى قد تتم فيها بالمشاركة مع هيئات أجنبية .

وتتّبع الجامعات المصرية وسائل عدة فى سبيل صقل وتنمية القدرة على الاطلاع والبحث فى المراجع الأجنبية فيمن تتلقاهم من الطلاب ، ويتفاوت هؤلاء الطلاب عادة فى مدى إلمامهم بلغة أو أكثر من اللغات الأجنبية ، تبعا لاختلاف استعداداتهم الفردية ، وملابسات تربيتهم وبيئاتهم الاجتماعية ، ونوعيات المدارس التى تلقوا بها مراحل التعليم قبل الجامعى . وإذا ما استثنينا منهم من يلتحقون بأقسام وكليات اللغات المتخصصة ، وأقسام الترجمة فيها أمكن الاسترشاد بعدة وسائل تجرى الاستعانة بها لتأهيل طلابها الباقين تأهيلا مناسبا بما تتطلبه دراساتهم الجامعية من لغات أجنبية .

عبد العزيز صالح

عضو المجمع

نبضات قلب ... !! ★

للأستاذ حسن عبد الله القرشى

مَا لِدُنْياكَ غادرتْها المجانِى
وسَطَا فى رِحابِها كلُّ جَانِى
عَربد الهولُ فى ذُراها مُحيقاً
وشَجاها عَاتٍ من الطُّوفانِ
فإذا كُلُّ بقعةٍ من ثَرى الأر
ضِ ، لظًى يُستثارُ كالبركانِ
حيث عَادَ الإنسانُ إنسانَ غابٍ
قَلبُه فى قَساوةِ الصُّوانِ
جَمدتْ فى عُيوننا أدمُع الرفـ
ـقِ فَعِشْنا للحِقْدِ والأضْغانِ
ونَسينا تُراثَنَا ، وهْوَ باقٍ
وخَلَصْنا للكيدِ والبُهتانِ

نَحن هُنَّا على العَدوِّ فَأُبْنا
بالمصيرِ الرَّهيبِ والخِذلانِ
أرهقتْنا الأكلامُ من كُلِّ صَوبٍ
ودَهَتْنا طوارقُ الأحزانِ
أصْبحتْ أمَّتى العظيمةُ بالأمـ
ـسِ قَطيعاً هَشّا من الحُمْلانِ
أصبحتْ كالجُفاءِ يَقذفُه السيـ
ـلُ فما فيه حِنكةُ الرُّبّانِ
يَصرخُ الناعقُون فيها فَتعنُو
وهى كانتْ جمْرًا لحربٍ عَوانِ
تَتوخَّى سَلْمَ العدوِّ فتنأى
عن مَراقى كَرامةِ الإنسانِ
كلُّ سَلْمٍ مُستَمْنَحٍ من عدوٍّ
هُوَ جَورٌ من قادةِ الطُّغيانِ

(★) ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

أوْغَل اليأسُ فى حِمَاها فأضْحتْ
هَدَفًـا فى مَـراجِلِ الحَـدَثَانِ
وشَجَاها الخِلافُ والفُرقةُ الصـ
ـمّاءُ ، والكيدُ فى هَوًى واضْطغانِ
لَيسَ يُرسِى دَعَائمَ الجِدِّ فيها
وبعيدُ الضّمـيـرَ للوجْـدانِ
ويُجلّى مُـرءَةً غَـالها الخَطـ
ـبُ ويُذكِى مَـشَـاعِلَ الإيمانِ
غَيـر فَيْضٍ مِنَ التآخى عَريقٍ
فِيه نورٌ من حِكمةِ الفُرقَانِ
فإذا بالضّعيفِ تنتفِضُ القُوْ
ةُ فـيـه ويَزدَرِى بالهَـوانِ
وإذا كُلُّ مـا نَسِينا من الـمَجْـ
ـدِ .. يُرَى مَاثلاً لكلّ عَـيَانِ
فَنَرى الصّعبَ أيْسَرَ الأمرِ فينا
ونُراعِى مَقَـاصِدَ الرّحمنِ !

* * *

أُمتى والشجونُ ملءُ كيانى
من وَرائِى مطيـقـةٌ وأمـامى
والمـآسى تزاحمتْ فـإذا الأفـ
ـقُ جَهامٌ مـسـتـهـدفٌ لجهامِ
أنا مهما قَسوتُ فى عَذْلِ قومِى
وتألمتُ من ضَـيَـاعِ مـرامِى
وغزا خافقى الضبابُ وشجّتْ
رايةُ النصـرِ هَيّنَاتُ انقسـامِ
فـهـمـو كلُّهم مـلاذ عـزِى الآ
تِى وما قـدْ ذخرتُ من أيّامى
لستُ أرضى لهم هَواناً ويُشجِى
خافِقِى منهمو انثلامُ حُسَامِى
ألِـ (صهيونَ) أن تعكّر صفوى
دون أن تَستثير بأسَ احتدامى ؟
تَزرعُ الموتَ فى المساجِدِ قَهْراً
بالجـورِ الحـثـالةِ الظُّلاّمِ
وتُنادى بالسِّلمِ مضـمـرةَ الحرْ
بِ ، وتدعـو لغدْرةِ الإسْلامِ

ألِمن دفـــؤه إذا مسَّ قـــرٌ

من بلادي وَزادُه من طعـامي ؟

أن يُنادِي - قَهْراً - بنصر عدوٍّ

ويماري كَـرامَـتي ، وسَـلاَمِي ؟

يتـرعُ المـالَ في خَزائن خصمِي

كيْ يَحثَّ الخُطى لوأدِ عُـرابي

حَاضنًا مِنْ شَرَاذم البَغْي والإر

هابِ من هَشَّموا سليم عِظامِي

كلُّهم رُغم صَوْلة الغَدْرِ والإجـ

ـرام رَهْنٌ لِصَاعِقٍ من ضِرامي

لَنْ يَعيشَ الباغي وفي جُعبَتي الثأ

رُ وجَـيْشٌ من الأُسُـودِ الكِرامِ

هَـلْ دَرَى أنَّ كـلَّ ذرَّةِ رَمْـل

مِنْ دِيارِي مَذخُورَةٌ لانتِقامِي ؟

هُوذا جـيلُنا الجـديدُ تَحـدَّى

بغْـيـةَ غَـيْـرِ آبِهٍ لحِـمَـام !

بالصُّمُودِ العنيـدِ يَفْتـرِعُ الخطـ

ـبَ ، ولا ينحني لِسَهْم الرَّامي

عَـربيُّ الإباءِ لايَرْهب المَـوْ

تَ ، وَلا يَسْـتنيمُ للأحْـلامِ

في سبيلِ النِّضَالِ والوَطنِ الغَا

لي ، وفي ثَوْرةٍ وَفي إقْـدامِ

سَوْف يَمْضِي مُحَرِّرًا أرضَه الطّهـ

رَ ، وَيجلو من غَاشِيات الظَّلام !

* * *

حَيِّ (مِصرَ) العَلاَءِ في كُلِّ آنِ

بؤرةُ النُّورِ ، جَمـرةُ المِهْـرجَانِ

مَرحباً (مِصرُ) نَبعَةَ الإحسانِ

دُرَّةَ الكون فَـرْحَـةَ الأوْطَانِ

تَتَهادَى من كَوْثَر (النيل) شَهْداً

وكُـؤوسـاً من نَشْـوةٍ وَحَنَانِ

ومن العِلْم والثـقـافَـةِ نَهْـراً

ومن الفَنِّ رائعـاتِ المثـانـي

هِيَ ذي (مصرُ) ربَّةُ الصَّولَجانِ

ومَـرادُ النُّهَى ، وسِـحْـرُ الجِنَانِ

وحَديثُ الأجْيال سِرُّ الحَضَارا ... وأراقُوا لِدعْمِه بؤبؤَ العَيْـ

ـتِ ، وكنزُ الأحْلامِ فَيْضُ الأمَاني ... ـنِ ، كَرِيمًا بِفَرحَةٍ وامتنانِ

(مِصْرُ) غَابُ الأسْودِ منذُ قَديمٍ ... باشتِقاقِ الدُّرِّ الفَرِيد من اللَّفْـ

وديارُ الأحْرار ، والشُّجْعانِ ... ـظِ تَجلّى وَهْجَ العقيقِ اليَماني

وَهَوَى القَلب أينَما خَفَق القَلْـ ... وتَهَادَى قَلائِداً زَاهِيَاتٍ

ـبُ ، ومَسْرَى الأرواح فى الأبدان ... أينَ مِنْهَا قَلائِدُ العِقْيانِ

(مجْمعُ الضَّادِ) فى ذُرَاها مُضِيءٌ ... كُلُّهُم واسِعُ الخُطى فى مَداهُ

بربيعِ العلوم والشعرفَانِ ... لايُجَارَى فى هِمَّةٍ وائْتِمانِ

(مَجمَعَ الضَّادِ) عشْتَ للضَّادِ حِصنًا ... (مَجمَعَ الضَّادِ) دُمتَ صَرْحَ المعالي

عِشْتَ بُسْتَانَ رفْعَةٍ وأمَانِ ... مُسْتَعِزاً بشامخٍ مِنْ كيَانِ

يَتَفَيّا ظِلالَكَ السَّمحةَ الطُّهْـ ... ياضميرَ الفُصْحَى وعطرَ شَذَاهَا

ـرَ ، رِجَالُ النُّهى حُمَاةُ البَيَانِ ... وارتواءَ المُتَشرفِ الظَّمآنِ

عبقريُّونَ ، نابِهُونَ هَوَاهُمْ ... لُغَةُ المصْحفِ الكريمِ تَوالى

فى طِلابِ العُلى انطِلاق العِنَانِ ... فَيْضُها رُغْمَ عادياتِ الزَّمانِ

شَاقَهُم مَهْدكَ العَلِيُّ فأهْدَوْ ... وحَماها الإلهُ طِيلةَ عمرِ الـ

ه مِنَ الجُهْدِ زَاهراتُ المَعانِي ... ـكَونِ فى جِدَّةٍ ، وفى عُنْفُوانِ !

حسن عبد الله القرشي

عضو المجمع المراسل

من السعودية

تعريب التعليم الجامعي (*)

ضرورات مُلزِمة ، ومنافع مؤكَّدة ، واعتراضات مُفنَّدة

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

١ - تقديم:

١-١ لغة تدريس العلوم فى الجامعة موضوع بالغ الخطر ، وليس من المبالغة فى شىء أن نعتبره من أحقّ قضايانا بالدراسة الجادّة والمناقشة المستفيضة والمواجهة الواقعية ، إذا ما أردنا أن نتلمّس طريقنا إلى تعليم جامعى حىٍّ فعّال ونهضة حضارية شاملة . والموضوع - كأية قضية ذات خطر- واسع ومتشابك الفروع ، وفيه وجوه من الرأى متعارضة . والمعوّل هنا على الموازنة الدقيقة بين عناصر السلب والإيجاب ، وبين الممكن المستطاع والمتعذر أو المستحيل .

١-٢ ونداؤنا بأن تكون اللغة العربية لغةَ تلقّى العلوم فى المرحلة الجامعية الأولى ليس مبعثه نُعرة قومية ، أو اعتزازاً باللغة العربية وغيرة عليها (وهى جديرة بهما ، ولاريب) ، وإنما هو استجابةٌ لضرورات ملزمة ، ولتجنب أضرارٍ بالغة وتحقيق فوائدَ مؤكدة . وسنتناول أهم جوانب القضية - فى حدود الوقت المتاح - بالمناقشة الموضوعية الهادئة . وكدت أحجم عن الكلام فيها ، قنوطاً من جدوى تكراره ؛ فقد سبقنى إليه جيل من أساتذتى الروّاد الأجلاء وكوكبة من قادة الفكر العربى ، كما أننى عاودت مراراً الحديث والكتابة حولها (مثلا : عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ - أ ، ١٩٨٨) . ولكن الذى استحثنى هو تجدد الرجاء ، وأن هذه هى أول مرة أعرض فيها حكاية تجربتى الخاصة واجتهادى الشخصى ، أمام هذه الهيئة العليا الموقرة . وما أقوله الآن ليس - على أية حال - بقول «جهيزة »، وما هو بفصل الخطاب .

١-٣ ولا أحاول فى هذه العجالة تأكيدَ ما هو ثابت من كفاءة اللغة العربية كفاءة تامة للوفاء بمتطلبات العلم والحضارة . ولكننى آثرت أن أقتبس هنا ما سجله الأستاذ «رَسّل »، من معهد « ولكوم لتاريخ الطب»

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

بلندن ، فى معجم حديث لتاريخ العلوم باللغة الإنجليزية . فبعد أن استعرض الأستاذ المعالم الأساسية للعلم الإسلامى ، قال ما ترجمته :

« وكانت العربية هى أداةَ هذا النشاط العلميّ كلّه . فلما كانت اللغة العربية لغة القرآن ، أصبح لها أهميةٌ خاصة فى الإسلام . بيد أن طبيعة اللغة العربية نفسَها هى التى قامت بالدور الحاسم . فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دمغ مفردات محددة دقيقة للمصطلحات العلمية والتكنولوجية أو ابتكارها . وهكذا اتُّخذتْ لغةً للشعر اللغةَ العالمية للعلم والحضارة »

(G . A . R ussell,1981: p . 215).

٢ - تدريس العلوم بلغة أجنبية فيه صعاب جمة ومثالب بالغة :

٢-١ اللغة العربية هى لغة التعلُّم فى مراحل التعليم العام القومى كلِّها فى مصر ، وكذلك هى فى كثير من المعاهد العليا والكليات الجامعية . وينص قانون تنظيم الجامعات المصرية على أن اللغة العربية هى لغة التعليم فيها ، « وذلك ما لَمْ يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى » . ولكن يبدو أن هذا الاستثناء المقيد لم يزل فى بعض الكليات - وخصوصا كليات العلوم والطب والهندسة - هو القاعدة .

٢-٢ ولا شك أن تمكّن الباحثين وطلاب العلم من لغة أجنبية ذائعة له مزاياه الكبرى ، التى من أبرزها توثيق أواصر اتصالهم المباشر بمواردَ ثريّة ثرّة متجددة تُنشر بتلك اللغة . بيد أننا نعلم أن الكثرة الغالبة من طلاب الجامعة فى مصر قد أصبحوا الآن بعيدين كلَّ البعد عن هذا التمكن . وأمام هذا الموقف المحرج ، يضطر الأستاذ المحاضر إلى صرف جزء كبير من وقت المحاضرة فى تفسير ألفاظٍ وتراكيبَ إنجليزية عادية ، وإلى اللجوء إلى الشرح والتعليق باللغة العربية - أو العامية - مضمنا كلامه هنا وهناك ألفاظا مفككة وجملا بتراء باللغة الإنجليزية ، ومتجنبا على قدر الإمكان الألفاظ والعبارات الدقيقة التى تورطه فى هذا كله . ويعلم الطالب أن المذكرة الرديئة الطباعة أو الكتاب « المقرر » - إنْ وجدا - مستعصيان عليه ، وأن سهرته مع المعاجم - إن كان عنده بعضها - سوف تكون طويلة ، فيلهث وراء المحاضر محاولا تسجيل كلِّ كلمة يتسقطها منه ، فى بنيان غير محكم . ولأنه يدرك أيضا عجزه الكامل عن طلاقة التعبير

باللغة الإنجليزية ، يلجأ إلى استظهار ما دوّن أو قرأ – على علاّته – استظهاراً ، دون فهم حقيقى واستيعاب عميق . وهكذا حين ينبغى للطالب الجامعى أن يحلّق إلى آفاق واسعة ويتعمق إلى أغوار بعيدة ، نجد اللغة الإنجليزية قيداً له محدِّدا لأبعاد دراسته كمًّا وكيفًا ، ومهدِّدا التعليم الجامعى بالسطحية والضحالة .

٢-٣ ولم يكن هذا حالنا حين كنا نطلب العلم فى الجامعة ، فقد كانت حصيلتنا من اللغة الإنجليزية لا بأس بها ، وكنا نتلقّى دروسها فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وكان بعض أساتذتنا من الإنجليز . ومع ذلك وَعَتْ ذاكرتى – على ضعفها – القصة التالية التى حدثت منذ نحو نصف قرن :

طلب منا أستاذنا أن نحددَ بعض مصطلحات الجيولوجيا ونناقشها ، فرحنا نستفتى المراجع – وكان ذلك مستطاعا فى تلك الأيام . وعند مناقشة تعريف مصطلح « الماجما » (أو الصُّهارة) ، قال زميل ، رحمه الله ، ما معناه بالانجليزية : « هى مادة الصخور فى باطن الأرض تشبه البوردج فى قوامها ... إلخ » . وكان أستاذنا – رحمه الله – لماحاً ساخراً لاذعا ، فلم تفته المناسبة ، وسأل زميلنا المسكين : «ما معنى پوردج ؟» . وما كنا فى ذلك الوقت ذقنا البوردج الإنجليزى أو غمسنا فيه إصبعا أو أدرنا ملعقة حتى نعرف قوامه ، فقال زميلنا ، فى بساطة وخفة ظل : « أنا عارف ! أهى مكتوبة كده ! » . ونقش فى ذاكرتى المغزى العميق لتلك الحادثة ، حيث انقلب التشبيه من وظيفته فى بيان المجهول بالمعروف إلى زيادة فى التجهيل !

٣-٤ هذا عن وظيفة اللغة الإنجليزية فى التحصيل والاستيعاب ، أما عن وظيفتها من حيث اكتساب الطالب مقدرة على التعبير البيِّنِ الصحيح ، والمحاجَّة وتقليب الآراء وإعمال الفكر ، فإننا ندرك أنها قيد على طالبنا فى هذا كله عندما نجده ، فى حلائب النقاش ، مُلجم اللسان محجما عن السؤال أو الجواب .

وإن ما نُبتلى كلَّ عام بقراءته من إجابات طلابنا فى امتحاناتهم ، يجعلنا نرثى لما يعانون فى محاولتهم التعبير عن أنفسهم ، ويدعونا أيضا للرثاء لأنفسنا لما نعانيه فى تبيُّن ملامح ما يُجهدون أنفسهم فى محاولة الإفصاح عنه . وهذا أمر يضعنا فى النهاية

فى موقف محيِّر ، بين ما توجبه علينا ضرورات الحكم الدقيق وما يدعونا إليه العدل والإنصاف - ولا أقول الرأفة - من عدم تحميل طلابنا وزرا لعلهم آخر من يؤخذ بجريرته .

٢-٥ وأذكر القصة التالية : فى جامعة عربية تُعدُّ فى الصف الأول بين نظائرها ، عُرضت أوراق إجابة طلاب درجة البكالوريوس على أستاذ إنجليزى ، فكتب فى تقريره ما ترجمته، : « إننى لم أستطع أن أتعرَّف الرؤوس من الأذناب فيما كتبه هؤلاء الطلاب » . ولكنه أردف ، بعد هذه الصراحة المريرة ، بجملة فيها مجاملة وفيها مغزى ، فقال : « ... ولكننى ما أظن أننى سوف أكون أكثر توفيقا لو أنه قد طُلب إلىّ أن أكتب بالعربية ! » . وكأننى بالأستاذ الأريب أراد أن يقول : « لماذا تفعلون هذا بأنفسكم وبأبنائكم ؟! » وفى حوار لى مع الدكتور « دانيلز » ، الأديب واسع الثقافة الذى كان مديرا لمكتب المجلس البريطانى فى القاهرة فى السبعينيات ، أحس الرجل كأننى أقف موقف المدافع مبررا دعوتى لتعريب التدريس فى كليات العلوم ، فقال لى : « لاشك أن الحق معكم ، وأخبرْ زملاءك أننا غير راضين عما تفعلونه بلغتنا ! » .

٢-٦ واللغة - على أية حال - ليست أمرا ثانويا فى حياة الإنسان ، أو مجرد أداة تواصل فى مجتمعه ، بل هى قِوام فكره ووجدانه ، وصنيعة قِيَمه وعقائده . ويقول « كلود ليفى - ستراوس ، أحد قادة الفكر فى فرنسا : « حين نقول الإنسان ، فإننا نعنى اللغة . وحين نعنى اللغة ، فإننا نقصد المجتمع » . ودراسة العلوم بلغة أجنبية تضفى هذا الوصف « الأجنبى » على العلوم نفسها ، فما يحس الطالب إحساسا عميقا بأنها شىء ينتمى إليه أو إلى بنى قومه ، بل إنها أقحمت على ذاكرته إقحاما ، فآثارها سريعا ما تزول . وحتى إذا استعمل خريجنا ما تعلَّم استعمله فنيا ومهنيا ، ولا يكوِّن العلم والأسلوب العلمى جزءا عضويا من كيانه الفكرىّ والسلوكىّ .

وهذه القيود المحدِّدة ، وتلك الغربة ، قد تقتل فى طالبنا ما فُطر عليه من مقدرة على الإبداع والابتكار ، إنْ لم تكن أساليب التعليم العام قد أجهزت عليها قبل التحاقه بالجامعة .

٣ - اعتراضات مُفنّدة :

٣-١ لعل مشكلة المصطلحات العلمية العربية هى أول ما يُحتج به اعتراضا على تعريب تدريس العلوم . وهذه المشكلة مبالغ

فيها كثيرا ، فقد توافر من هذه المصطلحات ألوف وألوف ، وصنفت فى معجمات من هنا وهناك ، وتعريب التعليم سوف يُربى هذه الألوف ويروّج تلك المعجمات . ثم إن المصطلحات ، بأية لغة كانت ، ليست هى - على أهميتها - جوهر قضية التعريب ، حتى إنْ ظلت ، أو ظلَّ بعضها ، غير مترجم أو معرَّب ، وإنما المشكلة - كلُّ المشكلة - هى اللغة من حيث هى وسيلةُ الطالب فى التلقى - قراءة أو سماعا - ، وفى الاستيعاب والتعبير ، بل فى التفكير والتصور أيضا ، كما قدمنا .

٣-٢ ويُحتج أيضا بغرابة بعض المصطلحات العربية ، كأسماء العظام والعضلات ، ولكن واعَجبا ، أهى أشد غرابة عليهم من مقابلاتها اليونانية واللاتينية ؟ إنما هى ألفة الاستعمال التى تذهب هذه الغربة . وثمة وهم آخر ، وهو أن المصطلح العربى لا يؤدى فى بعض الأحيان المعنى الذى يؤديه المصطلح الأجنبى . ويبدو أنهم يتناسون أن المصطلح لا يعدو أن يكون عنوانا أو رمزا لفكرة شاملة أو صورة مملوءة بالتفاصيل التى لا يعبر المصطلح ، بمجرد معناه الحرفى، إلا عن أدنى شيء من هذا كله ، بل إنه قد يتجاوز معناه اللغوى تماما .

ويحتج أيضا بضرورة التوحيد والإجماع فى استعمال المصطلحات فى أقطار الوطن العربى ، وهو موضوع يكثر فيه الجدل ، وينال الكثير من العناية فى مؤتمرات مجمعنا ، وفى غيره من المجامع والهيئات ، ولكنه - فيما أعتقد - لا يعوّق تعريب تدريس العلوم ، كما قدمت .

٣-٣ ومما يساق أيضا أن الإنجليزية تُتخذ لغة لتدريس العلوم ، لأنها توفر لقارئها مددا غنيا متجددا من المراجع . ولكننا إذا تأملنا واقع الحال نجد أن اللغة الانجليزية قد أصبحت ، لقدرة الطالب المحدودة جدا فيها ، أغلالا يرسف فيها الطالب مقيدا فى متن واحد ضيق حاول أستاذه جاهدا أن يذلله له ، ولا تمكنه قدراته اللغوية من ارتياد سواه . وعلى نقيض ذلك تماما ، لن تكون اللغة عائقا أمامه للاستزادة من مراجع متعددة باللغة العربية لوأنه تعلّم بها .

٣-٤ وقد يُعترض بعدم وجود عدد كافٍ من المؤلفات فى العلوم باللغة العربية . ولا شك أنه ينبغى إثراء مكتباتنا بتراجمَ جيدة لأمهات الكتب العلمية ، وبكتب مؤلفة تقدم

آخر منجزات العلوم ومستحدثاتها ، معروضة عرضا حسنا يناسب مستويات الطلاب الذين تقدم لهم ، ومتضمنة أمثلة من بيئاتنا ، ومتعرضة لمشاكلنا الإقليمية الخاصة ، ثم تُحدَّثُ طبعاتها المتلاحقة . والواقع أن هناك جهودا كثيرة مبعثرة ، قد أجهض عدم تعريب التدريس كثيرا منها أو أهدر ثمارها ... وهكذا تدور الدائرة المفرغة . وقد قرأت أن الوزير الأديب الدكتور محمد حسين هيكل ، أصدر عام ١٩٣٨ قراراً بتعريب التدريس في الجامعة ، ولكن كلية الطب طلبت استثناء لمدة عشر سنوات حتى يتمَّ وضع المصطلحات العربية وتؤلفَ الكتب الجامعية . وواضح أن هذه المهلة قد جددت آليا وتطاولت إلى أكثر من نصف قرن !

٣-٥ وفي جولات من الحوار ، اتضح لي أن كثيرا من طلاب كليات العلوم يتمسك بالتعلم باللغة الإنجليزية ، مع عجزه عنه ، لتصوره أنه مستوًى أرقى يميزه عمَّن يتعلمون بالعربية ... وهذا بالقطع وهم باطل . ومن ناحية أخرى ، اتضح لي أن بعض المعترضين من الأساتذة يتعللون بعدم استطاعتهم التدريس باللغة العربية ، ولكن اتضح لي أيضا أن معظم هذا الاعتراض راجع إلى اختيارهم الطريق الأقصر والأيسر لهم ، فهم قد تعلموا بالإنجليزية ومراجعهم إنجليزية ، ويشكل التعريب عبئا إضافيا عليهم . ولكن هذه الدائرة المفرغة أيضا ، ينبغي أن تكسر في حزم .

٣-٦وكثيرٌ ما يقال عن «استراتيجيات » تعريب العلوم ، على المستويات القطرية والإقليمية (انظر، مثلا : مصطفى الفيلالي ، ١٩٨٢) وهو جدير بالدراسة .

ولكنني أعتقد أن « الاستراتيجية » المثلى قد تكون الشروع بلاتوانٍ ، مع دفعة جديدة من طلاب الجامعة ، فيدور الدولاب ، وتُلبَّى الحاجات ، وتُسد الثُّغَر ، وتُفتق الحيل ، ثم تنمو الخطة وتتكامل مع مضيِّ طلاب تلك الدفعة في التعليم عاما بعد عام . (انظر أيضا : ٥-٤ ، ٦-٢) .

٣-٧ وقد يقال إن الحلَّ البديل للمشكلة كلها هو رفع مستوى الطلاب في اللغة الإنجليزية ، ولكن محاولاتنا المتكررة والمتباينة الوسائل لتحقيق هذا الهدف في كلياتنا ، لم تثمر - للأسف - ما كنا نبتغيه . وقد يقال إن أصل الضعف في اللغة سابق للجامعة ،

فيجب معالجته فى التعليم العام . ولكن هذا الحل غير عملىّ وغير صائب أيضا . فإتقان القاعدة العريضة لطلاب التعليم العام لغةً أجنبية يتطلب الاهتمام بها منذ بواكير سنى التعليم ، وهذا أمر غير مستطاع بعد أن اتسع التعليم العام . بل إنه ، حتى إنْ كان مستطاعا ، يُعَدُّ أمرا فيه عيوب نفسية وتربوية ، ومضارُّ قومية وخسائرُ فى الجهد والمال . فما هى جدوى تعليم أبناء شعب بكاملهم لغةً أجنبية لن تستفيد الكثرة الغالبة منهم منها بشىء ، مع الاعتداء على جزء نفيس من وقت الطفل وإدراكه ينبغى أن يصرف كله فى تربيته تربية قومية متكاملة ؟

٤ - منافع مؤكدة :

٤-١ قد ثبت عندى ، فيما يشبه التجربة العلمية المقصودة ، أنه عندما دَرَّست مقرراً جامعيا مُعَيَّناً لجماعتين من الطلاب متكافئتين على وجه العموم ، تلقته إحداهما بالعربية وتلقته الأخرى بالإنجليزية ، كانت حصيلة طلاب المجموعة الأولى أكبر، وفهمهم للموضوع أتمَّ وأعمق ، فى وقت أقصر وبجهد أقل .

٤-٢ واللغة - كما قدمنا - عنصر رئيسى للكيان الذهنى والعاطفى للإنسان ، ولذلك كان من مزايا التدريس بلغة المتعلِّم الأصلية ، أنه يجعل عملية التعلم أقرب إلى التمثيل البيولوجى السوىّ للغذاء ، تحيل العلم جزءا من صميم البناء الذهنى للمتعلِّم له آثار أبقى وأقوى وآصل وأعمق ، فتجتمع عنده أدوات المقدرة على التحليل والمناقشة والنقد ، وعُدة الابتكار الأصيل . كذلك يصبح تعلُّم العلم عنده معرفة وثقافة ، فضلا على كونه تخصصا أو مهنة .

٤-٣ ويمكننا أن نتصور لغة العلم مركزا لأربع دوائر متداخلة : فى الأعمال والمهن العلمية ، وفى نشر الثقافة العلمية ، وفى تدريس العلوم ، ثم - رابعا - فى البحث العلمى ونشر نتائجه . وتدريس العلوم بالعربية يزيد من تآزر الدوائر الثلاث الأولى ، فمن « تعلّم » بالعربية ، لن يكون عسيرا عليه أن « يعمل » بالعربية ، وأن « يعلّم » بالعربية وأن يقوم بدوره فى العطاء والإسهام فى نشر الثقافة العلمية بين بنى وطنه .

٤-٤ إن تدريس العلوم فى الجامعة باللغة العربية سوف يُزيل الحواجز بين طبقة المتخصصين الجامعيين ومن يليهم من الفنيين وأمناء المعامل والمساعدين . وهذا سوف يزيد

من كفـاءة الأعمال العلمية بصفة عامـة ، ثم إنه يتيح لطبقة الفنيين الـوسطى أن تفيد من خبرات رؤسائهم الجامعيين وعلمهم ، وتفتح لهم أبواب الاطلاع على الكتب الجامعية المنشورة بالعربية ، فيستكملون ما ينقصهم ويحرزون تقدمًا أصيلا فى فنونهم .

٤-٥ ونحن الآن نعيش عصر العلم . ومن المؤكد أن شيوع تدرُّب اللسان القومى والقلم القومى والفكر القومى على تناول قضايا العلم ضرورة من ضرورات العصر ، إذ أنه يمكِّن المواطنين - فى جملتهم وعلى تنوع وتباين مراتب ثقافتهم - من أن يعيشوا عصرهم ويحسنوا فهم قضاياه . وهذا يسهم بدوره أيضا فى عبور الفجوة أو الجفوة بين « أهل الثقافتين » التى عبَّر عنها C . P . Snow فى أوائل الستينات (عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٠ - ب) مما يعنى زيادة فى ترابط الأمة .

٤-٦ وتدريس العلوم بالعربية فى الجامعة ، فيه خدمة جليلة للغة العربية نفسها . فهذه اللغة المشرفة قد حفظها الله بحفظ قرآنه الكريم ، ولكن خدمتها وإغناءها وتجديد حيويتها بحسن توظيفها فى قضايا الحياة المتجددة فى عصورها المتعاقبة ... يظل هذا كله أمانة مفروضة على أبنائها فى كل عصر . والحق أن أسلافنا فى عصور الإسلام الزاهرة قاموا بحقوق هذه الأمانة على خير وجه، وينبغى ألا نقصر نحن فى إسهامنا بدورنا التاريخى نحوها . وإننى أعتقد أن أنجح المصطلحات العلمية العربية هى التى تتولد فى سياق الترجمة والتأليف ، فهى تُولد حيَّة تلبى حاجة قائمة لمقابلة مصطلح أجنبى قد يكون بالغ الحداثة .

٤-٧ وهذه المنافع التى عرضتها تتفق فى جوهرها وما قدمه لنا الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور كمال بشر منذ أيام ، فى بلاغة واقتدار ، عندما أكد لنا أن التعريب اللغوى للعلوم مطلب قومى ، ومطلب علمى ، ومطلب لغوى ، ومطلب اجتماعى . وأضيف فأقول إن التعريب اللغوى - وهو مناط اهتمامنا الأول فى مجمعنا هذا - هو ، كما قدمت ، الخطوة الأساسية نحو تعريب العلم بمعناه الشامل وتأصيله فى مجتمعنا : أخذاً وتمثيلا وعطاء وتطبيقا . أما الخطوات التالية فهى مسئولية الجامعات والأكاديميات ومراكز البحوث ، التى تستطيع أن تستثمر شباب العلماء الذين حسن إعدادهم .

٥ - اللغة العلمية العربية فرض عين على دارسي العلوم والمشتغلين بها عندنا ، أما اللغة العلمية الأجنبية فهي فرض كفاية :

٥-١ ولكن علينا ، ونحن ننادي بأن نجابه واقع الحال وألاّ ندفن رؤوسنا في الرمال ، أن نحذر - في الوقت نفسه - أن نتعالى بها أكثر مما ينبغي نحو عنان السماء . إذ أنه يتحتم علينا أن نحافظ على قنوات الاتصال بالعلم العالمي كلها مفتوحة جارية . وعلينا أن ندرك أن بعض اللغات الأجنبية (خصوصا الإنجليزية) سوف تظل أمدا طويلا وسائل نشر البحوث العلمية والاتصال بالأوساط العلمية العالمية . ومن ثم كان لزاما على الصفوة المختارة للبحث العلمي والدراسات العليا والقيادة العلمية أن تتقن لغة أجنبية . وهذه هي الدائرة الرابعة من دوائر لغة العلم الأربع التي ذكرتها .

٥-٢ والذين يلتحقون بالدراسات الجامعية العليا قلة ، فضلا على تميُّزهم النسبيّ ، وتَحدُّد خط مستقبلهم العلمي والعملي . وهذا كله يجعل العمل على إتقانهم لغة أجنبية أمراً ممكنا من ناحية ، وعملاً مجديا من ناحية أخرى . فهؤلاء هم الذين يطّلعون ويبحثون وينشرون ؛ أما عامة خريجينا فقلما يُطلب منهم ، أو يتاح لهم شيء من هذا . ولهذا ينبغي أن يكون إتقان لغة أجنبية من بين الأهداف البارزة عند إعداد طلاب الدراسات العليا ، وينبغي أن تتخذ كل الوسائل الكفيلة بتحقيقه . ولا بأس من أن يتفرغ أولئك الطلاب زمنا يبذلون فيه جهدا مكثفا لبلوغ هذا الهدف . ومما يشجعنا على هذا الرأي أننا رأينا بعضاً من شبابنا أوفدوا إلى بلد لا يعرفون من لغة أهله شيئا ، وإذا بهم ، بعد أن عُهد بهم إلى مدرسين خبراء بوسائل التعليم اللغوي المستحدثة ، قد أصبحوا بعد أشهر معدودات أكفاء لإنجاز مهامهم العلمية بنجاح . وقد يُنظر في أن تفرض الجامعات على طلاب الدراسات العليا في العلوم أن يحرزوا مستويات محددة في بعض الاختبارات العالمية للغة الإنجليزية . وهذا متبع في بعض البلاد ، وأعتقد ألا غبار عليه .

٥-٣ والعلميون الأكفاء في اللغات الأجنبية واللغة العربية هم الذين يمكن أن يُعهد إليهم بأعمال الترجمة العلمية أو التلخيص والعرض باللغة العربية لنتائج بحوث إخوانهم العرب المنشورة باللغات الأجنبية ، وكذلك

للفيض المتدفق من الأعمال العلمية العالمية . ويُرجع في هذا الأمر للخطة المحكمة التي رسمها أستاذي الدكتور محمود حافظ في بحثه القيم الذي قدمه إلينا بالأمس القريب .

٥-٤ وأخيراً ، أعتقد أنه من الخير أن يُنظر في أن تتفرد إحدى الجامعات المصرية بالعناية بتدريس العلوم باللغة الإنجليزية ، أو أن تخصص شعب معينة في بعض الكليات لهذا الغرض (وهي التي تستقبل الطلاب الوافدين من غير الناطقين بالعربية ، والراغبين من الطلاب المصريين الذين أتموا دراستهم الثانوية في الخارج أو في مدارس اللغات) . وغني عن القول ، أنه يجب أن يُعتنى بأن يتابع طلابنا الذين يدرسون باللغة العربية اهتمامهم باللغة الإنجليزية العلمية في دروس معينة ، وأن تعرض عليهم على الدوام المصطلحات الأجنبية للعلوم التي يدرسونها .

٦ - خاتمة وتوصية :

٦-١ إن تعريب تدريس العلوم في الجامعة أصبح ضرورة ملزمة ، حتى إنْ ظن البعض أنه ليس الوضع الأمثل . والاعتراف بهذه النتيجة هو ما تمليه علينا النظرة الموضوعية العملية الشجاعة للقضية . ونحن لا نكاد نعرف بين أمم العالم ، صغيرها وكبيرها ، أمةً تقدم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى ما يحدث في بعض الجامعات العربية . فلا صعوبةُ كتابة اللغة اليابانية ، مثلا ، ولا صغر وحجم بعض دويلات أوروبا ، مثلا ، قد حالا دون أن تكون اللغة القومية هي لغة تدريس العلوم في تلك البلاد .

٦-٢ وكثيرا ما نسمع أن تعريب تدريس العلوم في الجامعات لا بد أن يكون قراراً سياسياً . وأقول : نعم ، ولكن ينبغي أن يكون هذا القرار صادراً من القيادات الجامعية . فأقترح أن تُجمع آمالنا وآراؤنا في هذا الصدد وتقدم إلى السيد وزير التعليم ، وقد لمسنا تعاطفه مع قضايا اللغة العربية ، برجاء أن يحيل سيادته الأمر برمته إلى المجلس الأعلى للجامعات لكي يضعه موضع الدراسة الجادة الناجزة - في غير تباطؤ أو تعجل - لمجالس الجامعات والكليات والأقسام المعنية به ، توطئة لاتخاذ القرار عن اقتناع وبينة ، وعلى أن يكون من أركان خطة التعريب المقترحة ، الشروع بلا توانٍ في تنفيذها مع دفعة جديدة من الطلاب ، كما تقدم .

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأنت - سبحانك - وليُّ التوفيق .

عبد الحافظ حلمي محمد

عضو المجمع

مراجع :

عبـد الحـافظ حلمى محمد - ١٩٧٦ . « اللغة العربية لغة للعلم » . « مجلة العلم » . القاهرة ، ٣ : ١٧ - ١٩ .

عبد الحـافظ حلمى محمد- ١٩٨٠ - أ . « لغـة تـدريس العـلوم فى الجامعـات » . فى : « تعريب التعليم الجامعى والعالى » - الأمـانة العامة لاتحاد الجـامعـات العربيـة ، القـاهرة : ١٥٣ - ١٥٩

عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٠ - ب . « الفجوة المتوهمة بين الدين والعلم » . المؤتمر السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، القاهرة . الكتاب السنوىّ للمجمع ، ٤٩ (١٩٧٩) : ١٧ - ٣٧ .

عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٨ . « تعريب تدريس العلوم ضرورة ملحة » . رسالة كلية العلوم ، جامعة الكويت ، ٢٠ (١) : ١ - ٢ .

مصطفى الفيلالى - ١٩٨٢ . « نحو استراتيجية للتعـريب فى الـوطن العـربى » . فى : « التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية » . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ٤٦٧ - ٤٩٥ .

G . A. Russell . 1981 ." Islamic Science " In : Dictionary of the History of Science (eds . : W . F . Bynum) E . J . Brown, Ray Porter . The Macmillan Press, London .

* *
* * *

الترجمات والمترجمون

في كتاب «الفهرست» (*)

للأستاذ الدكتور بدوي طبانة

ليس من الجديد أن يقال إن العصر العباسى كان أزهى عصور الحضارة فى تاريخ العرب والمسلمين ، وليس من الجديد أن يوصف هذا العصر بأنه العصر الذهبى فى ذلك التاريخ الذى اتسعت فيه دولتهم ، وتمكن سلطانهم فى الشرق والغرب ، وهم يحملون معهم رسالة الإسلام ، ويرفعون راية التوحيد ، وينشرون أضواء المعرفة ومبادىء الحق والعدل ومكارم الأخلاق ، ليملؤوا الدنيا هداية ونوراً بعد أن امتلأت ضلالة وجوراً وظلاماً .

وكان العلم بغيتهم فى كل مقصد ، وإمامهم فى كل سبيل ، وزادهم فى كل رحلة فى ملكوت الله ، يبذلون ما علمهم الله ، ويطلبون ما عند غيرهم من الأمم التى سبقتهم إلى التحصيل أو التفكير ، وفى تراثها الجيد والردىء ، والحق والباطل ، والنافع والضار .

وقد منحهم الله القدرة على التمييز ، ليأخذوا بأحسن ما يجدون ، ويطرحوا ما لاخير فيه ، ليكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس هداة مهتدين .

وبين أيدينا أثر فى مقدمة الآثار التى تدل على شغف هذه الأمة بتنويع المعرفة ، وولوعهم بتحصيل ما ندَّ منها ، وحرصهم الشديد عليها ، وركوبهم الصعب فى سبيل البحث عنها ، وبذلهم ماغلا من الجهد والمال فى اقتنائها ونقلها إلى لسانهم العربى فى عصر كان يسود فيه ظلام العصور الوسطى فى أوربا وغيرها من بلدان العالم القريب والبعيد .

ويمثل هذا الأثر مفتاحاً من المفاتيح التى تفتح الطريق إلى الكنوز العلمية التى عرفتها الأمة العربية ، وعرفتها البشرية فى أزمنة طويلة امتدت إلى ما قبل وفاة صاحب هذا الأثر ، وأعنى بهذا الأثر أو بهذا المفتاح كتاب « الفهرست » .

(*) ألقى البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

« والفهرست » كلمة فارسية معناها الكتاب الذى تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين . ويقول مؤلفه موضحاً مضمونه فى خطبة كتابه بقوله :

« هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود فيها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم ، وأخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة » .

ومؤلف « الفهرست » هو محمد بن إسحاق النديم ، ذكره ياقوت فى كتابه « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف باسم « معجم الأدباء » (ج ١٨ ص ١٧) بقوله « كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف كتاب « الفهرست » الذى جوَّد فيه واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ، وتحققه لجميع الكتب ، ولا أبعد أن يكون قد كان وراقا يبيع الكتب وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه صنف فى سنة سبع وسبعين وثلثمائة . وله من التصانيف فهرست الكتب ، وكتاب التشبيهات . وكان شيعيا معتزليا » . ا . هـ .

ويقول عنه جرجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية » (ج ٢ ص ٣١٥)

« ابن النديم ، توفى نحو سنة ٣٨٥ هـ ، هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم الوراق البغدادى ، صاحب الفضل الأكبر على تاريخ آداب اللغة ، لأنه أول من دونها منذ نحو ألف سنة فى الفهرست . ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان ، فهو أول من ألف فى آداب اللغة ... » .

* * *

ويتضمن « الفهرست » عشرة أجزاء ، أو عشر مقالات كما سماها المؤلف ، وقد عرض فى كل مقالة منها جنساً من أجناس المعرفة الإنسانية ، وقسم كل جنس منها إلى فنون ، أحصى فى كل فن منها أسماء الكتب التى ألفت فيه ، وأسماء مؤلفيها ، ولم تكن عملية الإحصاء أو الاستقراء عملية هينة كما قد يتصور ، لأنها تتطلب

معرفة واسعة بفنون العلم ، واطلاعا واسعا على مصادر كل فن منها، وذلك مايكبر شخصية ابن إسحاق ، ويدعو إلى الإشادة بقدرته الفائقة على التتبع والاستقصاء ، كما يدل فى الوقت نفسه على عظمة هذه الأمة التى استطاعت عقليتها أن تستوعب تلك المعارف الكثيرة المتنوعة فى فنونها ، والمتعددة فى مصادرها ، وتؤلف فيها حتى خلفت هذا التراث الضخم الذى يبعث على الدهش ، ويثير الإعجاب بما يدل عليه من يقظة الفكر ، والتعلق بالمعرفة ، الذى أثمر هذا الحشد الهائل من كتب التراث التى صنفها الأسلاف فى قرنين أو ثلاثة من القرون ، وهى مساحة محدودة فى حساب الزمان ، وفى تاريخ الحضارات التى لاتؤتى أكلها إلا بعد قرون من الجدّ الموصول .

ومما يدعو إلى الأسى أن كثيراً من تلك المصنفات قد عدت عليه عوادى الزمان ، وما أكثرها فى تاريخ العرب والمسلمين ، ومنها الحروب المدمرة ، والغزوات المتلاحقة الطامعة والحاقدة ، ويكفى سقوط بغداد فى أيدى التتر ، وإلقاؤهم نفائس الكتب يتخذونها معابر لهم فى أمواه دجلة ، ثم الإهمال فى صيانتها ، وتركها لعبث العث والأرضة ،وبيعها لمن يجهل قيمتها ..

وحسب « الفهرست » الذى نجا أكثره من تلك الكوارث أن يكون السجل الباقى الذى حفظ لنا أسماء تلك الآثار العافية ، وعرفنا بموضوعاتها ومضموناتها ، وإن فقدت المسميات وضاع ماكنا ننشده فيها من قطوف العلوم ، وثمرات المعارف .

* * *

وندع تلك المقالات العشر لننفذ إلى ماقصدنا إليه بهذا الحديث ، وهو موضوع مقالة واحدة ، وهى المقالة السابعة التى خصصها ابن إسحق للحديث عن أخبار الفلاسفة والعلوم القديمة والكتب المصنفة فى ذلك ، وهى فنون ثلاثة ، يختص الفن الأول منها بأخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولها وشروحها ، وماذكر منها ولم يوجد ، وماوجد ثم عدم .

وبعد حديث طويل عن عبادة الكواكب ، ونشأتها ، يقرر ابن إسحاق أن الفلسفة كانت ظاهرة فى اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح

عليه السلام ، فلما تنصرت الروم منعوا منها ، وأحرقوا بعضها ، وخزنوا البعض ، ومنع الناس من الكلام فى شىء من الفلسفة ، إذ كانت ضد الشرائع النبوية . ثم إن الروم ارتدت عائدة إلى مذاهب الفلاسفة .. وأخيراً عادت النصرانية إلى حالها ، فعاد المنع من كتب الفلسفة إلى ما كان عليه .

وقد كانت الفرس قد نقلت فى القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية ، فنقل ذلك إلى العربى عبد الله بن المقفع وغيره .

ويستفاد من ذلك أن الترجمة كانت إلى الفارسية أولاً ، ومنها إلى العربية . وأن هذه الترجمة بدأت بكتب المنطق وكتب الطب (٣٣٧) .

ويحكى ابن إسحاق عقب ذلك حكاية أخرى ، وهى أن خالد بن يزيد بن معاوية كان يسمى « حكيم آل مروان » وكان فاضلاً فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، فخطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصّح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى .

قال : وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة إلى لغة (٣٣٨)

وكانت بين المأمون وملك الروم مراسلات فكتب إليه يسأله الإذن فى إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلماً صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل . ويقال إن يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ إلى بلاد الروم .

وأضاف محمد بن إسحاق أن ممن عنى بإخراج الكتب من بلد الروم محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم . وبذلوا الرغائب ، وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلد الروم ، فجاءوهم بطرائف الكتب ، وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب . وكان قسطا بن لوقا البعلبكى قد حمل معه شيئاً فنقله ونقل له .

ونقل ابن إسحاق عن أبى سليمان المنطقى السجستانى أن بنى المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم حنين بن إسحاق ، وحبيش ابن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم ، نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة كل شهر .

وذلك مثال واحد من الأمثلة التى ساقها ابن إسحاق ليدل على مدى حب القوم للبذل ، وسخائهم فى العطاء لنقلة العلوم فى سبيل توجيه الفكر العربى لارتياد آفاق جديدة من المعرفة تضاف إلى تلك الآفاق التى ورثوها من أصول الثقافة العربية والإسلامية .

وأحصى عدداً كبيراً من النقلة إلى اللسان العربى منهم :

اصطفن القديم الذى نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها .

والبطريق وكان فى أيام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة ، وابنه أبو زكريا يحى بن البطريق ، وكان فى جملة الحسن ابن سهل .

والحجاج بن مطر ، فسر كتباً للمأمون ، وهو الذى نقل المجسطى وإقليدس .

وسلام الأبرش من النقلة القدماء فى أيام البرامكة ، ويوجد بنقله « السماع الطبيعى » .

وحبيب بن بهريز مطران الموصل ، فسر للمأمون عدة كتب .

وأيوب الرهاوى ، وسمعان ، فسّرا زيج بطليموس لمحمد بن خالد بن يحى بن برمك ، وغير ذلك من الكتب القديمة .

وابن شهدى الكرخى ، نقل من السريانى إلى العربى « نقلا رديئاً » ، فمما نقل كتاب « الأجنة » لبقراط .

وأبو عمر يوحنا بن يوسف الكاتب أحد النقلة ، ونقل كتاب أفلاطون فى آداب الصبيان .

وأيوب بن القاسم الرقى، نقل إلى العربية ، ومن نقله كتاب إيساغوجى . ومرلاحى ، قال ابن إسحاق « إنه فى زماننا » وقال إنه جيد المعرفة بالسريانية « عفطى » الألفاظ بالعربى ، (١) ينقل بين يدى على بن إبراهيم الدهكى من السريانية إلى العربية .

(١) يقال « عفط فى كلامه » إذا تكلم بالعربية ولم يفصح ، والعفّاط كشداد الألكن .

وقسطا بن لوقا البعلبكى جيد النقل ، فصيح باللسان اليونانى والعربى والسريانى ، وقد نقل أشياء وأصلح نقولا كثيرة .

وكذلك أحصى ابن إسحاق أسماء النقلة من الفارسية إلى العربية .

وفى مقدمتهم عبد الله بن المقفع ، وآل نوبخت ، وموسى ويوسف ابنا خالد ، وكانا يخدمان داود بن عبدالله بن حميد بن قحطبة ، وينقلان له من الفارسية إلى العربية ، وعلى بن زياد التميمى ، نقل من الفارسى إلى العربى ، فمما نقل زيج الشهريار ، وإسحاق بن يزيد نقل من الفارسى إلى العربى ومما نقل كتاب « سيرة الفرس » المعروف باختيار نامه كما ذكر جماعة من نقلة الهند والنبط ، منهم منكة الهندى نقل من اللغة الهندية إلى العربية ، وابن دهن الهندى وكان إليه بيمارستان البرامكة نقل من اللسان الهندى إلى اللسان العربى .

وكان ابن وحشية ينقل من النبطية إلى العربية .

* * *

وقد عنى ابن إسحاق عناية بالغة بعلماء اليونان ومفكريهم فى شتى ضروب الفكر ، وبالفلاسفة منهم على وجه الخصوص ، فروى ماعرف من تاريخ حياتهم ، وأورد أطرافاً من أخبارهم ، وتحدث عن بيئاتهم وأساتذتهم وتلامذتهم ، كما بسط آراءهم الفلسفية ، وأحصى مؤلفات كل منهم ، وذكر ما كان موجوداً منها ، ونبه على ما كان منها مفقوداً ، وما نقل منها إلى العربية مباشرة ، وإلى السريانية ومنها إلى العربية ، كما أحصى النقلة والمترجمين من السريان وغيرهم .

ومايزال ما اشتملت عليه تلك التآليف التى فصلها ابن إسحاق فى « الفهرست » فى مقدمة المصادر التى يعتمد عليها ويقبس منها دارسو الفلسفة ومؤرخو التفكير الإنسانى إلى أيامنا . واستطاع ابن إسحاق أن يقدم للقارىء العربى زاداً دسماً من المعارف الإنسانية فى مختلف العلوم والفنون .

ومن أهم ما يتميز به « الفهرست » أن مؤلفه يعمد إلى توثيق أخباره ، ويحرص على نسبة كل رواية إلى راويها وكل قول إلى قائله .

ومن أمثلة ذلك ما يذكره من سؤاله أبا الخير بن الخمار بحضرة أبى القاسم عيسى ابن على عن أول من تكلم فى الفلسفة فقال : زعم فرفوريوس الصورى فى كتابه « التاريخ » وهو سريانى ، أن أول الفلاسفة السبعة ثالس ابن مالس الإمليسى ، وقد نقل من هذا الكتاب مقالتين إلى العربى فقال أبو القاسم : كذا هو ، وما أنكره !

وقال آخرون : إن أول من تكلم فى الفلسفة . بوتاغورس بن ميسارخس من أهل ساميا .

وقال « فلوطرخس » إن « بوتاغورس » أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم .

قال ابن إسحاق : والذى رأيناه لبوتاغورس من الكتب : رسالته فى السياسة العقلية ، ورسالته إلى متمرد سقلية ، ورسالته إلى « سيفانس » فى استخراج المعانى . وقد تصاب هذه الرسائل بتفسير « إمليخس » .

قال : ثم تكلم بعد ذلك على الفلسفة سقراط بن سقراطيس من أهل مدينة أثينة ، مدينة العلماء والحكماء ، بكلام لم يدروا منه كبير شيء ، وكان زاهداً خطيباً حكيماً ، وقتله اليونانيون لأنه خالفهم .

وينقل ابن إسحاق ماكتب عن أفلاطون من كتاب فلوطرخس :

ويقرر أنه رأى بخط يحى بن عدى أن « سوفسطس » ترجمة إسحاق بن حنين بتفسير ألا مفيدوس .

وكذلك يحصى كتب أفلاطون وما أكثرها ، ويحصى أسماء مترجميها وأسماء من قاموا بتصحيح شيء من هذه الترجمات .

ثم يتحدث عن أرسطاليس حديثاً طويلاً يفصل فيه تاريخ حياته ووصاياه قبل موته ، ثم يفيض فى ذكر مؤلفاته ومترجميها .

وقد أخطأ فى قوله إن معنى أرسططاليس « محب الحكمة » ، وإنما هى معنى لكلمة « فيلسوف » التى تتركب من كلمتين هما « فيلوس » ومعناها « محب » و « صوفيا » ومعناها « الحكمة » . ، ويقال إن أول من سمى نفسه « فيلسوفا » هو سقراط أستاذ أفلاطون ، وكان « أرسططاليس » أعظم تلاميذ أفلاطون . وقد لقب سقراط نفسه « فيلسوفا » تواضعا وتمييزا له عن السفسطائيين الذين كانوا يقولون إنهم وحدهم « الحكماء » !

ثم يأخذ ابن إسحاق فى ترتيب ما وقف عليه من تراث أرسطو فى المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاقيات ويبدأ بكتبه المنطقية ، وبعدها ثمانية كتب : « القاطيغورياس » ومعناها المقولات ، و « باري إرمانياس » ومعناها العبارة ، و « أنا لوطيقا » ومعناها تحليل القياس ، و« أبودقطيقا » وهو « أنا لو طيقا الثانى » ومعناه البرهان ، و « طوبيقا » ومعناه الجدل ، و« سوفسطيقا » ومعناه المغالطة أو الحكمة المموهة ، و « ريطوريقا » ومعناه الخطابة ، و « أبو طيقا » ويقال « بوطيقا » ومعناه الشعر .

ثم يأخذ فى بيان المترجمين والمفسرين ، فيبدأ بالقاطيغورياس ، ويقول إنه قد ترجمه حنين بن إسحاق ، وقد شرحه وفسره كثيرون منهم فرفوريوس ، وإصطفن الإسكندرانى ، ويحيى النحوى ، وأمونيوس ، وثامسطيوس ، وسنيسليقوس ، وترجمة سريانية وأخرى عربية لرجل يعرف بشاون وأبو نصر الفارابى ، وأبو بشر متى بن يونس .

قال : ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجرة وغير مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع ، وابن بهريز ، والكندى ، وإسحاق بن حنين ، وأحمد بن الطيب الرازى . وهذا الكتاب بتفسير الإسكندر الأفروديسى نحو ثلاثمائة ورقة .

وينتقل إلى « بارى إرمنياس » « أى كتاب العبارة » الذى نقله حنين إلى السريانى ، ونقله إسحاق إلى العربى ، وفسره الإسكندر الأفروديسى - وتفسيره غير موجود - كما فسره يحى النحوى ، وإمليخس ، وفرفوريوس ، واصطفن ، ولجالينوس تفسير - وهو غريب غير موجود - وفسره أيضا قويرى، ومتى بن يونس ، والفارابى ، واختصره حنين ، وإسحاق ، وابن المقفع ، والكندى ، وابن بهريز ، وثابت بن قرة ، وأحمد بن الطيب الرازى .

ثم إلى كتاب أنا لوطيقا الأول ، فكتاب أنا لوطيقا الثانى الذى نقل حنين بعضه إلى السريانى ، ونقله كله إسحاق إلى السريانى أيضاً ، ونقل متى نقّل إسحاق إلى العربى .

ثم إلى الطوبيقا الذى نقله إسحاق إلى السريانى ، وترجم يحيى بن عدى نقله إلى العربى .

وأما كتاب السوفسطيقا أى الحكمة المموهة فقد نقله إلى السريانى ابن ناعمة ومتّى بن يونس ، ونقله عن السريانى يحيى بن عدى إلى العربى .

وأما الريطوريقا ومعناه الخطابة ، فقد قال إنه يصاب بنقل قديم ، وقيل إن إسحاق نقله إلى العربى ، ونقله إبراهيم بن عبد الله ، وفسره الفارابى - أبو نصر .

قال ابن إسحاق : رأيت بخط أحمد بن الطيب : هذا الكتاب نحو مائة ورقة بخط قديم .

وأما البويطيقا ومعناه الشعر فقد نقله متّى من السريانى إلى العربى ، ونقله يحيى ابن عدى . وقيل إن فيه كلاماً لثامسطيوس ، ويقال إنه منحول إليه ، وللكندى مختصر فى هذا الكتاب .

* * *

وعلى هذا النحو يمضى ابن اسحاق فى إحصاء مصنفات المعلم الأول . والتعريف بها ، وإحصاء ترجماتها وذكر مترجميها .

ثم يفرد لذكر كل مترجم من أولئك المترجمين ترجمة خاصة ، يجمع فيها ما قام بترجمته أو تفسيره من كتب اليونان أو الفرس أو الهنود ، ويحصى تآليف هؤلاء المترجمين وما ترجموه ، لأنهم كانوا بالإضافة إلى تمكنهم من لغات الأمم التى ترجموا شيئاً من تراثها الفكرى ، واللغة السريانية أو العربية التى ترجموا إليها ذلك التراث ، كانوا بالإضافة إلى ذلك علماء شجعتهم قراءاتهم الواعية على سعة المعرفة ، والقدرة على الاستقلال بالتأليف .

وهناك ظاهرة تسترعى الانتباه ، وهى تعدد المترجمين للأثر الواحد وكثرتهم .

وكثيراً ما يكون أولئك النقلة فى زمن واحد . ومعنى ذلك أن كل ناقل اطلع على نقل غيره من سبقه إلى النقل ، ورأى فى ذلك النقل ضعفاً أو نقصاً أو خللا ، فدفعه الحرص على سلامة النص ، وصحة الترجمة إلى إكمال النقل وتدارك النقص ، وتصويب الخطأ .

ولم يقف صنيع ابن إسحاق عند هذا الجهد المضنى الجبار الذى بذله فى البحث ومحاولة الاستقصاء والجمع لتلك الآثار من تراثنا العربى والإسلامى ومن تراث الإنسانية فى سائر المعارف التى عرفها الإنسان قبل وفاته

أو قبل السنة التى ألف فيها كتابه ، وهى سنة ٣٣٧ هـ ، فإن له فضل التقسيم والتنسيق الذى ييسر للقارىء سبيل التتبع لتاريخ العلوم وتطورها فى لغة علمية سهلة يظهر فيها حب الإنصاف والتجرد من هوى النفس ومن أثر التعصب لعمل من الأعمال ، أو شخصية من الشخصيات التى عرض لها ، أو جنس من الأجناس .

وله كذلك فضل الإشارة إلى ما وقف عليه بنفسه ، وما نقله عن غيره وإلى ما هو موجود ، وما هو مفقود من ذلك التراث الضخم الذى أحصاه ، وهو يعز على الإحصاء .

وكان ابن إسحاق بالإضافة إلى هذه الخبرة والمعرفة ذا بصيرة أعانته على التحقيق والتقدير والتقويم ، فهو يقول مثلاً فى الكلام على « كتاب النفس » من تراث أرسطو إنه ثلاث مقالات ، نقله حنين إلى السريانى تامًّا ، ونقله إسحاق إلا شيئاً يسيراً ، ثم نقله إسحاق نقلاً ثانياً تاماً ، جوّد فيه ، وشرح « ثامسطيوس » هذا الكتاب بأسره .. (٣٥١) .

ويقول فى الكلام على كتاب « الحس والمحسوس » هو مقالتان ، لا يعرف له نقل يعوّل عليه ، ولا يذكر ، والذى ذكر أن شيئا يسيراً علقه الطبرى عن أبى بشر متّى بن يونس (٣٥٢) .

ويقول فى الكلام على كتاب « الحيوان » : وهو تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق ، وقد يوجد سريانى نقلاً قديماً أجود من العربى ، وله جوامع قديمة . كذا قرأت بخط يحيى بن عدى فى فهرست كتبه ، ولنيقولاوس اختصار لهذا الكتاب من خطى يحيى بن عدى .. (٣٥٢) .

ويقول فى الكلام على « أبو ديقطيقا » : وهو أنا لوطيقا الثانى مقالتين نقل حنين بعضه إلى السريانى ، ونقل إسحاق الكل إلى السريانى ونقل متّى نقْل إسحاق إلى العربى ... (٣٤٨)

وقال عن ابن شهدى الكرخى إنه نقل من السريانى إلى العربى « نقلا رديئاً » .

وقال عن « مرلاحى » إنه جيد المعرفة بالسريانية « عفطى الألفاظ » بالعربية !

سيدى الرئيس الجليل ، إخوتى صفوة أهل المعرفة :

تتيح لى هذه المناسبة التى أتحدث إليكم فيها عن كنز من كنوز المعرفة أن أعرض عليكم قضية أشعر أنها تحتاج إلى رأى حاسم تعيدون فيها الحق إلى نصابه ، وتردون من أخطأ إلى الصواب ، وتزيلون وهما علق بالأفهام حتى ظنّ أنه اليقين الذى لا شبهة فيه.

فقد وهم المستشرق فلوجل الذى طبع « الفهرست » للمرة الأولى فى ليبزج سنة ١٨٧٢ م ونسبه لابن النديم ، ونقل عنه مصطفى محمد طبعته الثانية سنة ١٩٣٠ م ، ونسبه كذلك إلى ابن النديم ، وورد عنوان الكتاب فى الطبعتين هكذا (الفهرست لابن النديم) وعمت تلك النسبة سائر المؤلفات التى عرضت لهذا الكتاب ، حتى أثبتها جرجى زيدان كذلك (تاريخ آداب اللغة العربية ٣١٥/٢) .

وأذكر أنى حضرت ندوة فى الرياض فى دار صديقنا العالم الأديب المرحوم عبد العزيز الرفاعى ، ذكر فيها « الفهرست » منسوباً إلى (ابن النديم) .

وما كان لى أن أسكت على خطأ أعرف وجه الصواب فيه ، فقلت إنه (النديم) وليس (ابن النديم) ، ولم يرق هذا القول لواحد من الحاضرين ، فكتب فى إحدى الصحف يفند ما قلت ، ويقول إنه رجع إلى نسخته الخاصة التى أكدت له إن الكتاب لابن النديم كما هو مسجل على ظاهره ، وقلت فى ردّى عليه إنه مصدق فيما قال ، بل أؤكده بأن نسختى الخاصة تحمل اسم (ابن النديم) كما تحمله نسخته .. وقلت : ماذا يحسب لى من الفضل إذا قلت إن مؤلف الفهرست هو النديم ؟ وماذا يحسب من الفضل لمن يقول إنه (ابن النديم) .

لا شىء ؛ لأن المسألة فى حقيقتها مسألة سماعية أو (توقيفية) وليست من المسائل (الاجتهادية) التى يقول فيها كل واحد برأيه .

والحقيقة أن ما صرحت به فى تلك الأمسية لم يكن إلا شيئاً من رواسب الذكريات وقليلاً من الفوائد التى وعيتها عن بعض أساتذتى المحققين ، رحمهم الله جميعاً ، وقد كان مما وعيت عنهم أن (النديم) هو محمد بن إسحاق ، وليس أباه .

وبهذه الحقيقة كنت أقول . وبها كنت أرد من أخطأ إلى الصواب .

فلما كتب الشيخ كلمته كان عليّ أن أبحث عن الدليل ، وإلا كنت كالمدعى بغير بينة ، ولن يشفع لى عند الناس أن أقول إننى أخذتها عن أساتذتى المحققين .

وأسرعت إلى كتب الطبقات ، وكان أقرب ما عثرت عليه منها كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المعروف باسم (معجم الأدباء) فوجدت فيه ما نصه مضبوطا :

محمدُ بن إسحاقَ النديمُ ..

كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف كتاب (الفهرست) الذى جود فيه ، واستوعب استيعابا يدل على اطلاعه على فنون من العلم .. (معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٧) طبعة دار المأمون .

وقد أدخل عليّ ضبط كلمة (النديم) بالضم كثيراً من الاطمئنان . لأنها بهذا الضبط تكون صفة لمحمد (المرفوعة) وليست لإسحاق (المجرورة) وبخاصة أن هذه الطبعة حققها عالمان كبيران هما المرحومان أحمد يوسف نجاتى ، وعبد الخالق عمر .

ومع ذلك خشيت أن يظن ظانّ أن ضبط (النديم) من أخطاء الطباعة فوقع بين يديّ كتاب (الأعلام) للمرحوم خير الدين الزركلى فقرأت فيه ما نصه :

(اشتهر صاحب الترجمة بابن النديم إلا أن محقق طبعة (الفهرست) فى طهران (شعبان سنة ١٣٩١ هـ) رضا - تجدد نبه إلى أنه هو (النديم) لا (ابن النديم) وصوّر الصفحة الأولى من مخطوطة نفيسة فى تشستربتى جاء اسم الكتاب فيها (الفهرست للنديم) وعلى هامشها من اليمين بخط المؤرخ أحمد بن على المقريزى ما نصه (مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج بن أبى يعقوب إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق المعروف بالنديم) (الأعلام ج ٦ ص ٢٩) طبعة دار العلم للملايين ١٩٧٩ م .

وبحثت عن طبعة طهران التى أشار إليها المرحوم خير الدين الزركلى لأقف عليها بنفسى، وكان من توفيق الله تعالى أننى عثرت على نسخة منها .

والكتاب مطبوع فى مطبعة (دانشكاه) طهران ، فى شعبان سنة ١٣٩١ هـ (أكتوبر

سنة ١٩٧١ م) وعدد صفحات هذه الطبعة ٦٠٢ من القطع الكبير .. والمحقق هو (رضا- تجدد بن على بن زين العابدين الحائرى المازندرانى) . وقد كتب فى مقدمته (إن الذى سهل على (النديم) قيامه بهذا العمل كونه وراقا ، والوراقون أخبر الناس بالكتب وموادها ..) .

ثم أشار إلى الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى طبعة جوستاف فلوجل - ليبزج - ألمانيا سنة ١٨٧٢ م وفى الطبعة المصرية ، واعتمد المحقق فى تحقيقه على مخطوطة تشستربتى رقم ٣٣١٥ بدبلن عاصمة أيرلنده الجنوبية ومخطوطة شهيد على باشا رقم ١٩٣٤ بمكتبة السليمانية بإسلامبول ، بالإضافة إلى ما أفاده من فلوجل .

وقد طبع على ظاهر الكتاب اسمه هكذا : كتاب الفهرست للنديم .

أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ..

وقد صورتُ صفحة العنوان كما صورتُ الصفحة الأولى من مخطوطة تشستربتى ، وعلى يمينها ترجمة مختصرة للنديم (مؤلف الفهرست) نصها :

(مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق المعروف بالنديم .. روى عن أبى سعيد السيرافى وأبى الفرج الأصفهانى وأبى عبد الله المرزبانى وآخرين ، ولم يرو عنه أحد ، وتوفى يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة ببغداد ، وقد اتهم بالتشيع ، عفا الله عنه) :

وهذه الترجمة بخط الشيخ أحمد بن على المقريزى .. وبجوارها عبارة تملكه للمخطوطة بخطه أيضاً ، مما يؤكد أن المقريزى قد قرأ هذا الأصل الذى اعتمد عليه الناشر فى التحقيق .

ولعل فى هذا كله ما يكفى لتبين وجه الصواب، والاطمئنان إلى أن مؤلف (الفهرست) هو (النديم) وليس (ابن النديم) .

بدوى طبانة

عضو المجمع

* *

* * *

كتاب الفهرست للنديم

أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب اسحق المعروف بالوراق
المتوفى ببغداد سنة ٣٨٠ هـ

تحقيق

رضا - تجدّد

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

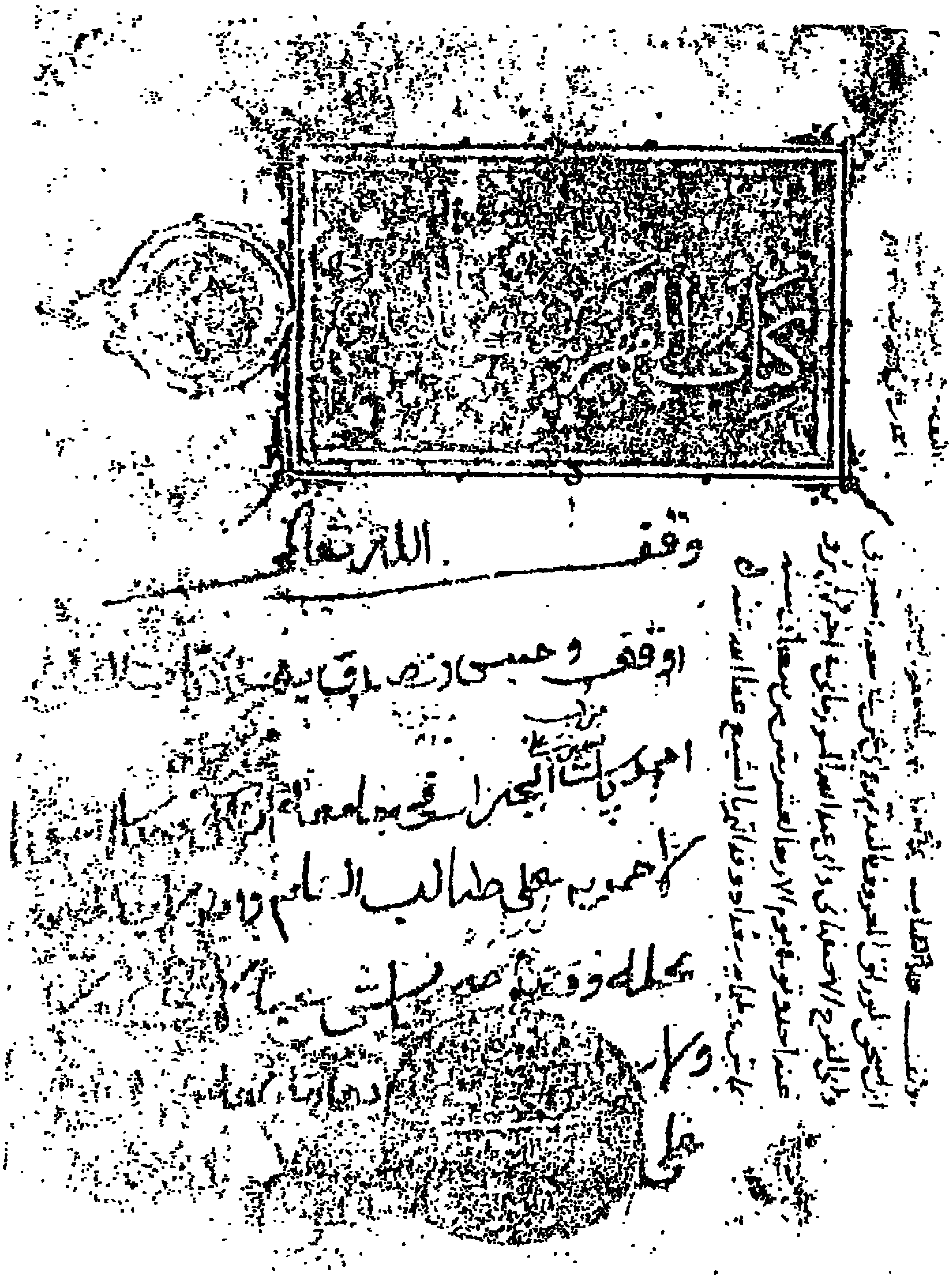

(١)

الصفحة الاولى من مخطوطة چستر بيتي

نماذج من تقارض الصيغ
في مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي *

للأستاذ الدكتور أمين على السيد

سوّى علماء اللغة بين المضعف والمضاعف ، ولم يفرقوا بينهما فى الاستعمال ، وقد جاء ما يؤيد هذا فى كتاب سيبويه وفى المقتضب للمبرد وفى غيرهما من مؤلفات السابقين . وفى لسان العرب لابن منظور : « والعرب تقول : ضاعفت الشيء وضعفته بمعنى واحد » ومثل هذا جاء فى القاموس المحيط .

وهم يقولون : مضعف الثلاثى أو مضاعف الثلاثى ، كما يقولون : مضعف الرباعى أو مضاعف الرباعى . فيتعين أحدهما بالإضافة ، وقد يتعين بالوصف ، فيقولون : الثلاثى المضعف أو المضاعف . وكذلك الرباعى[1] .

ومضعف الثلاثى ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، كما عرفه سيبويه بقوله : « والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد ، وذلك نحو : رددت ... » (الكتاب ٣ : ٥٢٩ ، ٥٣٠) ومثل هذا فى المقتضب للمبرد (١ : ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

ومضعف الرباعى ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر ، نحو عسعس ، زلزل ، كبكب ، وسوس .

وتقارض هاتين الصيغتين يعنى تحويل كل منهما إلى الأخرى مما لم يرد عن العرب اشتراكه فيهما ، فنحول ما انفرد به مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى ، ونحول ما انفرد به مضعف الرباعى إلى مضعف الثلاثى . وهذا يضيف إلى مفردات اللغة ما يزيد على مائتى كلمة إذا طبقناه حرفيا ، لكن بعض الكلمات قد تأبى هذا التحويل للاستثقال أو غيره .

فقد ورد فى القاموس المحيط من المشترك ما يزيدعلى ثلاثمائة وستين مادة لغوية،

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ أبريل سنة ١٩٩٤ م

(١) خصص الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين المضعف بالثلاثى ، كما خصص المضاعف بالرباعى .

استعملت من مضعف الثلاثى . كما استعملت من مضعف الرباعى ، إما بمعنى واحد ، وإما بمعان مختلفة .

وما ورد فيه مما انفرد به مضعف الثلاثى مائة وأربعون وثلاث مواد ، ومما انفرد به مضعف الرباعى ستون وخمس مواد .

فجملة هذه الأنواع الثلاثة ثمان وستون وخمسمائة مادة ، النسبة المئوية للمشترك منها (٦٣,٤) ولما انفرد به مضعف الثلاثى (٢٥,٤) ولما انفرد به مضعف الرباعى (١١,٢) وقد اقتربت الصيغ التى جاءت مشتركة من ثلثى المجموع ، ولنا أن نستنبط من هذا أن اشتراك مضعف الثلاثى ومضعف الرباعى فى المادة اللغوية الواحدة كان هو الأصل ، وأن ما انفرد بإحدى الصيغتين يمكن رده إلى هذا الأصل ما لم يمنع من ذلك مانع .

ويؤيد هذا الاستنباط من أقوال السابقين :

* ما عزى إلى سيبويه وأصحابه من أن وزن « ربرب » ونحوه : « فعّل » فأصله : « ربّبَ » أبدل الوسط حرفا من جنس الأول ، وفى الكتاب (٤ : ٤١٧) : « اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحرف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد » وفى نص سيبويه بيان لتحويل مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى .

* وقول ابن فارس (المزهر ١ : ٢٠٠) : أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن للغة العرب قياسا ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض »

* وقول ابن جنى فى الخصائص (١:٣٠٨): ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى سمتهم آخذين ، وبألفاظهم متحلين ، ولمعانيهم وقصودهم آمين - جاز لصاحب هذا العلم الذى جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ووسم أغفاله ... أن يرى فيه نحوا مما رأوا ، ويحذوه على أمثلتهم التى حذوا ... لاسيما والقياس إليه مصغ وله قابل ، وعنه غير متثاقل .

* وفى الجلسة الثالثة والجلسة الرابعة فى المؤتمر فى الدورة الحادية عشرة :

وافق المؤتمر على ما يأتى :

لما كان نقل المجرد الثلاثى إلى صيغة فعّل يفيد معنى التعدية أو التكثير أو النسبة أو السلب ، أو اتخاذ الفعل من الاسم - يرى

المجمع أنه يجوز استعمال هذه الصيغة ليؤدى الفعل أحد هذه المعانى عندما تدعو الحاجة إلى تأديته ، وإن لم ينص على هذه الصيغة ، على ألا يقر المجمع نهائيا مثل هذه الكلمات إلا بعد تمحيصها .

ووافق المؤتمر تطبيقا لهذا القرار على صحة الألفاظ المستعملة الآتية :

خدّر -حضّر - شخّص- جسّم- حلّل-شرّع.

هذا ما أُقِرّ من قبل ، ويمكن أن نضيف إليه أن الفعل الثلاثى المجرد الذى أجاز المؤتمر نقله إلى صيغة فعّل قد يكون من مضعف الثلاثى ، كما فى الفعل الذى أقره المؤتمر (حَلّل) فإن الثلاثى منه حَلّ ، فلما ضعفت عينه صار : حلّل ، وهذه الصيغة يمكن تحويلها إلى « حلحل » وقد جاء فى القاموس المحيط : وحلحلهم : أزالهم عن موضعهم .

وهذا مما يمكن الاستئناس به فى تحويل مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى ، كما نقل الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين عن الجوهرى - أنه يؤكد العلاقة بين النوعين ويقرر أن الثلاثى أصل للرباعى ، فالفعل : سغسغ ناتج من التصرف فى سَغّغَ بتحويله إلى : سَغّغ ، ثم تقلب الغين سينا فتكون : سغسغ ... وهكذا .

رأىٌ فى رد مضعف الرباعى إلى مضعف الثلاثى .

ينبغى الإبقاء على مضعف الرباعى من باب الهمزة كما هو دون أن نحاول رده إلى مضعف الثلاثى لثقل الهمزة المشددة فى آخر الكلمة ، وقد ورد من ذلك خمس وعشرون مادة لغوية هى .

بأبا - تأتأ - ثأثأ - جأجأ -حأحأ - دأدأ- ذأذأ - رأرأ - زأزأ -سأسأ - شأشأ - صأصأ- ضؤضؤ - طأطأ- ظأظأ - الغأغاء- الفأفاء - القأقاء - كأكأ - اللؤلؤ - مأمأ- نأنأ - الوأواء - هأهأ - يأيأه يأيأةً : أظهر ألطافه .

ثم ننظر فيما بعدها وعددها أربعون مادة لغوية لكى نختار منها ما يمكن أن يستساغ كى نلحقه بالمشترك من مضعف الثلاثى ومضعف الرباعى ، وقد هديت إلى تحويل ما يأتى :

الظبظاب : الوجع والعيب ، وظبظب الرجل : حُمّ .

يمكن إرجاع هذه المادة إلى وزن فُعال المختص بالداء ، فنقول :

ظُباب ثم نشتق منها الفعل: ظَبَّ ، بمعنى : حَمّ . فتصبح هذه المادة من المشترك .

الذخذاخ : المنقّب عن كل شيء ، وإذا كان الفعل منها : ذخذخ بمعنى: نَقَّبَ فإن استعمال : ذخّ بهذا المعنى لا غبار عليه ، استصحابا للأصل .

الوذوذة : السرعة ، والفعل منها : وذوذ ، بمعنى : أسرع ، واستعمال الثلاثي (وذّ) بمعنى أسرع رجوع إلى الأصل .

الوشوشة : الخفة .. وهو وشواش ... وتوشوشوا : همس بعضهم إلى بعض، وإذا جردنا الفعل من التاء ورددناه إلى مضعف الثلاثي لم يكن هناك مانع من استعماله ، فيقال : وَشّ بمعنى : أحدث صوتا ، وقد استعمل هكذا .

الزعزعة : تحريك الريح الشجرة ... وتزعزع : تحرك . وعند تجريده من الزيادة ورده إلى مضعف الثلاثي يصير : زَعّ ، ويقال منه : زعّه زعا ، بمعنى حركه .

التغتغة فى الكلام : ترديده دون بيان ، ويمكن أن نقول : تَغّ بمعنى تغتغ .

الثغثغة فى الكلام : التخليط فيه ، ويصح أن نقول : ثغ بمعنى ثغثغ .

الدغدغة : دغدغه بكلمة : طعن عليه . وربما كان مضعف الثلاثى من هذه المادة أكثر دلالة على الطعن من هذا ، فنقول : دغّه، بمعنى : طعن عليه .

السَّغسغة : سغسغ الشيء : حركه من موضعه كالوتد ونحوه، وتسغسغت ثنيته : تحركت ، ولا يمنع مانع من استعمال: سغّ الشيءَ بمعنى حركه .

النُّغنغ : الأحمق الضعيف ، وهى بهاء . وفى اللسان : ابن برى : النَّغنغ : الحركة ، قال رؤبة :

وهى ترى الأعلاق ذات النَّغنغ

ولابأس باستعمال نَغّ بهذا المعنى الذى نقل عن ابن برى .

التُقتقة : الحركة وسير عنيف ، وتقتق من الجبل : وقع ... وفى الجمهرة (١ : ٤١) : وقالوا : تقّ تقا ، ثم أميت ، ورد إلى بناء جعفر فى الرباعى ، فقالوا : تقتق ، وقالوا : تتقتق الرجل من الجبل إذا انحدر يهوى حتى يوافى الأرض على غير طريق .

وما جاء فى الجمرة غنى عن التعليق ، فليس لنا إلا أن نحيى ما أميت .

الثقثقة : التكلم بكلام الحماقة ، وقياسها على ما قبلها لا بأس به ، ولعلها كانت فى الأصل : ثقّ ، ثم أميتت

الذقذاق : الحديد اللسان الذى فيه عجلة .

وإذا كان الفعل منها ذقذق من مضعف الرباعى فلا مانع من رده إلى مضعف الثلاثى، فنقول : ذَقّ

الوكوكة فى المشى : التدحرج ، والفعل من مضعف الرباعى : وكوك يمكن رده إلى مضعف الثلاثى ، فنقول : وكّ فى المشى ، بمعنى تدحرج .

النهنهة عن الأمر : الكف والزجر - نهنه عن الأمر ، فتنهنه : زجره وكفه فكُفّ ، وأصلها : نَهّهَهُ ، كما فى المعاجم .

وهذا الأصل هو الطريق الذى يجوز لنا رده إلى مضعف الثلاثى فنقول: إنهم استثقلوا التضعيف فقلبوا الوسط حرفا من جنس الأول ، فالأصل الثلاثى : نَهّ ومعناه : كف وزجر ، كمعنى الرباعى : « نهنه » فتصبح هذه المادة من المشترك .

وبيان ما انفرد به مضعف الرباعى آت فى الصفحات من ٤٨ - ٥٢ ولنا أن نعيد النظر فيه لنرى ما يمكن رده إلى مضعف الثلاثى .

ورأى فى صوغ مضعف الرباعى من مضعف الثلاثى .

وهذا فيما انفرد به مضعف الثلاثى، وأمره يسير لأنه قد جاء على الأصل الغالب فى اللغة ، وهو ثلاثة أحرف ، وزيادة حرف أو أكثر على الثلاثى قد وردت كثيرا ، وليس تحويل

مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي إلا تطبيقا لقول الكوفيين عن مضعف الرباعي (الهمع ٢ : ٢١٦) : « إن هذا الباب ونحوه ثلاثي ، أصله : فَعَّل فاستثقل التضعيف ، فحالوا بين المضاعفين بحرف مثل فاء الفعل» .

وقد رأيت أن تستبعد الأسماء الجامدة التي لا توجد أفعال من مادتها ، لأن تحويلها لا يفيد شيئا في اللغة ، ولأنه تغيير للأسماء عن أصل وضعها فالأبّ مثلا بمعنى المرعى أو ما أنبتت الأرض لا نغيرها ، أما قولهم : أبّ للسير بمعنى تهيأ له ، فمن الممكن أن نغيرها ونضمها إلى المشترك ، فنقول : أبأب للسير بنفس المعنى المذكور .

والقُبّ كجُبّ : موضع بالكوفة - لا يغير لأنه اسم جامد ، لأنه لم يرد منه فعل ، ولأن تحويله لا يفيد شيئا ، بل إنه تغيير لاسم موضع معروف ، وهذا غير جائز .

وأتّه أتا : غلبه بالحجة ، وأتّ رأسه : شدخه . وهذا الفعل يقبل أن تضعف عينه فنقول : أتّتَ ، ثم نحول بين المضاعفين بحرف مثل فاء الفعل ، فيصير : أتأت ، بنفس المعنى .

وبَتّ معناها : انبت ، وقد ذكر المكرر (بَتْبَتَ) ابن دريد في الجمهرة ، وقال : إنه مهمل : ولكي نضيف هذا المهمل إلى معجم اللغة ينبغي أن نستعمله ، فنقول : بَتْبَتَ بمعنى انبت .

الثّتّ : الشق في الصخرة - لا يغير لأنه اسم جامد .

الجتّ : جس الكبش ليعرف سمنه من هزاله، والفعل منه : جَتّ الكبش وليس هناك مانع من نقله إلى مضعف الرباعي ، فنقول : « جتجت» بنفس المعنى ، وقد نحس في « جتجت » دلالة على تكرار الجس .

الختّ : الطعن مداركا .. والختت - محركة- الفتور في البدن ، وأَخَتّ : استحيا وأَخَتّ فلانا : أخس حظه .

وختخت مضعف الرباعي يمكن أن يدل على نفس المعاني المذكورة ، ولا مانع من نقله إلى المشترك .

الزّتُّ والتزتيت : التزيين ، والتزتت التزيُّن .
والفعل من الزتّ : زتّ ، ومن التزتيت: زتّت ، ومن التزتت : تزتت ،
وإذا طبقنا قاعدة الكوفيين على زتّت – صارت : زَتْزَتَ ، وهى أخف من تشديد التاء ، ثم نضمها إلى المشترك .
شتّ يشت شتا وشتاتا وشتيتا : فرق . وربما كانت : « شَتْشَتَ » – إذا أجزناها – أكثر دلالة على التفرق من شتّ .
الصّتّ : الدفع بفهر ، أو الضرب باليد .
والفعل منه : صتّه بمعنى دفعه بفهر أو ضربه باليد ، ومنه نأخذ صَتْصَتَ فننقله إلى المشترك بنفس المعنى .
غَتَّهُ بالأمر : كدّه ، والشيءَ بالشيء : أتبع بعضه بعضا .
وتحويل غتّ إلى : غتغت بنفس المعنى لا يمنع منه مانع .
الرّثّ : البالى ، وقد ورد منه فعل ، فلا مانع من تحويل : رث ثوبه ، إلى رثرث .
الأجيج : تلهب النار، كالتأجج .. وقد قالوا: أجّجتها ، فكما قالوا : أجّجَ يمكننا أن نقول : أجأج ، فننقل : أجّ من الثلاثى المضعف إلى الرباعى المضعف .

ذَجَّ : شرب ، وقدم من سفر ، فهو ذاجّ .
ولا مانع من ضمها إلى المشترك فنقول : ذجذج ، وهو مذجذج ، بنفس المعنى .
الزج بالضم : طرف المرفق ، والحديدة فى أسفل الرمح .
والزجَج – بالتحريك – للحواجب معروف فى قولهم : « وزجّجن الحواجب » ولا مانع يمنع من تحويل : زجّج إلى : زجْزج ، فتصبح من المشترك .
شج رأسه يشجه : كسره ، ولو قلنا : شجشج رأسه لكان أكثر دلالة على الإصابة.
صَجَّ : ضرب حديدا على حديد فصوّتا ..
والصجج – بضمتين – ذلك الصوت .
وتحويل صَجّ إلى : صجصج قد يدل على شدة الصوت .

ضَــجَّ : أضج القـوم إضـجـاجـا : صـاحـوا ، وتحويل ضج إلى ضجضج للدلالة على الصياح مقبول .

ظَــجَّ : صاح فى الحرب صياح المستغيث ، وفى غـيــر الحـرب بالضـاد ، كـمـا تقـدم. وتحـويل : ظج إلى ظجظج شبيه بما قبله .

الــوَجُّ : السرعة .. وقد وَجَّ بمعنى : أسرع ، واستخدام وجوج بنفس المعنى مستساغ، وبهذا ينضم إلى قائمة المشترك .

الصـــخ : الضــرب بشــىء صُلب على شىء مـصـــمـت .. ومنه الصـــاخـــة . والصـخـصـخة من مضـعف الرباعى تدل على هذا المعنى .

الضـــخ : الدمع وامـتـداد البـول ونضخُ المـاء . والمضـخـة - بالكسر : قـصـبـة فى جوفها خشبة يرمى بها المـاء . وهم يقـولون : ضخ المـاءَ ولا مـانع من أن نقول : ضخضخ بمعناها .

كَــخَّ فــى نومه : غَطَّ .

ونقل هذا الفعل إلى كخكخ فى نومه يزيد من دلالته على الغطيط .

* وبيان ما انفرد به مضعف الثلاثى آت فى الصـفـحـات من ٣٨ - ٤٧ وهـــو مـعـــروض لأخــذ الرأى .

ولعل فيما تقدم من نماذج ما يمكن أن نقيس عليه فنحول بقية ما انفرد به مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى ، حتى يصير مشتركا .

وهذه البقـيـة هى : ردّ - سدّ - شدّ - غدّد تغـديدا - لدّه لدا - ند البـعـيـر - وَدّ - أذّ - بَذّ- خذّ الجرح : سال صديده - رذّت السمـاء : أمطرت - شـذّ - نَذّ - ضَـرّ - أزّت القــدر - كزّ- أس وأسّس - جَسّ - خَسّ - دسّ - شس شسوسا : يبس - طَسه : خصمه .. يَسّ : سار- أشّ يأش : قـام وتحرك للشـر - تشّ سقـاءه - دَشّ : اتخذ الدشـيـشـة - ذشّ : سار لغـة فى دش - غــشــه - بس : فـرح - خص .. شصّ فلان : عض نواجذه - كصّ يكص : اجتمع .. أضّنى الأمـر : بلغ منى المشـقـة - جَضّ . عض فلانا : أمسكه بأسنانه - أطّ الرجْل : صوت - بَظ المغنى : حـــرك أوتاره - جظه : طرده .. حظظت - بالكـســر- فى الأمــر حظا - خظ الرجل : استرخى بدنه - فَظّه وافتظه : عصره- ذَغّ جاريته : جامـعـهـا - فَغّتنى الرائحة :

تضــوعت – أفّ يئف ويؤفّ – ظفّ قــوائم البعير: شدها كلها . اغتففته : أعطيته شيئا يســيـرا – جق الطائر : ذرق – صَقَّ الحـرباء : صَرّ – ضق يضق : صوّت – أكّه : رده وزاحمه، وفـلان : ضاق صدره – حَكّ الشيء – صكّه : ضـربه ضربا شـديداً – عَكّ يومنا يعِك عكا : اشـتد حره – فكه : فصله – ألّ فى مشيـه : أسرع واهتز ، أو : اضطرب – أن يئن أنينا : تأوه ، وأنَّ المـاءَ : صبـه – حنَّ على الشيء : عطف – رنّ يرنّ رنينا : صـاح . زنّ عصبُه : يبس – أصَنَّ : صـار ذا صنان – ضنّ يضن – بالكسر والفتح – ظن – غَنَّ – ونّ : ضعف – هنّ يَهنّ : بكى وحنّ – تأهّة : توجّعَ – ضَهَّهُ : شاكله وشابهه .

تنبيـــه :

ما ألحق بهذا تحت عنوان :

« مـضـعف الثـلاثى ومـضـعف الرباعى يتقارضان »

قد عرض على المؤتمر فى العام الماضى فى الدورة التاسعة والخمسين ضمن ما وافقت عليه لجنة الأصـول اللغـوية بالمجـمع ، وقـد حظى بموافقة المؤتمر عليه بالإجماع .

وما قدمته من قبل محاولة للتطبيق ، وقد أعدت تقديم ما عرض ، لأن بعض الأعضـاء لم يكن حاضرا فى العام المـاضى ، ولأن الإنسان معرض للخطأ والنسيان .

فقـد نسيت مـادة « لَذّ الطعام » ، وهـى من المشــتـرك لوجـود « اللذلذة » بمعنى السرعة .

وأخـطـأت فـوضـعت بـعـض مــواد المشـترك ضـمن مـا انفـرد به مـضـعف الثـلاثى وهى :

الطثّ : لعبة للصبيـان ، وهى من المشترك لوجــود « طثطثت الشىء ، إذا حـركـتـه من يدك ..

البزّ : الغـلبة ، وهـى من المشترك لوجود « البزبزة » وهى شدة السّوْق .

الحط : الوضع وهى من المشــتـرك لوجـود الحطحطة » وهى السرعة .

وإنى لداع إلى التـمـحـيص وتحكيـم الذوق اللغوى السليم فيـما قدمت وما أخرت ، لكى تخـرج الكلمـات الجـديدة مـشـرقـة وضـاءة ، تسعدنا باستعمالها ، ولا تعرضنا للنقد ، والله من وراء القصد .

مضعف الثلاثى
ومضعف الرباعى
يتقارضان

اتفق علماء الصرف على تقسيم المضعف إلى قسين هما :

مضعف الثلاثى ، وهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد مثل : ردّ . عبّ.

كلّ . قلّ . ملّ . نمّ .

ومضعف الرباعى ، وهو ماكانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل:عسعس .

زلزل . كبكب . مضمض .

والمضعف ،والمضاعف فى عرفهم وفى عرف اللغويين بمعنى واحد ، فقد جاء فى كتاب سيبويه (٣ : ٥٢٩ ، ٥٣٠) عنوان يقول : هذا باب مضاعف الفعل ثم يبدأ حديثه بقوله : والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد ، وذلك نحو : رددت ... وجاء فيه أيضا (٤ : ٤٢١) هذا باب ما شذ من المضاعف . وكذلك جاء فى المقتضب للمبرد (١ : ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

وفى لسان العرب لابن منظور : والعرب تقول : ضاعفت الشىء وضعفته بمعنى واحد . ومثل هذا جاء فى القاموس المحيط .

وتقارض هاتين الصيغتين يعنى إجازة تحويل كل منهما إلى الأخرى ، فنحول ما انفرد به مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى ، ونحول ما انفرد به مضعف الرباعى إلى مضعف الثلاثى ، وذلك يثرى مفردات اللغة ، ويضيف إليها ما يزيد على مائتى كلمة ، كما سيوضح فيما بعد .

وقد ورد فى القاموس المحيط (٣٦٠) مادة لغوية استعملت من مضعف الثلاثى ، كما استعملت من مضعف الرباعى ، إما بمعنى واحد ، وإما بمعان مختلفة .

وانفرد مضعف الثلاثى ، فلم يرد معه مضعف الرباعى فى (١٤٣) مادة . كما انفرد مضعف الرباعى ، فلم يرد معه مضعف الثلاثى فى (٦٥) مادة وقد بلغ مجموع هذه

الأنواع الثلاثة (٥٦٨) مادة ، المشترك منها بنسبة مئوية قدرها ٦٣,٤٪ ، ومضعف الثلاثي منها بنسبة ٢٥,٤٪ ومضعف الرباعي بنسبة ١١,٢ ٪ .

ونظرا لأن ما يقرب من ثلثي هاتين الصيغتين قد جاء مشتركا بينهما نرى أنه يجوز أن نحول ما انفردت به إحدى هاتين الصيغتين إلى الصيغة الأخرى قياسا على الكثرة الواردة ، كما قال ابن فارس (المزهر ١ : ٢٠٠) : « أجمع أهل اللغة إلا من شذّ منهم أن للغة العرب قياسا ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض » . وهذا يجيز لنا أن نأخذ بهذا التحويل عند الحاجة إليه

« وعزى إلى سيبويه وأصحابه أن وزن ربرب ونحوه فعّل فأصله : ربّب - أبدل الوسط حرفا من جنس الأول » (المزهر ٢ : ٥) .

وما عزى إلى سيبويه وأصحابه يوثق العلاقة بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي .

والكوفيون يقولون عن مضعف الرباعي : إن هذا الباب ونحوه ثلاثي ، أصله : فعّل ، فاستثقل التضعيف ، فحالوا بين المضاعفين بحرف مثل فاء الفعل (الهمع ٢ : ١١٥) .

وفي كتاب سيبويه (٤ : ٤١٧) « هذا باب التضعيف : اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحرف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد » وفي هذا بيان لتحويل مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي ، وأما عكسه فأمره أيسر من هذا لأنه رجوع بالصيغة إلى الأصل الثلاثي الذي جاءت عليه جمهرة المعجم اللغوي .

وقد منحنا ابن جني هذا الحق في الخصائص (١ : ٣٠٨) فقال :

ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى سمتهم آخذين ، وبألفاظهم متحلين ولمعانيهم وقصودهم آمّين - جاز لصاحب هذا العلم الذي جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ، ووسم أغفاله ... أن يرى فيه نحواً مما رأوا ، ويحذوه على أمثلتهم التي حذوا ، وأن يعتقد في هذا الموضع نحواً مما اعتقدوا في أمثاله ، لاسيما والقياس إليه مصغ وله قابل وعنه غير متثاقل ..

ومما يؤيد اتجاهي هذا ما نقله السيوطي (في المزهر ٢ : ٣٠ ، ٣١) عن ابن دريد : قال في الجمهرة :

قالوا : تقّ تقّاً ، ثم أميت هذا الفعل ، ورد إلى بناء جعفر ، فقالوا : تفتق وقالوا : تتفتق الرجل من الجبل – إذا انحدر يهوى على غير طريق . وقالوا : الهتّ ، ثم أميت ، وألحق بالرباعى فى الهتهتة ، وهو اختلاط الأصوات فى الحرب أو فى صخب ...

وكذلك قال ابن دريد عن : الجعّ ، القحّ ، الكحّ ، الذعّ ، الرف ، شعّ ، شغ ، صعّ ، ضعّ ، ضغّ ، لعّ . قهّ .

وقد رجعت إلى القاموس المحيط فوجدت كثيرا مما أميت قد دونه الفير وزابادى وذكر معانيه ، ولم ينص على شيء من هذا بأنه أميت ، ولم يذكر الثلاثى من (صعصع) وقد قال ابن دريد: وأميت قهّ ، وقبل قهقه ، والذى فى القاموس المحيط : قهقه : رجّع فى ضحكه، أو اشتد ضحكه ، كقهّ فيهما ، أو : قهّ : قال فى ضحكه : قه ، فإذا كرره قيل : قهقه .

فابن دريد يتحدث عن الإماتة لبعض الصيغ واستعمال صيغ أخرى بدلها ، ومَنْ جاءوا بعده يحيون ما أميت ، فهل لنا أن نقفو آثار هؤلاء، فنجدد اللغة قياسا على اللغة !

وقد عُرِضَ مقترحى هذا على مؤتمر المجمع الموقر فى الدورة الثامنة والخمسين فى الجلسة الخامسة من جلساته ، تابعا لتعليقى على بحث للأستاذ سعيد الأفغانى عضو المجمع (سورية) بعنوان « تاريخ كلمة » ولما لم أجد معارضة عددْت السكوت موافقة ، وقمت بإحصاء للمضعف من الثلاثى ومن الرباعى من القاموس المحيط على ما سبق فى الحديث عن تقارض هاتين الصيغتين .

وفيما يلى نص ما ألقى فى مؤتمر العام الماضى :

هذا وأرجو التفضل بإضافة كلمة عن مضعف الثلاثى ونقله إلى مضعف الرباعى فى متن اللغة ، فقد رجعت إلى القاموس المحيط فى بعض أبوابه ، فوجدت أن عدداً كبيراً من مضعف الثلاثى انتقل إلى مضعف الرباعى ، أحياناً بنفس المعنى ، وأحياناً بمعنى آخر ، ومن ذلك بإيجاز :

أرّ : أرأر – بر : بربرة – تر : ترترة – ثرة : ثرثرة – جر : جرجرة – الحر : الحرحار – الخرير : الخرخرة – الدر : الدردرة – الذر : الذرذار – الزر : الزرزور – السر : سرسور – الشر : الشراشر – الصرة : الصرصر – الطر : الطرطور – الظرّ : الظرظور – العر : العرعرة

غر : غرغر – فر : فرفر – القر : القرقرة – الكر : كركر – مر : مرمرة – هر : هرهرة .

الرع : الرعرعة – السع : السعسعة – شع : شعشعة – الضع : الضعضعة – الطع : الطعطع – الفع : الفعفع – كع : كعكع – مع : معمع – النع : النعنع – الوع : الوعوع – جفة : جفجفة – حف : حفحف – خف : خفخفة دف : دفدف – ذف : ذفذف – رف : رفرف – زف : زفزف .

وإن الداعى إلى هذا كان سؤالا عن كلمة ابتكرها أحد المترجمين المتمكنين من اللغة العربية وهذه الكلمة ينبغى أن تنظر إليها معاجمنا وتضيفها إلى متنها ، لأنها لا تخرج عن مثال من الأمثلة الكثيرة التى وردت فى اللغة العربية ، من نقل مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى . هذه الكلمة هى الخصخصة بمعنى تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص ، وهى لا تزيد على أنها من جعل مضعف الثلاثى (خص) من مضعف الرباعى (خصخص) والله من وراء القصد .

وفيما يلى الإحصاء المتحدث عنه من قبل ، ولم أفرق فيه بين الأسماء والأفعال :

إحصاء لمضعف الثلاثى ومضعف الرباعى من القاموس المحيط

أولا : ما جاء مشتركا بين الصيغتين

الجزء الأول :

١ – تبَّ ... تَبَّت يداه : ضلتا وخسرتا ، وأتب الله قوته : أضعفها . وتبتب : شاخ .

٢ – ثَبَّ : جلس متمكنا ، كثبثب ، والأمر : تَمَّ .

٣ – جَبَّ : قطع ... والجبجب : المستوى من الأرض .

٤ – الحبّ : الوداد ... والحبحبة : جرى الماء قليلا كالحبحب .

٥ – الخَبّ : الخداع .... وخببت كعلمت .... وخبخب : غدر ....

٦ – دَبَّ : مشى على هينته ... والدبدبة : كل صوت كوقع الحافر على الأرض .

٧ – ذبَّ عنه : دفع ومنع ... والذبذبة : تردد الشئ المعلق فى الهواء .

٨ - ربَّ : جمع وزاد ولزم ... والربرب : القطيع من بقر الوحش .

٩ - زَبَّ يَزَبَّ فهو أزبّ : كثر شَعَرُه ... والزَّبْزَب : ضرب من السفن ، وزبزب : غضب ، أو انهزم فى الحرب .

١٠ - سبَّه : شتمَه ... وتَسَبْسَبَ الماء : جرى وسال ... وسبسبه: أساله... والسبسب : المفازة أو الأرض المستوية .

١١ - شبّ يشب .. وشبّت النار ... وشَبْشَبَ : تَمَّمَ ...

١٢ - صبَّه : أراقه ... وصبصبه : فرقه ومحقه فتصبصب .

١٣ - الضبّ ... أرض مَضَبَّة وضَبِبَةُ : كثيرته ... والضَّبْضَبَ : السمين ..

١٤ - الطّب : علاج الجسم والنفس ... والطبطبية : الدِّرة . وطبطب : صَوَّت ...

١٥ - العَبّ : شرب الماء ... والعَبْعَبُ : نَعْمة الشباب .

١٦ - الغبّ : عاقبة الشىء ... والغبغب: صنم ، واللحم المتدلى تحت الحنك كالغَبَب .

١٧ - قَبَّ القوم : صَخِبوا فى الخصومة .. وقبقب : هدر وصوت وحمق ...

١٨ - كبّه : قلبه وصرعه كأكبه . وكبكبه فأكب وهو لازم متعد .

١٩ - ألبّ بالمكان : أقام كلبّ ... ولبالب الغنم : جلبتها .

٢٠ - نَبَّ ينِب نبا ونبيبا ونبابا بالضم ، ونبنب : صاح عند الهياج .. ونبنب : طول عمله فى تحسين .

٢١ - الوَبّ : التهيؤ للحملة فى الحرب كالوبوبة .

٢٢ - الهبّ والهُبوب : ثوران الريح ، وهبّ التيس يهِب ويُهب هبيبا وهِبابا وهِبّة : نبَّ للسفاد ، كاهتب وهبهب .

٢٣ - حتّه : فركه وقشره فانحتّ وتحاتّ ، والورقُ : سقطت كانحتّت وتحاتت وتَحَتْحَتَتْ .

٢٤ - الرَّت : الرئيس ... والرُّتة : العجمة.. وأرتّه الله فرتّ . ورَتْرَتَ : تعتع فى التاء .

٢٥ - عَتَّهُ : رد عليه الكلام مرة بعد مرة والعتعت كبلبل وربرب : الجَدْىُ .. والعتعتة : الجنون ، ودعاء الجدى بعَتْ عَتْ .

٢٦ - الفتّ : الدق والكسر بالأصابع ... والفتفتة : أن تشرب الإبل دون الرى .

٢٧ - القَتّ : نمّ الحديث كالتقتيت والقتقتة ... والكذب .

٢٨ - كبتّ البعيرُ يكِت : صاح صياحا لينا .. الكتيت : المشى رويدا ، أو مقاربة الخطو فى سرعة كالكتكته والتكتكت ... وكتكت : ضحك ...

٢٩ - اللتّ : الدق ... واللتلتة : اليمين الغموس ...

٣٠ - المتّ : المد والنزع ... والتوسل بقرابة كالمتمتة .

٣١ - نتّ منخره غضبا : نفخ ... ونَتْنَتَ : تقذّر بعد نظافة .

٣٢ - الوتّ ويضم : صياح الورشان كالوُتة بالضم ، والوتاوت : الوساوس .

٣٣ - الهتّ : سرد الكلام ... كالهتهتة . وهتهت فى كلامه : أسرع .

٣٤ - أثّ النبات يئث (مثلثة) : كثر .. والأثائث : الكثيرات اللحم .

٣٥ - بثّ الخَبَرَ ... : نشره .. وبثّ الغبار وبثبثه : هيجه .

٣٦ - الجث : القطع ...وتجثجث الشَّعَر : كثر ... والطّائر : انتفض ...

٣٧ - حثه عليه واستحثه وأحثه واحتثه وحثثه وحثحثه : حضّه .

٣٧ م - الطث : لعبة للصبيان .. وطثطثت الشيء إذا حركته من يدك .. (منقولة مما انفرد به الثلاثى رقم ١٦) .

٣٨ - العثة بالضم : سوسة تلحس الصوف... والعثعث : الفساد ، وعثعث : حرّك وأقام. والعثائث : الشدائد .

٣٩ - الغث : المهزول ... والغثغثة : القتال الضعيف بلا سلاح .

٤٠ - القَثّ : الجرّ والسَّوق . والقثاثة : الجماعة . والقثقثة : وفاء المكيال ، وتحريك الوتد لنزعه .

٤١ - الكَثّ : الكثيف .. والكثكث كجعفر وزبرج : التراب وفتات الحجارة ... وقد أكث وكثكث .

٤٢ - اللث والإلثاث واللثلثة : الإلحاح والإقامة ودوام المطر ...

٤٣ - مَثّ النّحْىُ : رشح ، كمثمث ... ومثمث : أسبغ الفتيلة بالدهن وخلط وتعتع وحرك ..

٤٤ - نثّ الخبر: .. أفشاه .ونثنث : عرق كثيراً .

٤٥ - الهشهشة : الاختلاط والظلم .. والهث: الكذب .

٤٦ - بجّ : شق وطعن بالرمح ... والبجبجة : شيء يفعل عند مناغاة الصبى ... وتبجبج لحمه : كثر واسترخى .

٤٧ - ثجّ الماء : سال ، كانثج وتثجثج .

٤٨ - الحجّ : القصد . وحجحج : أقام ونكص وكف وأمسك عما أراد قوله ...

٤٩ - الخجّ : الدفع والشق... والخجخجة : الانقباض والاستخفاء . ورجل خجّاجة وخجخاجة : أحمق لا يعقل .

٥٠ - دجّ يدجّ دجيجا : دب فى السير والبيت ، .. وليلة دبجوج ودجداجة : مظلمة وتدجدج : أظلم كدجدج .

٥١ - الرجّ : التحريك والتحرك والاهتزاز والحبس ... والرجرجة : الاضطراب ، كالارتجاج والترجرج .

٥٢ - سجّ الحائط : طينه . والمسجة : خشبة يطيّن بها ... ويوم سجسج : لا حرّ ولا قر ... والسجسج : الأرض ليست بصلبة ولا سهلة .

٥٣ - عجّ يعجّ عجيجا وعجا : صاح ورفع صوته كعجعج .

٥٤ - الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين ... والفجفج كفدفد وهدهد وخلخال : الكثير الكلام المتشبع بما ليس عنده .

٥٥ - الكُجة : لعبة يأخذ الصبى خرقة فيدوّرها كأنها كرة .. وكجّ : لعب بها . والكجكجة : لعبة تسمى است الكلبة .

٥٦ - لجّ : تردد فى كلامه ... وتلجلج دارَه : أخذها منه .

٥٧ - مجّ الشراب من فيه : رماه .. ومجمج فى خبره : لم يُبَيّنْه .

٥٨ - نَجّت القرحة تنج نجا ونجيجا : سالت بما فيها . ونجنج : منّع وحرك ...

٥٩ - الهجاجة: الهبوة التى تدفن بالتراب، والأحمق كالهجهاج ..

والهجهاج : النّفور والشديد الهدير من الجمال .

٦٠ - أحّ : سعل ... وأحاح زيد : أكثر من قولة " يا أحاح . وأحّى : تنحنح ، وأصله : أحح ، كتظنى أصله : تظنن .

٦١ - بَحِعَ : أخذته بُحّة ... وتبحبح : تمكن فى المقام والحلول كبحبح ، والبحبحة : الجماعة .

٦٢ - الجعّ : بسط الشيء ... والجحجح : السيد كالجحجاح .... ج : جحاجح .

٦٣ - الدحّ : الدسّ والنكاح ... والدحداح والدحدح : المرأة والناقة العظيمتان .

٦٤ - الذح: الضرب بالكف... والذحذحة : تقارب الخطو مع سرعة .

٦٥ - الرحح محركة : سعة فى الحافر محمود .. وشيء رحرح ورحراح ورحرحان : واسع منبسط .

٦٦ - زحه : نحاه عن موضعه ... وزحزحه عنه : باعده فتزحزح .

٦٧ - السحّ : الصب والسيلان من فوق كالسحوح والتسحسح والتسحح .

٦٨ - الشح (مثلثة) : البخل والحرص .. شححت بالكسر به وعليه تَشَح ... وهو شحاح كسحاب وشحيح ، وشحشح وشحشاح ..

٦٩ - الصح بالضم والصحة بالكسر والصحاح بالفتح : ذهاب المرض ... والصحصح والصحصاح والصحصحان : ما استوى من الأرض .. وصحصح الأمر : تبيّن.

٧٠ - ضحضح السراب : ترقرق كتضحضح. والضح بالكسر : الشمس وضوؤها وضحضح : تبين .

٧١ - الطحّ : البسط .. وطحطح : كسر وفرق وبدّد إهلاكا .

٧٢ - فحيح الأفعى : صوتها من فيها ... وفحفح : صحح المودة وأخلصها كفحّ .

٧٣ - القُح : الخالص من اللؤم والكرم وكل شيء . وقد قَح قحوحة .. والقحقحة : تردد الصوت فى الحلق .

٧٤ - الكحّ : القح .. عربىّ كح وعربية كحة . والكحكح كهدهد وسمسم : العجوز الهرمة ..

٧٥ - ألح عليه فى السؤال : ألحف ... ولحلحوا : لم يبرحوا مكانهم كتلحلحوا .

٧٦ - المحّ : الثوب البالى .. وخالص كل شيء .. والمحاح ككتان : الكذاب والمحماح: الخفيف النزق . ومحمح فلانا : أخلص مودته .

٧٧ - نحّ ينِح نحيحاً : تردد صوته فى جوفه كنحنح وتنحنح ... ونحنحه : رده ردا قبيحا .

٧٨ - الوحوحة : صوت معه بَحَح ، والنفخ فى اليد من شدة البرد .. والوحّ : الوتد .. ورجل فقير ، ومنه : أفقر من وحّ أو من الوتد.

٧٩ - بخبخ البعير : هدر .. وبخّ : سكن من غضبه ، وفى النوم : غط كبخبخ .

٨٠ - التخّ : عصارة السمسم والعجين الحامض .. وقد تخّ .. وأتخّه .. والتختخة : اللكنة .

٨١ - جخّ : تحول من مكان إلى آخر كجخجخ وتجخجخ وجخجخ : كتم ما فى نفسه ونادى وصاح وقال : جخ جخ .

٨٢ - الدّخ : الدخان .. دخدخ : ذلّل وكف.. والدخّخ : سواد وكدورة . ورجل دُخْدُخ : قصير .. وتدخدخ : انقبض .

٨٣ - الرخاخ كسحاب من العيش : الواسع، ومن الأرض : الرخوة .. والإرخاخ : المبالغة فى الشىء .. وطين رخرخ ورخراخ : رقيق .

٨٤ - زخّه : أوقعه فى وهدة .. وزخزها : جامعها كزخّها .

٨٥ - السخاخ كسحاب:الأرض اللينة الحرة كالسخاسخ . وسخ فى الحفر والسير : أمعن .

٨٦ - الشخ : البول .. وشخّ فى نومه : غط . وشخشخ : امتد كالقضيب ، والشخشخة صوت السلاح .

٨٧ - الطخّ : رمى الشىء وإبعاده .. والطخطاخ : السيىء الخلق . والطخطخة : تسوية الشىء وضم بعضه إلى بعض .

٨٨ - الفخّ : المصيدة ... وفخّ النائم .. : غط .. وفخفخ : فاخر بالباطل .

٨٩ - لخّ فى كلامه : جاء به ملتبسا مستعجما .. واللخلخانية : العجمة فى المنطق « كاللخلخة » .

٩٠ - مخّخ العظمَ وتمخّخه وامتخّه ومخمخه : أخرج مُخّه .

٩١ - النخّ : السير العنيف ، والإبل تُناخ.. ونخنخه : نحاه .. والإبل : أبركها فتنخنخت .

٩٢ - الوخّ : الألم والقصد . والوخوخة : حكاية صوت طائر .. والوخواخ : العنّين ..

٩٣ - الجدّ ... والجدْجَد : الأرض الصلبة .

٩٤ - الحد : الحاجز بين شيئين .. والحدحد كفدفد : القصير .

٩٥ - الحـدأن ... والحـدّ : الطريق .. وكهدهد : دويبة .

٩٦ - صدّ عنه صدودا :أعرض ... وصَدْصَدُ : امرأة . وصداصد كعلابط : جبل لهذيل .

٩٧ - العدّ : الإحصاء ... والعدعدة : العجلة والسرعة فى المشى .

٩٨ - الفديد : رفع الصوت أو شدته .. وكذا الفدفدة ، وقد فدّ .. وفدفد : عدا هاربا من سبع أو نحوه .

٩٩ - القد : القطع المستأصل .. وكفلفل : جبل به معدن البرام .

١٠٠ - الكد : الشدة والإلحاح والطلب .. والكدكدة : الإفراط فى الضحك كالكدكاد بالكسر .

١٠١ - المدّ : السيل ... والمدمد : النهر والجبل .

١٠٢ - الهدّ : الهدم الشديد .. والهدهد (م) وهدهد الطائر: قرقر ، وهدهدَ الصبيَّ : حركه لينام .

١٠٣ - الجذّ : القطع المستأصل ... كالجذجذة .

١٠٤ - الحذ : الجذ . والحذة بالضم : القطعة من اللحم . وقَرَبٌ حذحاذ : (حصان) سريع .

١٠٥ - غذّ الجرح : سال . وأغذ السير وفيه : أسرع . وغذغذ منه نقصه كغذّه . وتغذغذ : وثب .

١٠٦ - الفذّ : الفرد .. وفَذْفَذَ : تقاصر ليثب خاتلا .

١٠٧ - القذة:ريش السهم... والبرغوث... وتقذقذ فى الجبل : صعد .

١٠٧ م - لذ الطعام .. واللذلذة : السرعة (هذه المادة نسيت) .

١٠٨ - مذمذ : كذب ، وهو مِذْميذ ومذيذ : كذاب . والمذماذ : الصيّاح والمذمذى : الظريف .

١٠٩ - الهذّ : سرعة القطع .. والهذهاذ والهذاذ : القطاع .

١١٠ - الأرّ : السوق والطرد ... وأرأر : من دعاء الغنم .

١١١ - البِرّ : الصلة والجنة والخير ... والبربرة : صوت المعز وكثرة الكلام . بَرْبَرَ فهو بربار ودلو بربار : لها صوت . وبربر : جبل .

١١٢- ترّ العظمُ: بان وانقطع... والترترة : التحريك وإكثار الكلام .

١١٣ - الثَّرةُ من العيون : الغزيرة ... والمرأة الكثيرة الكلام كالثارّة والثرثارة والثر : التفريق كالثرثرة .

١١٤ - الجر : الجذب ... والجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرته . وجَرْجَرَ الشرابُ : صَوَّت .

الجزء الثانى :

١١٥ - الحرّ : ضد البرد .. والحرحار : موضع ببلاد جهينة .. الحرّيّة : الأرض اللينة الرملية ، ومن العرب : أشرافهم .

١١٦ - الخرير : صوت الماء والريح والعقاب إذا جفت كالخرخر .. وغطيط النائم كالخرخرة .

١١٧ - الدّرّ : النفْس واللبن ... والدردر : مغارز أسنان الصبى ، وتدردرت اللحمة : اضطربت ، ودردر البسرة : لاكها .

١١٨ - الذّرّ : صغار النمل ... والذرذار : المكثار .

١١٩ - الزر : الذى يوضع فى القميص .. والزرير كأمير : الذكى الخفيف كالزرازر والزرزار .. ، وزرزر : صوت .

١٢٠ - السر : ما يكتم كالسريرة ... والتسرسر فى الثوب : التهلهل . وسرسر الشفرة : حدها .

١٢١ - الشر : نقيض الخير ... وشرشره : قطعه .

١٢٢ - الصرة ... والصّر : شدة البرد أو البرد .. وصرّ : صاح كصرصر .

١٢٣ - الطرّ : الشد والسوق الشديد ... وطرطر : طرمذ « عليه فهو طرماذ : صلف مفاخر » .

١٢٤ - الظّر : الحجر (ج) ظُران وظِران كالأظرور والظرظور .

١٢٥ - العر والعرة : الجرب ... وقد عُرت فهى معرورة ، وتعرعرت .

١٢٦ - غره : خدعه ... وغرغر : جاد بنفسه عند الموت .

١٢٧ - الفَرّ والفرار : الروغان والهرب . فر يفر... وفرفره : صاح به .

١٢٨ - القُر : البرد ... والقرقرة : الضحك .

١٢٩ - كرّ عليه : عطف ، وكرّ عنه : رجع ... وكرره تكريرا ... وكركره : أعاده مرة بعد أخرى .

١٣٠ - مرّ مرّاً : جاز وذهب ... ومرره : جعله مُرّاً ، وتمرمر : اهتز وترجرج .

١٣١ - الورّة : الحفيرة فى الأرض ، والوروورى كبربرى : الضعيف .. وورور نظره : أحدّه .

١٣٢ - هرّه : كـرهه ... وهرهر بالغنم : دعاها إلى الماء أو أورها كأهرّ .

١٣٢ م - البزّ : الغلبة .. والبزبزة شدة السوق ... (منقولة مما انفرد به الثلاثى تحت رقم ٥٠) .

١٣٣ - جزّ الشّعَر : قطعه ، والجزيزة : خصلة من صوف ، كالجزجزة .

١٣٤ - الحز : القطع ... والحزحزة : ألم فى القلب من خوف أو وجع .

١٣٥ - الخز من الثياب ... والخزخز بالضم : الغليظ وكعلبط وعلابط : القوى الشديد .

١٣٦ - رزّ الرجلَ : طعنه ... ورزرزه : حركه . والحمل : سوّاه .

١٣٧ - عزّ .. كتعزّز وقوى بعد ذلة ... وعَزْعَز بالعنز فلم تتعزعز : زجرها فلم تتنحّ .

١٣٨ - غزّ فلان بفلان : اختصه من بين أصحابه ... والغُزّ : الشدق كالغُزْغز .

١٣٩ - فزّ عنى : عدل وانفرد ... وتفزّز عنى وأفتزّ : غلب ، وفزفز : طرد إنسانا أو غيره .

١٤٠ - القزّ : الوثب ، والانقباض للوثب.. وابن قزقز بالضم : محدّث . وقزقزُ : موضع ، وقزاقز من الشىء : نبذ منه .

١٤١ - لزّه لزا : شده وألصقه ... وتلزلز : تحرك .

١٤٢ - مزّه : مصه . والمزة : المصّة ... ومزمزه : حركه فتمزمز ...

١٤٣ - النزّ : ما ينحلب من الأرض من الماء ... والنزنزة : تحريك الرأس ...

١٤٤ - الوزّ : الإوز... والوزوز: الموت ... والوزوزة : الخفة وسرعة الوثب .

١٤٥ - هزه وبه : حركه ... والهزهزة والهزاهز : تحريك البلايا .. وهزهزه : ذلله وحركه... وتهزهز إليه قلبى : ارتاح للسرور...

١٤٦ - البسّ: السوق اللين... والبسبس : القفر الخالى ... وبسبس : أسرع ..

١٤٧ - الحسّ : الجلبة ... وحسست ... اللحم : جعلته على الجمر ، كحسحسته .

١٤٨ - الرسّ : ابتداء الشيء ... ورسرس البعيرُ : تمكن للنهوض .

١٤٩ - عسّ : طاف بالليل ... وعسعس الليلُ : أقبل ظلامه أو أدبر ...

١٥٠ - غسّ في البلاد : دخل ومضى ... وغسّ فلانا في الماء : غطه .. كغسغس ...

١٥١ - الفسفاس : الأحمق ...والفسيس : الضعيف العقل أو البدن .

١٥٢ - القِس في العلم كالقِسّيس . وقسّهم : آذاهم بكلام قبيح . والقسقاس : السريع والدليل الهادي ... كالقَسقس ... وقسقستُه : تحريكه . وتققس الصوت : تسمعه . وقسقس : أسرع .

١٥٣ - الكّس : الدق الشديد كالكسكسة. والكسكاس : القصير الغليظ . والتكسُّس : التكلف . والكسكسة لتميم لا لبكر .

١٥٤ - اللسّ : الأكل واللحس ... واللّسلاس واللّسلسة بكسرهما : السنام المقطوع .

١٥٥ - مسسته أمَسُّه مسًا: لمسته ... والمسّ : الجنون. والمساس بالكسر والمسمسة : اختلاط الأمر والتباسه .

١٥٦ - النس : السوق والزجركالنسنسة .. ونسنس : ضعف .. وتنسس منه خبرا : تنسّمه.

١٥٧ - الوسّ : العوض ... والوسواس : الشيطان ... والوسوسة : حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ... وقد وسوس له وإليه .

١٥٨ - هسه : دقه وكسره ... والهسيس: الكلام الخفي .. والهسهسة : تسلسل الماء كالنهسهس .

١٥٩ - البشّ والبشاشة : طلاقة الوجه .. وأبشت الأرض : التف نبتها ... وتبشبش به : آنسه وواصله .

١٦٠ - جشّه: دقه وكسره... وجشّ البئر : كنسها ونفاها كجشجشها ...

١٦١ - حَشُّ النار : أوقدها ... وتحشحشوا : تفرقوا وتحركوا ، كحشحشوا .

١٦٢ - خَشَشْت فيه : دخلت ... وتخشخش : صوّت ، وفي الشجر : دخل وغاب .. والخشخشة : صوت السلاح وكل شيء يابس إذا حك بعضه ببعض .

١٦٣ - الرش : نفض الماء والدم والدمع كالترشاش... والرشراش : الرخو من العظام ... كالرشرش .. والرشرشة : الرخاوة والإطافة بمن تخافه ..

١٦٤ - العَشعش ويضم : العُش المتراكب بعضه فوق بعض ، وعشش الطائر تعشيشا : اتخذ عشا كاعتشّ ..

١٦٥ - فشّ الوطب : أخرج ما فيه من الريح ... وفَشْفَش : ضعف رأيه وأفرط من الكذب .

١٦٦ - قَش القومُ قشوشا : صلحوا بعد الهزال .. وأقشّ من الجدرى : برأ منه ، كتقشقش . والمقشقشتان : « قل يا أيها الكافرون » و « الإخلاص » .

١٦٧ - الكُشّ : الذى يلقح به النخل ... والكشكشة : الهرب ... وكشيش الأفعى وقد كشكشت .

١٦٨ - اللَّشّ : الطرد ... واللشلشة : كثرة التردد عند الفزع ... وهو جبان لشْلاش .

١٦٩ - المشّ : الخلط حتى يذوب .. ومص أطراف العظام .. كالتمشُّش . والمشمشة : الخفة والسرعة .. والمشمش : ثمر معروف .

١٧٠ - النَشّ : السَّوق الرفيق ... ونَشْنَشَ الطائر ريشه بمنقاره ... نتف منه .

١٧١ - هَشّ الورق يهُشُّه هشا : خبطه بعصا ليتحات ... والهشهاش : الحسن الخلق السخى .. وهشهشه : استضعفه .. وهشهشه : حركه .. والمتهشهشة : المتحببة إلى زوجها .

١٧٢ - بصّ يبص بصيصا : برق ولمع .. وبعير بصباص : ضامر ... وبصبصت الأرض : ظهر منها أولُ ما يظهر ، كبصَّصَتْ وأبصّت .

١٧٣ - الجِصّ معروف ... ومكان جُصَاجص بالضم : أبيض مستو .

١٧٤ - الحَصّ : حلق الشعَر ... وحصمص : بان وظهر .

١٧٥ - الدّصدصة : ضربك المنخل بيديك ، ودَصّ : خدم سائسا .

١٧٦ - رصّه : ألزق بعضه ببعض ... والرِّصاصة مشددة : البخيل ، وحجارة لازقة بحوالى العين الجارية كالرصراصة ... ورصرص البناءَ : أحكمه وشدده .

١٧٧ - العَص : الأصل ... وعص كملّ : صلب واشتد ... والعصعص كقنفذ وعلبط وجبحب ... :عجب الذنب ، والعصعصة : وجعه .

١٧٨ - الغُصة : الشجا ... والغصغص كجعفر : نبت . ومنزل غاص بالقوم : ممتلىء .

١٧٩ - الفص للخاتم مثلثة ... والفصفصة : العجلة فى الكلام ... وفضفص : أتى بالخبر حقا .. وفص الجرحُ : ندى وسال .

١٨٠ - قصّ أثره قصا : تتبعه ... ورجل قصقاص : غليظ ... وقصقص بالجرو : دعاه وتقصقص كلامه : حفظه .

١٨١ - اللص : فعل الشىء فى ستر . والسارق ويثلث ... ولصلصه : حركه ..

١٨٢ - المص : الشرب شربا رفيقا ... وإنه لمَصامص : أى حسيب زاك . والمصمصة : المضمضة ...ومُمَصْمِصَة الذنوب : مُمَحِّصتها.

١٨٣ - نص الحديثَ إليه : رفعه ... ونصنصه : حركه ، وقلقله .

١٨٤ - الوَص : إحكام العمل . والوصوص والوصواص : خرق فى الستر بمقدار عين تنظر فيه ... ووصوص : نظر فيه .

١٨٥ - هصه : وطئه فشدخه ... والمهصهصة : عَيْن اللصوص بالليل خاصة . وهصهصه : غمزه ..

١٨٦ البض : الرخص الجسد الرقيق ... وجارية بضبضة وباضّة وبضباضة . ورجل بُضابِضَ : قوى .

١٨٧ - حضه عليه حضا : حثه ... والحضحض كقنفذ : نبت .

١٨٨ - الخضاض كسحاب : اليسير من الحلى ... والخضخاض : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجرب ... والخضخضة : تحريك الماء... وتخضخض : تحرك .

١٨٩ - الرضّ : الدق والجرش ... ورضرضه : كسره . والحجارة تترضرض : تتكسر .

١٩٠- غض طرفه .. غضا : خفضه ... وغضغضه : نقصه ، كغضه فتغضغض .

١٩١ - الفض : الكسر بالتفرقة ... ودرع فضفاض وفضفاضة : واسعة .

١٩٢ - قض اللؤلؤة : ثقبها ... والقضقاض... : الأسد (ويضم وليس فُعلال سواه كالقُضائض) .

١٩٣ - لضّ ولضلاض : حاذق فى الدلالة. ولضلضتُه : الْتفاته يمينا وشمالا .

١٩٤ - مضه الشئ : .. بلغ من قلبه الحزنُ به ... والمضمضة : تحريك الماء في الفم .

١٩٥ - نض الماءُ : سال قليلا قليلا... وحية نضناضة ونضناض : لا تستقر في مكان .

١٩٦ - هضه : كسره ودقه ... كاهتضه وهضهضه فيهما .

١٩٧ - بط الجرحَ : شقه ... والبطبطة : صوت البط أو غوصه في الماء ...

١٩٧ م - الحطّ : الوضع ... والحطحطة : السرعة (منقولة مما انفرد به الثلاثي تحت رقم ٧٩) .

١٩٨ - الخـط : الكتب ... وخطخط في سيره : تمايل كلالا .

١٩٩ - الرطيط : الجلبة والصياح ... والرطراط : الماء أسأرته الإبل .

٢٠٠ - شط شطا : بعد ... والشطشاط : طائر ..

٢٠١ - عط الثوبَ : شقه ... والعطعط كهدهد : العتود من الغنم .

٢٠٢ - غطه في الماء : غطسه ... غطغط البحر : علت أمواجه كتغطغط ... والغطغطة : حكاية صوت يقارب صوت القطا ..

٢٠٣ - الأفطّ : الأفطس ... والفطافط : الأصوات عند الزجر .. فطفط : تكلم بكلام لا يفهم .

٢٠٤ - القط : القطع ... وقطقطت السماء : أمطرت ... وتقطقط : ركب رأسه .

٢٠٥ - لطّ بالأمر : لزمه ... واللطلط : الغليظ الأسنان .

٢٠٦ - مطّه : مده ... مطمط : توانى في خطه أو كلامه ، وتمطمط الماء : خَثُر .

٢٠٧ النط : الشد والمد ، وقد نَط يَنِط . والنطنط كفدفد وفلفل وسلسال : الطويل .

٢٠٨ - الوط : صوت الوطواط .

٢٠٩ - الهطط بضمتين : الهلكى من الناس ... والهطهطة : .. سرعة المشى والعمل ..

٢١٠ - شطّه الأمر : شق عليه ... والشظشظة : فعل زُبّ الغلام في البول .

٢١١ - عظّته الحرب كعضّته ... وعظعظ السهمُ عظعظة ... : ارتعش في مضيه ...

٢١٢ - الكظة : البطنة ... وهو يتكظكظ عند الأكل : ينتصب قاعدا كلما امتلأ بطنُه ..

والكظكظة : امتداد السقاء إذا ملأته تراه يستوى كلما صببت الماء فيه .

٢١٣ - اللظ : الرجل العسر المتشرد كاللظلاظ ... ويوم لظلاظ : حار .. وتلظّظ الحية ولظلظتها : تحركها .

٢١٤ - المظ : شجر الرمان ... ومظظته : لمته ... وأمظظت العود الرطب : توقعت ذهاب نُدُوّته وعرضته لذلك ... والمظمظة : الذبذبة .

الجزء الثالث:

٢١٥ - البعّ : الصبّ فى سعة وكثرة ... والبعبع : حكاية صوت الماء المتدارك إذا خرج من إنائه ... وبهاء حكاية بعض الأصوات ، وتتابع الكلام فى عجلة .. والبعابعة : الصعاليك .

٢١٦ - التّع والتعة : الاسترخاء ... والتعتع : الفأفاء ... وتعتع فى الكلام : تردد...

٢١٧ - ثع يثِع : قاء . والثعثع : اللؤلؤ والصدف ... والثعثعة : كلام فيه لثغة .

٢١٨ - جع : أكل الطين ... والجعجع : ما تطامن من الأرض ... والجعجعة : صوت الرحى . وتجعجع : ضرب بنفسه الأرض من وجع .

٢١٩ - الخُعْخُع كهدهد : نبت أو شجرة . وخعّ الفهد يخع : صات من حلقه إذا انبهر فى عَدْوِه .

٢٢٠ - الدع : الدفع العنيف ... والدعداع : القصير ... ودعدع : عدا فى بطء والتواء .

٢٢١ - ذعذع المالَ وغيرَه : بدده وفرقه ، فتذعذع ... والذعاع : الفرق ، الواحد كسحابة ومن النخل : رديئه ، كذعاذعه ..

٢٢٢ - الرعراع : اليافع الحسن الاعتدال مع حسن شباب كالرعرع ... والرعاع كسحاب: الأحداث الطغام ، وكسحابة : النعامة ومن لا فؤاد له ولا عقل ، والرعّ : السكون .

٢٢٣ - السعيع كأمير ، والسّع بالضم : الشيلم .. والسعسعة : دعاء المعزى بِسَعْ سَعْ والهرم والفناء كالتسعسع ... وتسعسع الشهر: ذهب أكثره ..

٢٢٤ - الشعشع والشعشاع ... : الخفيف والحسن ... والشعاع كسحاب : التفريق ... وشع البعير بوله : فرقه .. وشعشع الشراب : مزجه .

٢٢٥ - الضعضاع الضعيف من كل شيء.. كالضعضع ... والضعّ : تأديب الناقة ..

٢٢٦ - الطعّ : اللحس ، والطعطع كفدفد : المطمئن من الأرض ..

٢٢٧ - ماء قُعّ وقُعاع : شديد المرارة ... والقَعقاع : من إذا مشى سمع لمفاصل رجليه تقعقع ... وقعّه كمدّه : اجترأ عليه بالكلام ... وقعقعت عُمدهم وتقعقعت : ارتحلوا ...

٢٢٨ - كع يكع كعوعا : جبن وضعف فهو كعّ وكاعّ وكعكع بالضم .. وأكعته : خوفته.. ككعكعته فتكعكع هو .

٢٢٩ - اللعاع كغراب : نبت ناعم فى أول ما يبدو.. وألعّت الأرض: أنبتتها... واللعلع : السراب ... واللعلاع : الجبان . واللّعّة : العفيفة المليحة .

٢٣٠ - المعّ : الذوبان ، والمعمع : المرأة التى أمرها مُجْمَعٌ لا تعطى أحدا من مالها شيئا . والمعمعة : القتال .

٢٣١ - النّعّ : الرجل الضعيف .. والنّعناع والنُّعنع : بقل معروف .. والنعنعة : رُتّة فى اللسان .

٢٣٢ - الوَعّ : ابن آوى ، كالوعوع ، وهو الخطيب البليغ ...

٢٣٣ - البغبغ كقنفذ : البئر القريبة الرشاء ... والبُغ : الجمل الصغير .

٢٣٤ - الرغيغة : العيش الصالح ... والرغرغة : رفاغة العيش .

٢٣٥ - الزُّغ بالضم : صُنان الحبش ، والزُّغزغ كهدهد : طائر ، والقصير الصغير ...

٢٣٦ - شغّ البعير ببوله : فرقه ... والشغشغة : تحريك السنان فى المطعون .

٢٣٧ - صغّ : أكل أكلا كثيرا ، وصغصغ شعَره : رجّله ...

٢٣٨ - الضغيغ كأمير : الخصب ... والضغضغة : لوك الدرداء . ضغضغ اللحم فى فيه : لم يحكم مضغه .

٢٣٩ - التُّفّ ... وسخ الظفر ... والتفتاف : من يلتقط أحاديث النساء كالمتفتف ..

٢٤٠ - الجَفّة والجَف وبضمان : جماعة الناس أو العدد الكثير ، وجفّة الموكب : هزيزه كجفجفته .. وجفجف : حبس ومنع وردّ إبله بالعجلة مخافة الغارة .

٢٤١ - حف رأسُه يحِف حفوفا : بعد عهده بالدهن ... وحفحف : ضاقت معيشته .

٢٤٢ - خفّ يخف ... والخفيف ... وامرأة خفخافة : كأن صوتها يخرج من منخريها ..

٢٤٣ - الدف بالفتح: الجنب من كل شيء... والدُّف ... وقد دفّ وأدفّ ودفدف واستدفّ ودفّف تدفيفا : أسرع كدفدف ...

٢٤٤ - ذف على الجريح ... أجهز .. وذافّه وعليه وله : أجهز عليه كذفّفه وذفذفه ..

٢٤٥ - رف يرُفّ ويرِفّ : أكل كثيرا ... والرفرفة : الصوت ..

٢٤٦ - زف العروس إلى زوجها .. والزفزفة : تحريك الريح الحشيش ..

٢٤٧ - السفيف كأمير : نبت .. والسفساف: الردىء من كل شيء ..وسفسف : انتخل الدقيق ونحوه ، وعمله : لم يبالغ فى إحكامه .

٢٤٨ - الشفّ ويكسر : الثوب الرقيق .. وشفّ الثوب .. : حكى ما تحته .. وثوب شفشاف : لم يُحْكَم عملُه ..

٢٤٩ - الصف : المصدر كالتصفيف ... والصفصف : المستوى من الأرض ، وصفصف : سار وحدة فيه .

٢٥٠ - الضَّفَف .. : كثرة العيال .. وضَفّة القوم وضفضفتهم : جميعهم .

٢٥١ - الطفيف : القليل .. والطَّفطفة ويكسر : الخاصرة .. والطفطاف : أطراف الشجر ... وطفطف : استرخى فى يد خصمه .

٢٥٢ - عف عفاو عفافا ... : كف عما لا يحل ولا يجمل .. والعفعف : ثمر الطلح ، وعفعف : أكله .

٢٥٣ - قفّ العشبُ قفوفا : يبس ، وقفّ الثوبُ : جف بعد الغسيل .. وقفقف : ارتعد من البرد وغيره، أو اضطرب حنكاه واصطكت أسنانه.

٢٥٤ - الكف : اليد أو إلى الكوع .. وكففته عنه : دفعته وصرفته ككفكفته فكف هو ...

٢٥٥ - لفه ضد نشره كلفّفه ... ورجل لفلف ولفلاف : ضعيف .. ولفلف : استقصى الأكل ..

٢٥٦ - نفّ الأرض : يذرها ... النفنف : الهواء ، وكل مهوًى بين جبلين كالنفناف ..

٢٥٧ - هفّت الريح تهف هفا وهفيفا : هبت فسمع صوت هبوبها ... والهفاف كشداد من الخُمُر : الطّيّاش ومن القمص : الرقيق الشفاف كالهفهاف فيهما .. والهفهاف : الضامر البطن .

٢٥٨ - .. بقّ على القوم بقًا وبقاقا : كثر كلامه ، كأبقّ فيهما ... والبقبقة : حكاية صوت الكوز في الماء ونحوه ، والبقباق : الفم، وبقبق علينا الكلام : فرّقه .

٢٥٩ - الحق من أسماء الله تعالى ... وقرب حقحاق : جادّ .. والحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر .

٢٦٠ - الإخقيق كإزميل وأسبوع : الشق في الأرض .. وخَقّ الفرج يخق خقوقا صوّت (... وقد خَقّ وخقخق ... وخق القار .. وخقخق : غلى وسمع له صوت) من لسان العرب لابن منظور .

٢٦١ - دقّه : كسره أو ضربه فهشمه ... والدقدقة : جلبة الناس وأصوات حوافر الدواب.

٢٦٢ - الرّق ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه ... والرقراقة التي كأن الماء يجري في وجهها وترقّق له : رق له قلبه . ورقرق الماء ونحوه : صبه رقيقا .

٢٦٣ - الزّق : رمى الطائر بذرقه وإطعامه فرخه كالزقزقة فيهما ..

٢٦٤ - السقق بضمتين : المغتابون للناس. وسقّ الطائر : ذرق ، كسقسق . والمسقسق : من يصعد في دكة وآخر في أخرى وينشد كل منهما ...

٢٦٥ - شقّه : صدعه ... وشقشق الفحل : هدر ، والعصفور : صوّت .

٢٦٦ - طَقّ : حِكَايَةُ صوت الحجارة . والاسم الطقطقة (ضَقّ يضق : صوت كطقّ).

٢٦٧ - العقيق كأمير : خرز أحمر ... وعقّ والده ... والعقعق : طائر ...

٢٦٨ - غقّ ... الصقر : صوت ، كغقغق...

٢٦٩ - فقفقه : فتحته ، ورجل فقاق كسحاب وسحابة ، وفقفاق وفقفاقة : أحمق هُذَرة وفقفق : افتقر فقرا مدقعا .

٢٧٠ - اللقّ : الصـــدع فى الأرض ، ولق عـينه : ضـربها بيـده .. واللقلق : اللسـان ، واللقلقة : صوته .

٢٧١ - مقّ الطّلعـة : شـقـهـا للإبار .. والمقامق : المتكلم بأقصى حلقه ، ومقمق : لان وَسلِسَ .

٢٧٢ - نق الضـفـدع ينق نقيـقا :صاح ... والنّقّاقة : الضفدعة ، والنقنقة : صوتها .

٢٧٣ - الوقّ : صياح الصرد . والوقـواق : الجبان ... والوقوقة : نباح الكلاب .

٢٧٤ - الهقـهقة: السير الشديد... وهقّها: جَهَدَها بالجماع ...والهقهاق :المنكمش فى أموره .

٢٧٥ - اليَـقَق : جمار النخل ... وأبيض يقَق، وككتف : شديد البياض ، وبيضٌ يقايقُ ، ويَقٌ : ابيضٌ ...

٢٧٦ - بكّه : خرقـه وفرقـه وفسخـه ... وتباكّ : تراكم ، والقومُ : ازدحموا كتبكبكوا ، والبكبكة : طرح الشيء بعضه على بعض .

٢٧٧ - تكّه : قطعـه أو وطئـه فـشـدخـه كـتكتكه ... والتكة بالكـســر : ربـاط السراويل ..

٢٧٨ - ثكّ فى الأرض : ساح ، وثكثك : حمق وعربد . والثكثكة : المرأة الرعناء .

٢٧٩ - الدكّ : الدق والهـدم .. والدكـدك والدكداك من الرمل : ما تكبّس واستوى .

٢٨٠ - ركّ يَرك ركـاكـة : ضَـعُف ... والركركة : الضعف فى كل شىء .

٢٨١ - زكّ يزك زكـا وزككا وزكـيكا ، وزكزك : مر يقارب الخطو ضعفا .

٢٨٢ - السّكّ : المسمار ... والسكسكة : الضّعف والشجاعة .. وتسكسك : تضرع .

٢٨٣ - الشّك : خـــلاف اليـــقين ... والشكشكة : السلاح الحاد أو حدة السلاح .

٢٨٤ ضكّه الأمر : ضاق عليه ، والشىء : ضغطه ، كضكضكه ، والضكضكة : مشى فى سرعة ... وتضكضك : انبسط وابتهج .

٢٨٥ - لكّه : ضربه بجمعه فى قفاه .. واللـكلك كهـدهـد : القصـيـر والضـخم من الإبل ...

٢٨٦ - مكّه وأمتكه وتمككه ، ومكمكه : مصه جميعه ..

٢٨٧ - هكّ الشيء :سحقه ... والهكهكة: كثرة الجماع .

٢٨٨ - بلّه بالماء ... وتبلّل : حسنت حاله بعد الهزال ... والبلبل : طائر.. والبلبلة : اختلاط الألسنة .. وبلبلهم بلبلة وبلبالا : حركهم وهيجهم .

٢٨٩ - تلّه : صرعه .. والتلتلة : التحريك والإقلاق والزعزعة .

٢٩٠ - الثُّلة: الجماعة منا ... وثلّ الدارَ : هدمه ، فتثلثل .. والثلثل كهدهد : الهدم .

٢٩١ - جلّ يجل جلالة وجلالا : عظم ... والجلجلة : التحريك وشدة الصوت ..

٢٩٢ - حل المكان وبه : نزل ... والحُلاحل: السيد الشجاع .. وحلحلهم : أزالهم عن مواضعهم ..

٢٩٣ - الخل : ما حمض من عصير العنب وغيره ... والخَلخل ويضم وكبلبال : حَلْيٌ ... وخلخل العظم : أخذ ما عليه من اللحم .

٢٩٤ - ... دلّه عليه دلالة ويثلث ... وتدلدل : تهدّل وتحرك متدليا ، والدلدلة : تحريك الرأس والأعضاء فى المشى .

٢٩٥ - ذل يذل .. : هان فهو ذليل .. والذلاذل .. أسافل القميص الطويل .

٢٩٦ - زلّت تزِل ... : زلقت فى طين .. وزلزله زلزلة وزلزالا مثلثة : حرّكه .

٢٩٧ - السلّ : انتزاعك الشيء وإخراجه فى رفق ... السلسل كجعفر وخلخال : الماء العذب ... وتسلسل الماء : جرى ..

٢٩٨ - الشّلل : أن يصيب الثوب سواد ولايذهب بغسله .. والشلشلة : قطران الماء ،

الجزء الرابع :

٢٩٩ - صلّ يصِل صليلا : صوت ، كصلصل صلصلة ...

٣٠٠ - الضلال والضلالة والضل ويضم والضُّلضلة : ضد الهدى .. وضلاضل الماء : بقاياه .

٣٠١ - الطّل : المطر الضعيف ... والطُّلاطلة : الداهية ... وطلطله : حركه .

٣٠٢ - الظّل ... وظلّلَ بالسوط : أشار تخويفا . والظلظل بالضم : السُّفن .

٣٠٣ - العَلّ والعلل : الشَّربة الثانية ... والعلعل كهدهد وفدفد : الذَّكَر .

٣٠٤ - الغل.. العطش.. والغليل : الحقد.. وغلّ .. فى الشىء غَلا :أدخل ، كغلغل ودخل كانْغَلّ وتَغلّل وتغلغل .

٣٠٥ - فلّه وفلّله : ثلمه ... وتفلفل : قارب بين الخطى وتبختر ، وشاص فمه بالسواك ، كفلفل فيهما .

٣٠٦ - القُلّ والقلة بالكسر ضد الكثرة .. وقلقل : صوّتَ .. وقلقل الشىء : حركه .

٣٠٧ - الكُل ... وتكلل به : أحاط ، وروضة مكللة : محفوفة بالنور .. والكلكل: الصدر ..

٣٠٨ - .. مَلِلْتُ وملّلْتُ وتملّلْتُ .. وتململ : تقلب ... والململة : السرعة ...

٣٠٩ - الهلال : غرة القمر ... ج أهلة .. هلّ المطر : اشتد انصبابه .. وهلهل الصوت : رجّعه .

٣١٠ - تَم يتم تَما وتماما مثلثتين .. والتمتمة : رد الكلام إلى التاء والميم .

٣١١ - ثَمّهُ : وطئه ... والثمثام : من إذا أخذ الشىء كسره ... وتثمثم عنه : توقف .

٣١٢ - الجَمّ : الكثير كالجميم ... والجمجمة : ألا يبيّن كلامه كالتجمجم ، وإخفاء الشىء فى الصدر .

٣١٣ - حم الأمر بالضم حما : قضى ... والحمحمة : صوت البرذون عند الشعير ..

٣١٤ - خَم البيت والبئر : كنسها ... والخمخم كسمسم : الضرع الكثير اللبن .

٣١٥ - دمّه : طلاه ، والبيت : جصصه .. والدمدمة : الغضب ..

٣١٦ - ذمّه ذما ومذمة فهو مذموم ... وذمذم : قلّل عطيته .

٣١٧ - رمه يرمه .. رما ومرمّة : أصلحه... ورَمْرَمَ أو يرمرمُ .. وترمرموا : تحركوا للكلام ولم يتكلموا .

٣١٨ - زمه فانزم : شده ... والزمزمة : الصوت البعيد له دوىّ .

٣١٩ - السم : الثّقب ، وهذا القاتل المعروف ، ويثلث فيهما .. والسِّمسم : الثعلب وبالكسر : معروف .

٣٢٠ - الشّم : حس الأنف .. والشُّماشم : ما يبقى على الكباسة من الرطب ..

٣٢١ - الصمم محركة : انسداد الأذن ... والصِّمّة ..وأنثى القنافذ، وصوتها الصمصمة.. وصمّم فى الأمر والسير تصميما : مضى كصمصم ..

٣٢٢ - الضّم : قبض شيء إلى شيء ... والضّمضم : الغضبان ... كالضُّماضم .

٣٢٣ - طمّ الماءُ طما وطموما : غمر . والإناءَ : ملأه .. ورجل طِمْطِم .. فى لسانه عجمة .. والطمطام : وسط البحر ، وطمطم : سبح فيه .

٣٢٤ - العم : أخو الأب .. وعم الشيءُ عموما : شمل الجماعة .. والعماعم : الجماعات ، وعَمْعَمَ الرجلُ : كثر جيشه بعد قلة

٣٢٥ - الغَم : الكرب ... والغمغمة : أصوات الثورة عند الذعر،والأبطال عند القتال.

٣٢٦ - القمة بالكسر : أعلى الرأس .. وتقمُّم : تتبع الكناسات ، والشيءَ : تسنّمه كتقمقمه ، والقمقام ويضم : السيد ، والأمر العظيم ..

٣٢٧ - الكُم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب .. والكمكام : علِكٌ .. والكُمة : القلنسوة المدورة . وتكمكم : لبسها .

٣٢٨ - لَمّه : جمعه .. وألمّ : باشر اللممَ... واللملوم : الجماعة .. وجيش لملم : كثير ..

٣٢٩ - النم : ... ورفع الحديث إشاعة له وإفسادا ... ونمنمه : زخرفه ونقشه .

٣٣٠ - الهم : الحزَن .. والهمّة ... والهمهمة : الكلام الخفى ، وتنويم المرأة الطفل بصوتها .

٣٣١ - البَنّة : الريح الطيبة والمنتنة ... والبَنْبآن : العمل والردىء من المنطق ..

٣٣٢ - التّن بالكسر : المثل والقرن ... وتنتن : ترك أصدقاءه وصاحب غيرهم ..

٣٣٣ - جنّه الليل : ستره .. والجناجن : عظام الصدر الواحد : جِنْجِن وجنجنه بكسرهما ويفتحان ، وجنجون بالضم .

٣٣٤ - خَنّ الجذعَ : قطعه ... والخنخنة : ألا يبيّن فى كلامه ، فيخنخن فى خياشيمه .

٣٣٥ - الدّن : الراقود ... والدندنة : صوت الذباب والزنابير وهينمة الكلام كالدُّنين والدندن .

٣٣٦ - الذنين كأمير وغراب : رقيق المخاط ، أو ماسال من الأنف رقيقا ... وذناذن الثوب : ذلاذله ... وما زال يذِنّ فى تلك الحاجة حتى أنجحها : أى يتردد فيها .

٣٣٧ - السنّ بالكسر : الضرس .. وسُنّ السكينُ فهو مسنون .. وجاء الريح سَنَاسِنَ : على طريقة واحدة .

٣٣٨ - شنّ الماء على الشراب : فرقه .. والشنشنة : الطبيعة والعادة .

٣٣٨ - الطنين : صوت الذباب ... وَطنّ : صوت كطنطن وطنّن .

٣٤٠ - عَنّ الشيء .. إذا ظهر أمامك ... عنعنة تميم .

٣٤١ - الفَنّ : الحال والضرب من الشيء... وفنفن : فرق إبله كسلا وتوانيا ..

٣٤٢ - القَنّ : تتبع الأخبار والتفقد بالبصر ... والقناقن بالضم : البصير بالماء فى حفر القُنيّ .. والقِنْقِنُ : صدف بحرى .

٣٤٣ - الكنّ : وقاء كل شىء وستره .. والبيت .. وكنكن : هرب وكسل وقعد فى البيت .

٣٤٤ - بَهّ : نَبُلَ وزاد فى جاهه عند السلطان ... وتبهبهوا : تشرفوا وتعظموا .

٣٤٥ - جهجه بالسبع : صاح ليكفه ، وجَهْجُهْ : رده رداً قبيحا ، والمجهجه بفتح الجيمين: الأسد .

٣٤٦ - الزهزهة : حسن بصيص لون البشرة ونحوه ، وترهره جسمه : ابْيَضّ من النّعمة .. وطست زَهٌ وزهرة وزهراء : واسع قريب القعر...

٣٤٧ - العَهُّ : القليل الحياء المكابر ، وعهعه بالإبل : زجرها ...

٣٤٨ - الفهّة والفهاهة والفهفهة : العِى .. وقد فهه كفرح : عيى .. فهوفَةٌ وفهيه وفَهْفَهٌ .

٣٤٩ - قهقه : رجع فى ضحكه ، أو اشتد ضحكه كقهٌ فيهما .

٣٥٠ - الكهة : الناقة الضخمة المسنة ... والكهكهة : الحرارة .

٣٥١ - لَهّ الشَّعَر : رقّقه وحسنه ، ولهله الثوب : هلهله . وتلهله الكلأ : تتبع قليله .

٣٥٢ - مَهّ الإبلَ : رفق بها .. والمهمه والمهمهة : المفازة البعيدة ، والبلد المقفر .

٣٥٣ - وهوه الكلب فى صوته : جزع فردده ... والوهّ : الحزن ، ووهٍ من هذا وهٍ كأفٍ أف .

٣٥٤ - البوّ : ولد الناقة .. وبَوْبَوَةٌ كفَوْقَلٍ : اسم جماعة .

٣٥٥ - الجوّ : الهواء ... والجوجاة : الصوت بالإبل ، أصلها : جوجوةٌ .

٣٥٦ - الدّوّ : الفلاة ... والدوداة : الأرجوحة (وأصلها دودوة - فى لسان العرب لابن منظور) .

٣٥٧ - الضوة : الجلبة كالضوضاة (ضو ضيت - قلبوا الواو ياء فى لسان العرب لابن منظور) .

٣٥٨ - عَوَى ... وعوعى يعوعى وعيعى يعيعى عيعاة وعيعاء وعَوّةٌ : اسم .

٣٥٩ - عَيّ بالأمر ... عجز عنه ... وعيعاية من عَدْواته .

٣٦٠ - القوة ضد الضعف .. والقيقاءة بالكسر : مشربة كالتلتلة .. وقوقى قوقاة وقيقاء : صاح .

ثانيا : ما انفرد به مضعّف الثلاثي

الجـزء الأول :

١ - القَبّ كجب : موضع بالكوفة .

٢ - أتّه أتًّا : غلبه بالحجة ، ورأسه : شدخه .

٣ - بَتّ : .. انبَتّ .

٤ - الثَتّ : الشَقّ فى الصّخْرة .

٥ - الجَتّ : جَسّ الكَبْشِ ليعرف سمنه من هزاله .

٦ - الختّ : الطعن مداركا ... والختت محركا : الفتور فى البدن .

٧ - الزتّ والتزتيت : التزيين، والتزتّتُ : التزيّن .

٨ - الست بالكسر أصله : سدس .. وستى للمرأة أولحن ، والصواب : سيدتى .

٩ - شتّ يشتّ شتًّا وشتاتًا وشتيتًا : فرق . وجاءوا شتات شتات : متفرقين .

١٠ - الصّتّ : الدفع بقهر ، أو الضرب باليد .

١١ - غَتّهُ بالأمر : كدّه . والشىءَ بالشىء : أتبع بعضه بعضا .

١٢ - الخُتّ : غثاء السيل .

١٣ - الدّثّ : المطر الضعيف . والدُّثّة بالضم : الزكام القليل .

١٤ - الرَّثّ : البالى .

١٥ - الشَّث : نبت طيب الرائحة يدبغ به . .

١٦ - العُثّة أو العَثّ (نقلت إلى المشترك) .

١٧ - الفَث : نبت يختبز حبه فى الجدب .

١٨ - الأجيج : تلهب النار كالتأجج وأَجّجْتُها ..

١٩ - ذَجّ : شرب وقدم من سفر فهو ذاجّ .

٢٠ - الزج بالضم : طرف المرفق ، والحديدة فى أسفل الرمح .

٢١ - شَجّ رأسه يشجه : كسره

٢٢ - صَجّ : ضرب حديدا على حديد فصوتا . والصجج بضمتين : ذلك الصوت .

٢٣ - أضج القوم إضجاجا : صاحوا .

٢٤ - ظج : صاح فى الحرب صياح المستغيث ، وبالضاد فى غير الحرب .

٢٥ - الوَجّ : السرعة .

الأخّ : القذر ويكسر ، ولغة فى الأخ .

٢٧ - الصّخ : الضرب بشيء صلب على مصمت .. والصاخّة ...

٢٨ - الضّخ : الدمع وامتداد البول ونضخُ الماء ، والمضخة بالكسر : قصبة فى جوفها خشبة يرمى بها الماء .

٢٩ - كخّ فى نومه : غَطّ ...

٣٠ - الإدّ والإدة : العجب والأمر الفظيع .

٣١ - بدّده تبديدا : فرقه فتبدد .

٣٢ - رده ردًّا ..

٣٣ - سَدّ ...

٣٤ - الشدة : اسم من الاشتداد . والشد : العدْو ..

٣٥ - الصّدّ ...

٣٦ - الغدّة ...

٣٧ - لَدّه لدًا .. الألدّ : الخصم ...

٣٨ - ندّ البعير : شرد ونفر .

٣٩ - الودّ : الحب ...

٤٠ - الأذّ : القطع ..

٤١ - البذّ : الغلبة ..

٤٢ - خذّ الجرحُ خذيذا : سال صديده .

٤٣ - الرذاذ كسحاب : المطر الضعيف .

٤٤ - شذّ .. وأشذ : جاء بقول شاذ .

٤٥ - الكذّان : حجارة رخوة ..

الجـزء الثانى:

٤٦ - نذّ نذيذا : مال . والنذيذ : ما خرج من الأنف أو الفم .

٤٧ - الضّرّ ضد النفع .

٤٨ - البَررُ : الشدة . حجر أبَرّ وصخرة برّاء ..

٤٩ - أزت القدر أزيزا .

٥٠ - البزّ : الثياب . والبزاز : بائعه (نقلت إلى المشترك) .

٥١ - الشزازة : اليبس الشديد ، وشيء شز وشزيز .

٥٢ - الكزازة والكزوز : اليبس والانقباض . كز فهوكزّ ... والكز : البخيل ..

٥٣ - الأُس : أصل البناء .

٥٤ - الجسّ : المسّ باليد ...

٥٥ - خسّ نصيبَهُ : جعله خسيسا دنيئا حقيرا ...

٥٦ - الدَّسّ : الإخفاء وستر الشيء تحت الشيء .

٥٧ - الشَّسُّ : الأرض الصُّلبة كأنها حجر واحد .

٥٨ - الطَّس : الطست .

٥٩ - يَسّ يَيِسّ يسًّا : سار .

٦٠ - الأشُّ : الخبز اليابس .

٦١ - تَشّ سقاءه وفشّه : أخرج منه الريح .

٦٢ - الدشُّ : السير ، واتخاذ الدشيشة ، وهي حسوٌ يتخذ من بُرٍّ مرضوض .

٦٣ - ذَشّ الرجلُ : سار ، لغة في : دَشّ .

٦٤ - الطَّشّ : والطَّشِيشُ: المطر الضعيف، وهو فوق الرذاذ .

٦٥ - الطَّشّ : الموضع الخشن ، مثل الشظف .

٦٦ - غشَّه : لم يمحضه النصح كغشَّشه .

٦٧ - يَشّ وأشّ : فرح .

٦٨ - خصه بالشيء خصا ... والخُص : البيت من القصب ... والتخصيص ضد التعميم .

٦٩ - الشِّص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

٧٠ - صَصصَ الصبي وققه : حَدَثه .

٧١ - الكصّ : الاجتماع والصوت الدقيق كالكصيص ...

٧٢ - الإ ضّ والإ ضاض : الملجأ ...

٧٣ - جَضّ : مشى الجِيِضَّى لمشية فيها تبختر .

٧٤ - دَمَّن : خدم سائسا .

٧٥ - عَضَضْته : أمسكته بأسناني .

٧٦ - الوضّ : الاضطرار .

٧٧ - أطّ الرجل : صوت ...

٧٨ - الثَّطّ : السلح ..

٧٩ - الحطّ : الوضع (نقلت إلى المشترك)

٨٠ - الأذطّ : المعوجّ الكف .

٨١ - السُّطط : الظَّلَمة والجائرون .

٨٢ - الضطط محركة : الوحل الشديد ...

٨٣ - بَظَّ المغنى : حرك أوتاره .

٨٤ - جظّه : طرده وصرعه .

٨٥ - الحظّ : النصيب .

٨٦ - الدظّ : الشلّ والطرد .

٨٧ - الفظ : السيئ الخلق .

الجـزء الثالث :

٨٨ - هَعَّ كمدٌ : قاء - لغة فى : هاعَ .

٨٩ - ذَعَّ جاريته : جامعها .

٩٠ - الطغّ والطغياء : الثور .

٩١ - الفَغّة : تضوع الرائحة .

٩٢ - أفّ يئف ويؤف : تأفّف من كـرب وضجر ... أفّ .. والأفّة كفُفّة : الجبان ...

٩٣ - الظّف : العيش النكد .

٩٤ - الغفة بالضم : البلغة من العيش ... واغتففته : أعطيته شيئًا يسيرا .

٩٥ - جق الطائر : ذرق .

٩٦ - صَقّ الحرباء يَصِقّ : صرّ . والصَّقُّ : المسمار أكره على الدق .

٩٧ - ضَقّ يَضِقُّ : صوّت كطقّ .

٩٨ - ... وقع فى قَـقَّـةٍ : فى رأى سوء . والقَقَقَةُ محركة : الغربان الأهلية .

٩٩ - الأكّـة : الشـديدة من شـدائد الدهر كالأكاكة .

١٠٠ - الحكّ : إمرار جرم على جرم صَكًّا .

١٠١ - صكّه : ضربه شديدا .

١٠٢ - العكّة مثلثة : شدة الحر مع سكون الريح .

١٠٣ - فكّه : فصله .

١٠٤ - يكٌّ : واحد بالفارسية ، وقد وقع فى شعر رؤبة : تخذَّىَ الرومىّ من يكٌّ ليكْ .

الجـزء الرابع :

١٠٥ - ألّ فى مشيه : أسرع .

١٠٦ - اليلل محـركـة : قصـر الأسنان العليا .

١٠٧ - أمّه : قصده .. والتيمم : التوضؤ بالتراب ، إبدال أصله التأمم ... وهما أُمّاك أى أبواك ، أو أمك وخالتك .

١٠٨ - البَمّ من العود معـروف ، أو الوتر الغليظ من أوتار المزهر .

١٠٩ - الفمُ ... وقد تشدد الميم ، وفُمَّ : حرف عطف . لغة فى : ثم .

١١٠ - اليمّ : البحر - لا يكسر ولا يجمع جمع السالم ... ويمه : قصده .

١١١ - أنّ يئن أنًا وأنينًا .. : تأوّه .. وأنّ الماءَ : صبّه .

١١٢ - الثّن بالكسر : يابس الحشيش إذا كثر وركب بعضه بعضا ..

١١٣ - الحنين : الشوق . تَحَنَّنَ : ترحّم .

١١٤ - الرّنّة : الصوت . رنّ يرن رنينا : صاح ..

١١٥ - زَنّ عصبُه : يبس .. وأبوزنّة : القِرْد .

١١٦ - الصّنُّ : بول الإبل .

١١٧ - الضَّنَنُ محركة : الشجاع . والضنين : البخيل ...

١١٨ - الظن : التردد الراجح بين طرفى الاعتقاد غير الجازم .

١١٩ - الغنة بالضم : جريان الكلام فى اللهاة ...

١٢٠ - منّ عليه منّا ... أنعم .. وأجر غير ممنون : غير محسوب ولا مقطوع .

١٢١ - الونّ : الضعف ، والصَّنْجُ الذى يُضْرَبُ بالأصابع .

١٢٢ - هَنّ يَهِن : بكى وحنّ ....

١٢٣ - بَنّة أبو عبد الرحمن الحمراوى شهد فتح مصر ، وإليه ينسب حمّام بَنّة بمصر .

١٢٤ - الأهّة : التحزُّن .. وتأهّه : توجع

١٢٥ - الذُّهُ : ذكاء القلب وشدة الفطنة .

١٢٦ - ضَهّهُ : شاكله وشابهه ، لغة فى : ضاهاه .

١٢٧ - الأوة بالضم والشد : الداهية ..

١٢٨ - البىّ : الرجل الخسيس .

١٢٩ - التوّ : الفرد ... وبهاء : الساعة .

١٣٠ - الثُّوّة بالضم : قماش البيت .

١٣١ - الثّيّة كالنّيّة : مأوى الغنم .

١٣٢ - الحُوّة : سواد إلى خضرة .

١٣٣ - الحىُّ : ضد الميت .

١٣٤ - الخوّ : الجوع .

١٣٥ - الرّوُّ : الخصب .

١٣٦ - الرّىّ (بلد معروف) .

١٣٧ - الزّى بالكسر : الهيئة والجمع أزياء .

١٣٨ - الصُّوّة : جماعة السباع .

١٣٩ - الغَيابة : ضوء شعاع الشمس ، وقعر البئر ، وكل ما أظل الإنسان من فوق رأسه كالسحابة ونحوها .

١٤٠ - الفوة كالقوة : عروق يصبغ بها ...

١٤١ - الكُوّة ويضم والكوّ : الخرق فى الحائط .

١٤٢ - مَىُّ ومَيّة من أسمائهن ....

١٤٣ - الهوة كقوة : ما انهبط من الأرض .

ثالثا : ما انفرد به مضعّف الرباعى

الجـزء الأول :

١ - بأبأه ، وبه ... البؤبؤ : .. السيد الظريف .

٢ - التأتأة : حكاية الصوت .

٣ - ثأثأ الإبل : أرواها وعطشها ضد .

٤ - الجأجاء : الهزيمة .. وكهدهد : الصدر .

٥ - حأحأ بالتيس : دعاه

٦ - دأدأ وتدأدأ : تمايل فى مشيه .

٧ - الذأذاء والذأذاءة : الزجر والاضطراب .

٨ - رأرأ : حرك الحدقة ، أو قلبها ، وحدّد النظر .

٩ - زَأزأه : خوّفه ... وتزأزأ : تزعزع .

١٠ - سأسأ بالحمار : زجره ليحتبس .

١١ - شأشأ ، وشؤشُوْ : دعاء الحمار إلى الماء ، وزجر الغنم .

١٢ - صَأصَأ الجِروُ : حرك عينيه قبل التفتيح .

١٣ - الضئضئ كجرجر وجِرجِير ، والضؤضؤ كهدهد وسُرسور : الأصل .

١٤ - طأطأ رأسه : طامنه .

١٥ - ظأظأ التيس ظأظأة : نَبّ ... والأعلم والأهتم : تكلم بكلام لايفهم .

١٦ - الغأغاء : صوت العواهق الجبلية .

١٧ - الفأفأ كفدفد وبلبال : مردِّد الفاء كثيرا ، ومكثه فى كلامه .

١٨ - القأقاء : أصوات غربان العراق . والقئقئ كزبرج : بياض البيض .

١٩ - كأكأ : نكص وجبن كتكأكأ .

٢٠ - اللؤلؤ : الدر ... وأبو لؤلؤة : غلام المغيرة قاتل عمر رضى الله عنه .

٢١ - مأمأت الشاة والظبية : واصلت صوتها .

٢٢ - نأنأه : أحسن غذاءه ...

٢٣ - الوأواء : صياح ابن آوى .

٢٤ - هأهأ بالإبل : دعاها للعلف .

٢٥ - يأيأه يأيأة ويأياء : أظهر ألطافه .

٢٦ - الأبّ : الكلأ أو المرعى أو ما أنبتت الأرض ... وأبّ للسير : تهيأ ...

٢٧ - الظبظاب : الوجع والعيب . وظُبظِبَ الرجلُ : حُمَّ .

٢٨ - القجقجة : لعبة يقال لها : عظم وضاح .

٢٩ - التَّحْتَحَةُ : الحركة وصوت حركة السير .. وما يتحتح من مكان : ما يتحرك ..

٣٠ - التّحْتحة : صوت فيه بحة عند اللهاة .

٣١ - الذخذاخ : المنقّب عن كل شىء .

٣٢ - الوذوذة : السرعة .. والذئب : مر يوذوذ .

الجـزء الثانى

٣٣ - الوشوشة : الخفة . وهو وشواش . وتوشوشوا : همس بعضهم إلى بعض .

٣٤ - الكضكضة : سرعة المشى .

٣٥ - القدر المغظغظة : الشديدة الغليان .

الجـزء الثالث:

٣٦ - أع أع مضمومتين ، فى حديث السواك .

٣٧ - الزعازع .. الشدائد من الدهر ، والزعزعة : تحريك الريح الشجرة .. وتزعزع : تحرك .

٣٨ - الصَّعْصَع : المتفرق .. والصعصعة : التفريق ... وتصعصع : تحرك ..

٣٩ - الفعفع كفدفد : الجدى والرجل الخفيف .

٤٠ - اليعياع من فعال الصبيان إذا رمى أحدهم الشىء إلى آخر ...

٤١ - تغتغ فى كلامه : ردّده ولم يبينه ... والمتغتغ للفاعل : متكلم لم يكد يسمع كلامه .

٤٢ - ثغثغ كلامه : خلّط فيه .. وهو ثغثغ وثغثاغ .

٤٣ - دَغدغه بكلمة : طعن عليه .. والدغدغة : الزغزغة فى معانيها .

٤٤ - سفسغ الشىءَ : حركه من موضعه كالوتد ونحوه .. وتسفسغتْ ثنيته : تحركت .

٤٥ - اللغلغ : طائر غير اللقلق .. وفى كلامه لغلغة : عجمة ولخلخة .

٤٦ - مغمغ اللحم : مضغه ولم يبالغ .. والمغمغة : العمل الضعيف الردىء .. .

٤٧ - النُّغْنُغ : الأحمق الضعيف وهى بهاء .

٤٨ - ... التقتقة : الحركة وسير عنيف . وتقتق من الجبل : وقع .

٤٩ - ثقثق : تكلم بكلام الحماقة .

٥٠ - الذُّقذاق : الحديد اللسان الذى فيه عجلة .

٥١ - الجكجكة : صوت الحديد بعضه على بعض .

٥٢ - الذكذكة : حياة القلب .

٥٣ - النكنكة : التشديد على الغريم ، وإصلاح العمل .

٥٤ - الوكوكة فى المشى : التدحرج .. والوكواك : الجبان .

الجــزء الرابع :

٥٥ - النلنل كهدهد : الرجل الضعيف .

٥٦ - الولوال : البلبال والدعاء بالويل .. ولولت المرأة ولولة وولوالا : أعولت ..

٥٧ - التهتهة : اللكنة ..

٥٨ - ثهثه الثلجُ : ذاب .

٥٩ - دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج .

٦٠ - الزهزاه : المختال فى غير مروءة .

٦١ - صهصه بهم : أكستهم .

٦٢ - الطهطاه : الفرس الرائع الفتى المطَهَم .. وطهاطه الخيل : أصواتها .

٦٣ - نهنهه عن الأمر فَتَنَهْنَه : كفَّه وزجره فكف . وأصلها نَهَّهَهُ . والنهنه : الثوب الرقيق .

٦٤ - يَهْيَه بالإبل : قال لها : ياه ياه .

٦٥ - الموماة : الفلاة (أصله مومومة على فعللة وهو مضاعف ، قلبت واوه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها - لسان العرب لابن منظور)

وقد قمت بفرز الأنواع الثلاثة بعضها عن بعض ، فبدأت بتدوين المشترك بين الصيغتين وأتبعته بما انفرد به مضعف الثلاثى ، ثم جاء بعده ما انفرد به مضعف الرباعى .

والملاحظ أنى لم أفرق بين الأسماء والأفعال فيما اعتمدت عليه ، وقد ظهر أن المشترك بين الصيغتين لم يرد فيه شىء من باب الهمزة ،

وكذلك ما انفرد به مضعف الثلاثى ، على حين أنه قد جاء فيه من مضعف الرباعى وحده (٢٥) مادة ، والتى لم ترد منه هى : باب الهمزة فصل الهمزة ، وباب الهمزة فصل الخاء ، وباب الهمزة فصل العين .

وفى باب الباء من المشترك (٢٢) ومن الثلاثى مادة واحدة ، ومن الرباعى مادتان .

وفى باب التاء من المشترك (١١) ومن الثلاثى (١١) ولم يرد فيه شىء من الرباعى .

وفى باب الثاء من المشترك (١١) ومن الثلاثى (٦) ولم يرد فيه شىء مما انفرد به الرباعى .

فهذه أربعة أبواب يبدو فيها التفاوت ، وقد تتبعت المشترك بين الصيغتين فوجدت أن أكثر ما ورد فيه من باب الراء (٢٣) ثم الباء واللام (٢٢) ثم الميم (٢١) ثم الحاء والفاء (١٩) ثم العين والقاف (١٨) ثم الجيم والخاء والصاد (١٤) ثم الزاى والشين والطاء والنون (١٣) ثم الثاء والكاف (١٢) ثم التاء والضاد (١١) ثم الدال والهاء (١٠) ثم الذال (٧) ثم الواو والياء (٧) ثم الغين (٦) ثم الظاء (٥) .

وما أيسر ترتيب النوعين المنفردين .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

أمين السيد

عضو المجمع

حَجْر اليمامة *

للأستاذ عبد الله بن خميس

قاعدةُ اليمامة وحاضرتها وخضراؤها ، كما وصفها صاحبُ كتاب (بلاد العرب) فقال : سُرةُ اليمامة وهى منزل السلطان والجماعة ، ومنبرُها أحد المنابر الأولية (مكة) ، و (المدينة) و (اليمن) ، و (دمشق) ، و (البحرين) ، و (الكوفة) . ا هـ .

وهى سرة (نَجد) ومدينتها كما يقول ابن الفقيه ..

وهى من أقدم المدن فى (جزيرة العرب) إذْ عُرفتْ خضراؤها أيامَ العرب البائدة فكانت حاضرة (طَسْم) ومدينتَها الأولى ، يحدثنا الهمدانى فى كتابه (صفة جزيرة العرب) قال: هى (حجر) حضور طسم وجديس وفيها آثارُهم وحصونُهم وبتْلُهم الواحد بتيل وهوهن مربع مثل الصومعة مستطيل فى السماء من طين .

قال أبو مالك : لحقتُ منها بناءً طوله مئتا ذراع فى السماء .. قال : وقيل : كان منها ما طوله خمسمائة ذراع .. من أحدها نظرتْ زرقاء اليمامة إلى من تزل من (جَوْجَان) من رأس (الدأم) مسيرة يومين وليلتين .

وكانت (جَديسْ) تسكن (الخضْرَمة) وكانت (طَسْم) تسكن الخضراء) .. أ هـ .

وفى (حجر) حصون فارغةٌ وقصور مشيدة وبتل وآطام ، منها : (بتيل حجر) الذى شيدتْهُ (طسم) ، ومنها : (مُعْتِق) ويقع على رابية مرتفعة من روابى (حجر) بين الواديين (العِرْض) و (الوتْر) ، ويروى بالنون (مُعْنِق) ومنها الشُموس وهما اللذان ورد فيهما هذا البيت :

أبت شرفات من (شموس) و (معنق)
لدى القصر منا أن تضام وتضهدا

ومنها (الثُرْمُلِيَّة) .. وقد بقيت أطلالُ تلك الحصون والقصور إلى القرن الرابع الهجرى

(*) ألقى البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

كما يحدثنا الهمدانى عن شيخه أبى مالك اليشكرى .

ولقد كانتْ (اليمامة) فى عهود (طسم) و (جديس) وفى أوائل الإسلام خضراء مُمْرِعَةً، وكانت بها أنهار جارية وعيونٌ ثرة وخضرة ونضرة .. وكانت مدينة (حجر) تسمى الخضراء ومن عيونها (الخضراء) (وهيت) كما ذكر ابن الفقيه .

وقال أستاذنا الأستاذ حمد الجاسر فى كتابه (الرياض عبر أطوار التاريخ) ولقد كانت مياه الواديين فى الماضى غزيرة ، وكانت بلادُ اليمامة كلُّها من أخصب البلاد وأكثرها مياهًا وزروعاً ونخيلاً .. وكانت مدينةُ (حجر) تسقى قديماً من (العيون) .

ويشاهد المرءُ عندما يسير على شفير وادى (البَطْحَاء) الغربى متجهًا من (الرياض) إلى (مَنْفُوحة) يشاهد سلسلة من الكظائم (الخَرَز) تمتد حتى تصل إلى الروضة الواقعة شمال (منفوحة) فى مفيض الوادى تدعى الآن (الخِضْرِمة) ، وقد عددت من تلك الكظائم فى إحدى المرات أكثر من ثلاثين خرزة وهى تمثل مجرى عين قديمة .

انتهى كلام الأستاذ حمد الجاسر .

قلت : وإلى جانب ما ذكر من خصوبة هذه الأرض وكثرة مياهها فإن من يعرف حقيقة تكوينها وطبيعة أرضها قبل أن يغمرها العمران وتختفى معالم أوصافها يدرك كيف كانت رياضاً متجاورة (وقرياناً) ريانة ، فلها من اسمها (حديثاً) نصيب (الرياض) ، ولها من اسمها (قديما) واقع (خضراء حجر) .

لقد عهدت (الرياض) يحوطها سورٌ تتخلله أبوابٌ ، كل باب ينفذ إلى جهة من جهاتها ، ولا يتجاوز محيطُ هذا السور أكثر من خمسة أكيال، أمّاما وراء هذا السور فمزارع ونخيل وبساتين من جميع الجهات ، وإذا علوت مرتفعاً من حزونها التى تحيط بها ورميت ببصرك رأيت مدينة الرياض وسط هذه الخضرة كالدِّرهم فى وسط الروضة ، إننى أتذكرها الآن حينما آتى لها من (الدرعيّة) فى سن الصغر على ظهر جمل ، وحينما يعلو بى مرتفع (الوِشّام) فى أعلى (شارع الخزان) اليوم

شـرقَ بناء (الهـلال الأحـمـر) أراها هكذا لايدرك بصرى نهاية خضرتها . أما المدينة فأراها كما وصفتها (درهم فى قلب روضة) ، وهذا زمـان قـريب لا يمكن أن يعطى الصـورة الحقيقـة لها ، وهى ذات عيون وزروع ومقام كـريم .. لكننى أتذكـر كـيف كـانت الرياض مدينتها ونخيلها وبساتينها تقع فى شبه دائرة من الحزون المحيطة بها ، تبدأ من الحزن الذى يقع به الآن حى (العليـا) ، ويمضى مُـجنّباً مغرباً ماراً بحزن (مـعهـد العـاصـمـة) إلى (الوشـام) إلى مـرتفـعـات (أم سُلَيـمَـة) ومرتفعات (الشُّميسى) ومرتفعات (مُقْرِن) و (معكّال) و (ظهرة منفوحة) ومرتفعات (غُبَيْـرا) ومـرتفـعـات (جبل أبى غَارِب) ومـرتفـعـات شـرق (الملَز) إلى أن نعـود من حيث بدأنا سلسلة حزون منقادة ، آخذ بعضهـا ببعض من جميع الجهات إلا من مناطق ضيقة يتطامن فيها الحزن حتى لا تكاد تراه ، ولكنه بطبعه حاجز طبيعى يكمل هذه الحلقـة التى داخلها الرياض مدينة ونخيلاً ومزارع وبساتين، ولا ينفذ سيلُها إلا بعد إذن أهلها حيث مضيق

(البَطْحَاء) المعروف قبل (منفوحة) ، هذه الروضـة (أو على الأصح مجـموعـة الرياض) يصب فيـها وادى (البطحاء) (الوتْر سابقاً) وشعب (أبى رُقَيع) ، وشـعب (الشّعبْة) ومنها تفضى إلى قاع (منفوحة) ، ثم تلتقى بوادى (حنيـفـة) تحت بلدة (المصـانع) ، ويذهب بعضُ المؤرخين إلى أنها سُميتْ (حجرا) لأن عبيد بن ثعلبة الحنفى هو الذى احتجرها بعد أن بادت منها قبيلة (طسم) وسبق إليها عبيد هذا .. والحقيقة أن اسم (حـجر) كان موجوداً أيام (طسم) وإنما أحتجر عبيد جانباً منها وإلا فهى قديماً تسمى (خضراء حجر) ، ويبدو أن تكوينها وطبيعة أرضهـا حيث تحتجزها الحزونُ من كل جهاتها كانت هى سبب التسمية الأولى هذا شىء طبيعى .. ولا تمدنا المراجع التى بين أيدينا عن الكيفية التى تنبىء كيف ومتى سكنت (طسم) و (جديس) هذه المنطقة ، إلا أن بعض الكتابات والنقوش التى توجد فى المنطقة تفيد باستيطان قبيلة ثمود لهـذه المنطقـة ، وهذا يصدق مـا ذهب إليـه المؤرخـون مـن أن (طسمـا) و (جـديسا)

و (ثمود) يرجعون إلى جد واحد هـو (سام ابن نوح) ، لذا لا نجد غرابة فى الأمر حينما نرى الآثار الثمودية . ما دامت هذه القبائل الثلاث ترجع إلى أرومة واحدة .. ولا نستبعد أن تكون الحضارة فى هذا الجزء من الجزيرة حضارة ثمودية إن لم تكن بالأصل فبالتبعية وإن لم تكن بالذات فبالنفوذ .

وذكر الهمدانى فى (الإكليل) أن (طسما) و (جديسا) كانتا قحطانيتين وأن نفوذ (طسم) تجاوز منطقة اليمامة إلى (العروض) بمنطقة الإحساء وما حولها ، ومن آثارها (حصن المُشَقَّرَ) .. والله أعلم بالصواب .

وكل ما فى الأمر أنه كان لهاتين القبيلتين فى اليمامة نفوذ وسلطة وحضارة وذكر كثير ومجد شهير .

وكانت (طسم) تسكن (حجراً) وما حولها ، وتعتبر حاضرتها وقصبة نفوذها ، وكانت (جديس) تسكن (جوًّا) (جو الخضارم) (الخرج وما حولها) ، وهى قاعدةُ ملكها ومركز سلطتها .

وقد عنى المؤرخون بذكر هاتين القبيلتين وأفاضوا فى الحديث عنهما ، وأفرد لهما عالمان شهيران ، وهما ابن الكلبى وأبو البخترى تأليفين خاصين بهما ، ذكرهما ابن النديم فى (الفهرست) ، إلا أنهما لم يصلا إلينا .

والذى بين أيدينا مما ذكره المؤرخون هو على نحو ما جاء فى أخبار عاد وثمود والعرب البائدة والأجيال الخالية مما لم يرد به كتابٌ ولا سنة ولم يعتمد على أسفار مكتوبة ولا أخبار منسوبة ، فكل ما ورد عن (طسم) و (جديس) هو من هذا القبيل .

وملخصه أنه جرى بين هاتين القبيلتين حروبٌ وثاراتٌ مما أدى إلى تغلب قبيلة (طسم) وتسلطها على (جديس) وإذلالها وإهانتها حتى أن الفتاة من جديس لا تزُف إلى زوجها إلا بعد أن تتقدم للملك (طسم) ليقضى وطرَه منها .. فخرجت إحداهن عارية ملطخة بدمها مارة بقومها (جديس) لتستثير نخوتهم وتستعدى أنفتهم فغضبوا ، وكان من الإمعان فى الإهانة أن يصنع ولىّ أمر الفتاة وليمة يدعو

إليها ملك (طسم) وحاشيته بمناسبة العرس فقرروا أن يثأروا لأنفسهم وأن يفتكوا (بطسم) فدفنوا السيوف تحت موائد الطعام ، ولما أخذ طسم في الأكل نبش جديس سيوفهم من تحت أرجلهم وفتكوا بهم وأبادوهم .. فاستجار الطسميون بأحد ملوك اليمن (حسان بن تبع) واستعدوه على (جديس) فأقبلَ في جيش كثيف يريد مهاجمة (جديس) في (الخرج) ، وكانت (الزرقاء) امرأة مبصرة يضرب بها المثل في حِدّة البصر من (طسم) ، ومتزوجة في (جديس) في (جو الخضرمة) (الخرج الآن) ، فأقبل جيش (تبع) ومن معه من (طسم) ، وكانت الزرقاء تنظر من بتيل عال جداً ، الناظر منه يكشف ما حول الخرج لمسافة يومين ، فأبصرت الجيش يدنو ويحمل معه على ظهور الإبل أشجاراً اقتلعها وحملها معه ليوهم الزرقاء أن الشجر أقبل يسير حتى إذا أخبرت القوم بالخبر كذبوها ، وفعلاً تم ذلك فأنكروا منها هذا القول واتهموها بضعف بدأ يدب في بصرها ، فدهمهم العدوّ على غرة وفتك بهم وفي ذلك يقول الأعشى يصف الحادث بعد قرون :

مانظرتْ ذاتُ أشفار كنظرتها
حقا كما صدق الذئبى إذ سجعا
إذ قلبتْ مقلةً ليست بكاذبة
إذ يرفع الآل (رأس الكلب) فارتفعا
قالت أرى رجلاً في كفه كتف
أو يخصف النعلَ ، لهفي أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبّحهم
(ذو آل حسان) يزجِي الموتَ والشرعا
فاستنزلوا أهل جوّ من منازلهم
وهدموا شامخ البنيان فاتضعا

ومنذ ذلك التاريخ سميت اليمامة باسمها وأضيفت هي إليها فقيل: (زرقاء اليمامة) .

وبعدَ (طسم) و (جديس) سكن حجراً قبيلة هزان من القبائل البائدة ، واختلف في نسبتها ، إلا أنهم يؤكدون أنها غير (هزان طسم) وغير (هزان عترة) .

وبعد هؤلاء سكنت عنزة (حجراً) وهم قبيلة (عنزة بن أسد بن ربيعة) ، ولكنهم سكنوها على ضعف وكان استقرارهم فيها خفيفًا ، فجاءهم بنو حنيفة يقدمهم (عبيد ابن ثعلبة الحنفي) ، فوجد مكان (حجر)

خاليًا ، ووجده مخصبًا يانعًا ، فاحتجر لنفسه ولأولاده طائفةً وحل بها وبثّ ومكث وجعل يقول :

حَلَلْنا بدارٍ كان فيها أنيسُها

فبادوا وخلّوا ذات شيد حَصُونها

فصاروا قطينا للفلاة بغُربْةٍ

رميما وصرنا فى الديار قطينُها

وجد بنو حنيفة فى (حجر) وما حولها مكانًا رحباً ومرتعًا خصبًا ، فانتشر بنو حنيفة فى اليمامة ونموا وكثر حرثهم ونسلهم وقويت شوكتهم وامتد سلطانهم ، ونافسوا فى حضارتهم وحاضرتهم أقاليم الحضارة فى جزيرة العرب وغيرها .

ويقدر أستاذنا حمد الجاسر فى كتابه (الرياض عبر أطوار التاريخ) أن سكنى بنى حنيفة لليمامة كان فى حدود ما قبل الإسلام بقرنين .

ولم تسلم حنيفة فى جاهليتها من الداء الذى يصيب القبائل والأمم ، وهو التناحر والتنافر ، فنشبت فتنة بين بنى حنيفة جردوا لها السلاح وشبت لها نار العداء .. ولما أخذت حصونهم تحميهم من التفانى صبوا بأسهم على النخيل يحرقونها ، فحرق أرقم بن عبيد بن ثعلبة الحنفى ورهطه نخيل (منفوحة) بلاد بنى قيس ثعلبة الوائليين رهط الأعشى،فبادلهم هؤلاء بمثل عملهم فحرقوا (الشط) و (البَادية) إحدى قرى (حجر) ، ومن ثم سميت (مُحْرِقَة) ، فقال الأعشى :

وأيام (حجر) إذ نحرّق نخلَه

ثأرْناكُمُ يومًا بتحريق أرقم

كأن نخيل (الشط) غب حريقه

مآتمُ سود سليت عند مأتم

وحادثة أخرى جمعت فيها (تميم) جمعَها لغزو (بنى حنيفة) ، فتحصنوا بحصونهم واشتغلت (تميم) بالتحريق .. وغزا (حجراً) عمرو بن كلثوم التغلبى الشاعر فتلقاه بنو حنيفة ببأس شديد فأسروه وأوثقوه فى أحد قصور (حجر) ، ولكن (بنى سحيم) من حنيفة مَنّوا عليه وأطلقوه ، وأشار إلى ذلك فى بعض شعره .

وبرز فى بنى حنيفة قادةٌ وزعماء يتنازعون السلطة ويتجاذبون السلطان ويتبارون فى

السيادة :(هوذة بن علـى السحيمى الحنفى) و (ثمامة بن أثـال) و (مجاعة بن مرارة) و (مسيلمة بن حبيب) و (الرحال ابن عنفوة) .

وكانت قاعدة السلطة تتجاذبها أيضا حواضر اليمامة الثلاثة : (جوُّ الخضرمة) بالخرج ، و (حجر اليمامة) الرياض و (عقرباء) فى أعلى وادى حنيفة حيث جرت المعركة الفاصلة بين المسلمين وبنى حنيفة ووقع الصلح هناك .

وبنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن على ابن بكر بن وائل: يتفرعون إلى ثلاثة بطون هم:

١ - الدُّول :وفيهم الثروةُ من بنى حنيفة والعدد والسلطة .

٢ - عَدِىّ .

٣ - عامر .

فولد (الدُّول) (مرة) و (عبد الله) و (ذهل) و (ثعلبة) .

فمن ولد مرة بن الدول هوذة بن على ابن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم ابن مرة بن الدول .. فهوذة هذا أول معدى لبس التاج وخوطب بأبيت اللعن ، وكتب له النبى ﷺ ، كما كتب لكسرى ، وقيصر ، فهو رأس بنى سحيم ومنهم عمرو بن عمرو بن سحيم قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ.. ومنهم طلقٌ وشيبانٌ ومالكٌ أبناء عمرو . وأمهم (الملاقطة) الحنفية سميت بذلك لسخائها ، وقد مدحهم الأعشى فى القصيدة التى مدح بها هوذة فمنها :

وجدتَ عليًّا بانئا فورثتَه
وطلقا وشيبانَ الجواد ومالكا

ومنهم طلق بن على بن طلق الصحابى وله رواية ، وكذلك ابنه عبد الرحمن .

فهؤلاء بنو مرة بن الدول بن حنيفة .

وأما بنو عبد الله بن الدول بن حنيفة ، فمنهم صبيحُ بن المحترش ، يقال إنه قاتل زيد ابن الخطاب رضى الله عنه ، واستقام بعدئذ وكان له فى العلم والصلاح يدٌ ولّاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضاء البصرة . وأما بنو ذهل بن الدول بن حنيفة ، فمنهم جبلة بن ثور ، ونافع ابن الأزرق الذى تنسب إليه الأزارقة من الخوارج .

وأما بنو ثعلبة بن الدُّول بن حنيفة ، فمنهم ثُمامة بن أُثال ، أسلم وله صحبة .. ومطرف بن النعمان ، وحرث بن جابر بن مسلمة ، وحليد بن عبد الله بن مسلمة ، ومحكم بن الطفيل قتل يوم اليمامة وكان أشرَف فى قومه من مسيلمة ومجاعة بن مرارة الذى أسره خالد بن الوليد والذى على يده تم صلح اليمامة هؤلاء ، هم بنو الدُّول بن حنيفة .

وأما ولد عدى بن حنيفة ، فمنهم مسيلمةُ ابن حبيب (الكذاب) ، ونجدةُ بن عويمر الخارجى ، والعباسُ بن الأحنف الشاعر ..

وأما بنو عامر بن حنيفة ، فمنهم عبدُ الرحمن بن محدوج .

ولم تكن (حنيفة) فى الإسلام بأقلّ شأناً منها فى الجاهلية ، فلقد كتب ﷺ إلى بعض زعمائها ودعاهم إلى الإسلام واهتم بشأن اليمامة ، وبعث سليط بن عمرو إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن على الحنفيين رئيسى حنيفة ، كما بعث رسله إلى العظماء والملوك ، فسعد ثمامة بالإسلام ووفق للخير حسبما جاء فى قصة طويلة لا يتسع المقام هنا لذكرها .

أما هوذة بن على فرغم ما كتب به إليه رسولُ رسول الله ﷺ ، فإنه لم يوفق للسعادة ، فلقد كتب إليه النبى ﷺ كتابا جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى هوذة بن على : سلام على من اتبع الهدى ... واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ماتحت يدك .

فأخذت هوذة العزة بالإثم ، فكتب إلى النبى ﷺ يقول : ما أحسن ماتدعو إليه وأجمله .. وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الأمر أتبعك .

فلما بلغ النبى ﷺ جوابه قال : لو سألنى سيابة من الأرض مافعلت .. باد وباد مافى يديه .. فلم يلبث هوذة إلا قليلاً حتى هلك .

ولقد وفد رؤساء اليمامة على النبى ﷺ فى السنة العاشرة من الهجرة وفيهم مجاعةُ بن مرارة ، والرحالُ بن عنفوة ومسيلمةُ ابن حبيب فأحسن ﷺ وفادتهم وأكرمهم وأعطاهم وأقطعهم قطائع وأجزل .

ولكن مسيلمة بعد ما رجع من النبى ﷺ ادعى النبوة ، وكتب للنبى ﷺ يقول : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ﷺ سلامٌ عليك أما بعد فقد أُشْرِكتُ معك فى الأمر ؛ فلنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله ﷺ : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب .. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .. والسلام على من اتبع الهدى .

فبدأ مسيلمة فى نشر خزعبلاته ، وخرافاته واستخفَّ قومَه فأطاعوه ، ولما توفى النبى ﷺ ازداد مسيلمة فى غيه وتمادى فى بغيه فجهز له أبو بكر جيوشا متعاقبة ، آخرها جيش كثيف بقيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وبعد معارك عنيفة وملاحم ذهب فيها فئامٌ من الفريقين قتل مسيلمة ، وصالحت بنو حنيفة خالداً على يدى مجاعة بن مرارة .. وأخبار هذا القتال مفصلة فى مظانها من كتب التاريخ بما لا يتسع المجال لإيراده هنا ..

وانظر رسم (عقرباء) فى حرف العين تجد شيئاً من التفصيل هنالك .

وممن وفد على النبى ﷺ من بنى حنيفة الأعشى ميمون بن قيس الشاعر الشهير صاحب منفوحة ، وقد أعد قصيدة عامرة فى مدح النبى ﷺ ، وتعداد فضائل الإسلام ومحاسنه ، مطلعها :

ألم تغتمضْ عيناك ليلة أرمدا
وبتُّ كما باتَ السليمُ مسهدًا

فسمع قريش نبأ عزمه القدوم على النبى ﷺ وكانوا يدركون أثر الشعر والشاعر ذلك الوقت ، أثره فى المجتمعات وأوساط العرب ، فخشوا إن هو مدح النبى ﷺ أن يضرم عليهم نيران العرب بشعره ، فعارضوه فى طريقه وأغروه بالمال وصدوه ، وما لبث أن هلك بعد أن وصل بلاده منفوحة ، ويقال إن النبى ﷺ حينما سمع قصيدته قال : كاد ينجو .

ومن هذه الإشارات السابقة ندرك ما لليمامة من أهمية وواقع اهتم به الإسلام

واحتفى بشأنه حتى أنه نزل فى بنى حنيفة مانوه بذكرهم وأكد قوتهم وعلو شأنهم على ما عليه بعض العلماء من أن الآية الكريمة :

(سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أولى بأسٍ شديد تقاتلونَهم أو يُسلِمون) .

نزلت فى بنى حنيفة .

ومن قوة بنى حنيفة ، ومنعتهم أنهم كانوا يجبرون على الملوك وينفذون رغباتهم وإن كان النعمان بن المنذر يريد ضدها .. جاء فى (الكامل) للمبرد عن أبى عبيد معمر بن المثنى ، قال : كانت السواقط ترد اليمامة فى الأشهر الحُرم لطلب التمر ، (والسواقط : من ورد اليمامة من غير أهلها) فإن وافقت ذلك وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه ، ثم تخرج منه فى الشهر الحرام ، فكان الرجل منهم إذا قدم يأتى رجلا من بنى حنيفة وهم من أهل اليمامة فيكتب له على سهم أو غيره : (فلان جار فلان) ، وكان النعمان بن المنذر أراد أن يجلى السواقطَ منها ، فأجارهم (مرارة الحنفى) ثم أحد بنى ثعلبة بن الدول من حنيفة فسوّغه الملك ذلك ؛ أى أجازه .. فقال (أوس بن حجر) يُحفِّظ النعمان عليه :

زعمَ ابنَ سُلمى فى مرارة أنّه
مولى السواقط دون آل المنذر
منع اليمامَة حزنها وسهولها
من كل ذى تاج كريم المفخر

أما حفظهم للجوار فقد قال عميّر بن سلمى الحنفى لما قتل أخاه وفاء لجاره :

قتلْنَا أخانا للوفاء بجارنا
وكان أبونا قد تجير مقابره

وقالت أم (عمير) المذكور :

نعد معاذرا لا عذر فيها
ومن يقتل أخاه فقد ألاما

ويفخرون فيقول شاعرهم :

وجدنا أبانا كان حل ببلدة
سوى ، بين قيس قيس عيلان والفزر
فلما نأت عنا العشيرة كلها
أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر
فما أُسلمتنا بعدُ فى يوم وقعة
ولا نحن أغمدنْا السيوف على وتر

ولقد ودُّ الإمام علىٌّ رضى الله عنه حينما خذله قومه وقعدوا عن نصرته أن يلوذ بركن

اليمامة ، كناية عن نصرة أهلها ، فقال :

ولو أنى أطعت عصبت قومى
إلى ركن اليمامة أو شمام
ولكنى إذا أبرمت أمراً
منيت بخلف آراء الطغام

وقال الفرزدق مشيداً بشجاعة بنى حنيفة :

لعمرى لقد سلتْ حنيفة سلة
سيوفا أبت يوم الوغى أن تعيرا
سيوفا بها كانت حنيفة تبتنى
مكارم أيام تشيب الحزورا
بهن لقوا بالعرض أصحاب خالد
ولو كان غير الحق لاقوا لأنكرا
ولولا سيوف من حنيفة جردت
ببرقان أمسى كاهل الدين أزورا

وانظر كتابنا (المجاز بين اليمامة والحجاز) ففيه طرف من هذا .

ومن حنيفة ثعلبةُ بن حنظلة صاحب القبة يوم ذى قار ، وكان يسمى مقطع الوظن والبطن لأنه يوم ذى قار قطع وظين وبطان بعير أمه وبطان بعير ابنته ، ورمى بهما على الأرض لئلا يفروا .

ومنهم أبو دلف البطل الشجاع الذى يقول فيه ابن جبلة :

إنما الدنيا أبو دلف
بين باديه ومحتضرة
فإذا ولى أبو دلف
ولت الدنيا على أثره

وأبو دلف يضرب بشجاعته المثل،قال فيه ابن فنن :

مالى ومالك قد كلفتنى شططا
خوض الحروب وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتنى رجلا
أمسى وأصبح محتاجا إلى التلف
تغدوا المنايا إلى غيرى فأسخطها
فكيف أسعى إليها بارز الكتف
أم خلت أن ضعيف الرأى حركنى
أو أن قلبى فى جنبى أبى دلف

وكما كانت (حجر) القاعدة الأولى لليمامة فى الجاهلية ، فكذلك ظلت هى القاعدة فى عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وصدر عصر بنى أمية ، إلا أن أحد ولاة بنى أمية وأقواهم وأنبههم ذكرا (إبراهيم بن عربى) ، اتخذ من بلد يسمى (العُقَيْر) فى منتصف

وادى حنيفة مما فوق (الدرعية) مقراً له ، مع بقاء (حجر) على قوتها ومكانتها ويرجح أستاذنا (الأستاذ حمد الجاسر) أن (العقير) يقع فى مكان (المغيدر) الآن بجانب (الملقى) .

ومن آثار صدر الإسلام فى (حجر) و (العرض) مسجد بناه خالد بن الوليد رضى الله عنه فى حجر لايزال باقياً حتى الآن غرب (الرياض) جنوبها فى مايسمى الآن حى (ابن غنام) ، ومن الآثار التى تذكر عن الأمويين وواليهم إبراهيم بن عربى سجن اليمامة المشهور (دَوّار) الذى ذكرته الشعراء وأفاضت فى ذكر قسوته وشؤمه .

وقامت ثورة فى اليمامة فى عهد بنى أمية سنة ١٢٦ هـ بعد أن مات الخليفة الأموى الوليد ابن يزيد ، قام بالثورة (المهير بن سلمى) جاء إلى والى اليمامة (على بن المهاجر) فخيره بينَ أن يعتزل الإمارة أو يفارق البلاد أو يبقى فى قصره ، فرفض كل ذلك وعزم على حرب المهير ، فجرت بينهما وقعة (القاع) المشهورة انهزم فيها الوالى الأموى وتحصن فى قصره بحجر ، ثم وجد فرصة للفرار ففر بعد أن قتل جنده قتلى كثيرون فاستولى (المهير) على اليمامة وقد قال (مروان بن أبى حفصة) اليمامى شعرا فى ذلك مفتخرا بقومه .

بذلت نصيحتى لبنى كلاب
فلم تقبل مشاورتى ونصحى
فداً لبنى حنيفة من سواهم
فإنهم فوارس كل فتح

وقال شقيق بن عمر السدوسى :

إذا أنت سالمت المهير ورهطه
أمنت من الأعداء والخوف والذعر
فتى راح يوم القاع روحة ماجد
أراد بها حسن السماع مع الأجر

وظلت (حجر) هى قاعدة اليمامة فى العهد العباسى . إلا أن ضعف شأن الدولة العباسية فى عهودها المتأخرة وتضعضع شأنها وتفلت الأمور من يديها واستبداد الولاة وذوى الشأن بما تحت أيديهم ، جعل من اليمامة المنطقة النائية من جهة ، والخطرة الحساسة من جهة أخرى .. جعل الحكم فيها يترنح ، والولاية تضعف وتغلب على أمرها ، مما هيأ الفرصة لمحمد الأخيضر لينقض على اليمامة

ويستولى عليها ، ويتخذ (الخضرمة) قاعدة لملكه ، وذلك حوالى سنة ٢٥٣ هـ .

وبنو الأخيضر أسرة علوية من بنى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكتب التاريخ تكاد تجمع على أن هؤلاء القوم ظلمة ، سيئو السياسة ، عنصريون ، مفسدون ، عملوا على إضعاف القبائل العربية فى نجد وغيرها مما اضطرها إلى الهجرة إلى مصر والمغرب العربى وجوانب من أفريقيا وسواد العراق وأطراف الشام ويحدثنا الرحالة (ناصرخسرو) عن شىء من واقع اليمامة فى عهد بنى الأخيضر (حسبما يروى عنه الأستاذ حمد الجاسر) قال :

بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها من (الأفلاج) ، وباليمامة حصن كبير قديم ، والمدينة والسوق - حيث صناع من كل نوع - خارج الحصن ، وبها مسجد قديم ، وأهلها (علويون) منذ القديم ، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر .

وهؤلاء العلويون ذوو شوكة ، فلديهم ثلاث مئة وأربعون فارس ومذهبهم الزيدية ، وهم يقولون فى الأذان (محمد وعلى خير البشر وحى على خير العمل) ، وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية .. وباليمامة مياه جارية بالقنوات ، وفيها نخيل ، وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف منه بدينار . أ هـ .

ظل عهد الأخيضريين فى اليمامة حوالى قرنين وأربع عشرة سنة . أى منذ سنة ٢٥٣ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ .. يسود فيها المذهب الزيدى وتحكم حكما مجحفًا مجنفا ، ولم تعلم أن الله خبأ لها أن يسود فيها مذهب السلف وأن تنصر فيها السنة وتخذل البدعة وتختفى الخرافة وتقام شرائع الدين ، فجزى الله محمد بن عبد الوهاب خير مايجزى به مؤمن مجاهد .

على أنه وقع خلاف بين المؤرخين عن الكيفية التى انتهى بها نفوذ بنى الأخيضر فى اليمامة وعلى يد من ..

فالمرجع بالنسبة للمدة ماذكرنا . أما بالنسبة لمن أدال دولتهم فالمرجع أنه على يد

القرامطة ضربوهم ضربة مؤلمة عاشوا بعدها زمناً ولكنها خضدت شوكتهم ، وظلوا بعدها فى ضعف حتى دالت دولتهم وذابوا فى قبائل المنطقة .

ومنذ عهد الأخيضريين ونفوذ مدينة (حجر) قد أخذ فى التقلص والانكماش ولم تقم بعدهم فى اليمامة ولاية قوية نافذة بل انتقلت السلطة والسيطرة إلى شرق الجزيرة (الأحساء) وماحولها ، مثل حكم القرامطة والعيونيين ، وكلهم قاعدة حكمهم الأحساء ويحكمون نجدا حكما مهزوزا مزعزعا بقدر ما يحصلون على الأطماع ويستغلون الرغائب .

بعد الأخيضريين أصبح حكم اليمامة مترنحا . وكثير من حلقات تاريخها مفقود قرونا متعاقبة لانحس لها بأثر ولا نعثر على حقيقة ؛ قرونا مظلمة مجهولة التاريخ عمياء الأثر .. حتى القرن الثامن حيث زارها الرحالة « ابن بطوطة » سنة ٧٣٢ هـ وقال : « ثم سافرنا منها إلى مدينة (اليمامة) وتسمى (حجرا) .. مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بنى حنيفة وهى بلدهم قديما وأميرهم « طفيل بن غانم » ثم سافرت منها بصحبة هذا الأمير برسم الحج .. » . اهـ .

ويبدو من كلام ابن بطوطة هذا ، ومن كلام لابن فضل الله العمرى حيث يعدد مساكن العرب فى كتابه (مسالك الأبصار) ويذكر بعض من يسكن اليمامة فى القرن الثامن وأن جلهم من بنى حنيفة .

ومن كلام لابن لعبون المؤرخ النجدى أورد فيه شعراً عاميا من شعر (جعيثن اليزيدى) من بنى حنيفة من (الجزعة) المعروفة فى أسفل الرياض فى رثاء (مقرن بن أجود بن زامل) أحد ولاة الأحساء الذى قتله البرتغاليون سنة ٩٢٨ هـ حيث يقول :

ولجد رعى ربعى زاهى فلاتها
على الرغم من سادات (لام) و (خالد)
وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد)
قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد

من هذه النصوص ندرك أن السلطة عادت لبنى حنيفة فى هذه القرون المتأخرة وبعد اضمحلال نفوذ (الأخيضريين) ، مما جعلهم ينزعون إلى أوطانهم ، ويستأنفون نفوذهم وإن كان لم يبلغ ما بلغه من قبل .

وفى منتصف القرن التاسع وفد (مانع المريدى) من بنى حنيفة على ابن عمه (ابن درع) صاحب (حجر) و (الجزعة) .. وفد عليه من الدرعية بالقطيف فاقطعه (المُلَيْبِيد) و (غُصِيبة) وما بينهما الذى هو مكان الدرعية الآن فسماه من يومئذ بهذا الاسم (الدرعية) نسبة إلى هؤلاء الدروع ؛ وقيل لأن بلاد مانع التى كان يسكنها فى الخط اسمها (الدرعية) ، فسمى هذا المكان باسمها .

أما آل يزيد من بنى حنيفة فانحصرت ممتلكاتهم فى الوصيل من (الدرعية) إلى (الجبيلة) .

ومانع المريدى هذا هو الجد الثالث عشر للملك عبد العزيز رحمه الله ، ولم يزل نفوذهم يكبر وعددهم يكثر حتى أصبحت لهم الصدارة وتلاشى الآخرون فى ظل نفوذهم .

أما (حجر) ، فإن عوامل الضعف التى اعتورتها والانقسامات والفتن واختلال الأمن واضطراب الولاية .. كل ذلك جعل من منطقة (حجر) تقسيمات ومسميات وإمارات ، كل منها له نفوذه واستقلاله بأمره وكيده وعدواته لمجاوريه .. وبرز أكبر مابرز هناك ناحيتان ، كل منهما تدعى الزعامة وتحتضن السلطة ، هما (مقرن) و (معكال) .. وتشير القرائن إلى وقوع حروب وثارات بين هذه الأقسام (أو الأحياء على الأصح) ، من ذلك هذا البيت المتوارث منذ ذلك الحين :

يامحلى والشمس باد شعقها

ضرب الهنادى بين (مقرن) و (معكال)

واللقطات التاريخية التى تمدنا بنتف من تاريخ المنطقة تفيد أن السلطة المحدودة انتقلت من (حجر) إلى (مقرن) و (معكال) وأن اسم الرياض لم يبرز إلا فى القرن الحادى عشر. وهذه اللقطات لاتمدنا بتاريخ مفصل ولا بعقود مسلسلة وأجيال ذات نفوذ مبسط ، ولكنها إشارات لا تخلو من فائدة . من ذلك أنه فى سنة ٩٨٦ هـ غزا شريف مكة حسن بن أبى نمى بلدة (معكال) و حاصرها بخمسين ألف جندى وتغلب عليها ، وتعهدوا له بدفع إتاوة سنوية .

وفـى سنـة ١٠٣٣ هـ ذكر ابـن بشر قتل (أولاد مفرج) بن ناصر صاحب (بلدة مقرن)

وفى سنـة ١٠٣٧ هـ احتـل آل (مـديرس) بلدة (مقرن) .

وفى سنة ١٠٥٦ هـ قـتل محـمد بن مـهنا أمير مقرن .

وفى سنة ١٠٩٩ هـ احتل سلامة أبا زرعة بلد مقرن .

كـل مـا أسلفنـاه يتحـدث عــن (حجر) (الرياض) الآن ، وكله قــبل أن يبــرز اسم الرياض فى القرن الحادى عشـر الهـجرى ، أعطينا عنه إلمامات يقتضيها المقام ، خاصة بحجر وبعهود (حجر) .

عبد الله بن محمد بن خميس

عضو المجمع المراسل من السعودية

الآثار النفسية فى تعريب العلوم والإبداع ★

للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

العلم والحضارة :

تمر الأمة العربية بأخطر مرحلة حضارية فى حياتها المعاصرة ، وإذا لم تفهم هذه المرحلة وتحتويها ، وتهضم ما فيها من جديد ، وتتغلب على التيارات الحديثة المتدفقة ، فسوف تضيع شخصيتها بين الحضارة الجديدة ، وتنسى تراثها وأصالتها ؛ لأن الأمم القوية سوف تفرض عليها علمها وثقافتها وآدابها بالتطور الحضارى المتقدم ، والاختراعات المتعددة الكثيرة التى دخلت فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا .

والعلم ركيزة هذا التطور الحضارى وعليه قامت قوة الغرب ، وبوساطته تمكنت من السيطرة على مقدرات العالم كله ، ووجهته نحو أغراضها ومصالحها واقتصادها ، فلا بد من فهم هذا العلم فهما عميقا ودراسة مافيه من حقائق علمية وأسرار تفوقه ونموه ، وسبر غور جزئيات هذا العلم ونتائج تجاربه . ولكى نساير هذا التطور ونحتوى حضارته بعد هذا التدفق المستمر بالمعلومات ، والطفرات العلمية فى الطاقة النووية والليزر والإلكترونات والموجات المغناطيسية وعلوم الفضاء ، وفى كل آلة مهما صغر حجمها أو كبرت فائدتها ؛ من آلة التصوير إلى الإنسان الآلى ، وغيرها من المخترعات التى يحرص الغرب على كتمانها عن الشرق .

اللغة والعلوم :

إن تفوق الغرب جاء من دراسة العلوم بلغته الخاصة ؛ لأن اللغة تتيح لأصحابها قدرات واسعة فى فهم التجارب ومكونات المواد ، ولأن الفهم الجيد للعلوم باللغة الأصلية يفتح أمام العالِم آفاقا واسعة ويمده بالدقة العلمية ؛ لأن فهم مصطلحاته وفقه رموزه يزوده بالدقة والإبداع والابتكار عندما يقوم العالم بالتجارب أو يسجل تجاربه . وتظهر قابلية العالم العلمية وفكره الذاتى بصورة واضحة لأبناء لغته ، وعلى قدر فهم التجارب والاستفادة منها وهضم العلم يكون التفاعل

(★) ألقى البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ٢٥ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٦ من إبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م

النفسى مع المجتمع وتعم فائدته العلمية ، وتنتشر الآراء الجديدة التى جاء بها هذا العالم .

العامل النفسى والإبداع :

إن الثقة بالنفس أهم عامل فى الإبداع والاختراع ، والشعور بالنقص والانبهار الروحى بالغرب والإعجاب الأعمى بحضارته يعطل الإبداع ويضيع الثقة بالنفس . إن الغرب أبدع فى العلوم وطورها ،واخترع هذا الكم الكبير من المخترعات لأنه درس العلوم بلغته وهو واثق من قدرتها على الوفاء بحاجته العلمية وعلى قدر فهم العالم لعلمه ومعرفة دقائق هذا العلم والإحاطة بجزيئاته يفيد أمته ويطور عقليتها حضاريا .

إن تمزق العرب الفكرى والاضطراب الروحى فى بعض أقطارنا ومكانة الغربى فى عقول المثقفين العرب أضاع الثقة باللغة العربية فالمتكلم باللغة الأجنبية يشعر باهتمام مجتمعه وتقديره فحال هذا الشعور دون العناية باللغة العربية .. فمن الضرورى قبول التعريب نفسيا وإدخال الثقة إلى نفس الدارس بلغته ؛ ليقبل التعريب نفسيا ، ويكون مقتنعا وواثقا بفائدته وأن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم الحديثة .

جذور حضارة الغرب :

لاشك فى أن القدرة العقلية على هضم العلوم وإدراكها يتوقف على الإبداع . وتقف العلوم الحديثة فى الغرب على مرتكزات حضارية وجذور علمية متينة ، ولابد لنا من فهم هذه الجذور والوصول إلى أسسها الأولى ؛ لأن هذه الجذور أو القواعد هى التى قامت عليها النهضة العلمية فى الغرب ، ومن الضرورى لحركة التعريب العلمى فهم هذه الجذور دون النقل والترجمة ؛ كيلا يصبح الفكر العلمى العربى نسخة ثانية للفكر العلمى الغربى ، كما يصنع كثير من الدارسين هذا اليوم .

إن التعريب فن متكامل لا يمكن معرفة أصوله والسير فى أسلوبه بنقل النصوص والترجمة دون فهم لمكونات هذه النصوص واستيعاب ما فيها من تطور علمى وقدرة على الاستفادة العلمية منها ، وأن يعى العالم العربى وعيا حضاريا يجعله قادرا على هضم ما فى العلوم من حقائق ونظريات ليفيد منها

أمته فيأخذ منها حاجاتها ، ويطبق تجاربه ومخترعاته داخل وطنه ؛ لأن تعريب العلوم من وسائل تغيير العقلية الحضارية للأمم بعد أن تطورت الوسائل العلمية تطورا سريعا .

وتنوعت أساليب البحث العلمى المنظم .

إن الفهم العلمى العميق يفيد اللغة العربية ويجدد أسلوبها ويطوره ، وينظم المسار العلمى فى عقول طلاب العلم ، ويخلصه من التبعية الأجنبية ، ويكون سببا فى إبداع العالِم العربى عندما يستقل برأيه ويتخلص من الشعور بالنقص والانبهار الغربى ، ويحس بأنه لايقل ذكاء ومكانة عن علماء الغرب ويثق بعلمه ونفسه ولغته ؛ لأن فهم العلوم هو القاعدة الصلبة للاختراع والاكتشاف والتطور الذى لا تبرز مظاهره فى عالمنا اليوم والذى اعتمد على مخترعات الغرب واكتشافاته ، وأخذها جاهزة كالقطار والطيارة والسيارة والأدوات الأخرى التى نستعملها يوميا .

إن الإبداع والاختراع قائمان على مقدرة العالم على فهم لغة العلم والثقة النفسية بها ومعرفة مصطلحاتها علميا ولغويا ؛ لأن الإدراك اللغوى يساعده على التعبيرالمفهوم ويوصله إلى نتائج باهرة فى حقله .

وطلاب العلوم يعانون من ازدواجية لغوية تعيق تقدمهم العلمى ولاتعينهم على التصور الإبداعى ؛ لأن الازدواجية السطحية تحول دون الإدراك التام ، وقد يكون هذا التصور غامضا كلما أوغل فى الدراسة الدقيقة وعاش مع المواد الجامدة والتجارب العلمية المعقدة .

إن الفهم العميق للمادة العلمية ومعرفة أجزائها ضروران للعالم حتى يبدع ويتوصل إلى أحسن الحلول وخير النتائج بعد أن كثرت المفردات وتنوعت المصطلحات وفجرت طاقات لغوية فى الأمم المتحضرة . إن طلاب العلوم يدرسون باللغة الإنجليزية ويشرح الأستاذ لهم الأمور باللغة العامية فيتخرج الطالب مزدوج الثقافة اللغوية لا يعرف أيهما يفضل .. ويتخرج فى الكلية وهو غير مستقر لغويا ونفسيا لأنه لم يتقن اللغتين .

إن اللغة العريقة هى القادرة على استيعاب العلوم الجديدة ووضع المصطلحات لها واللغة العربية استوعبت الحضارة الغربية فى

العصر الحديث فى زمن محمد على باشا وسارت خطوات كبيرة فى طريق التعريب حتى جاء الاستعمار البريطانى وسيطرت لغته على الحياة الفكرية والعلمية ، وانبترت النهضة اللغوية التى بدأت قوية شابة عندما فرض (دنلوب) التعليم بالإنجليزية فجاء جيل بعد عن لغته ، وحَسِبَ أنها ليست قادرة على الوفاء بالعلوم واستيعاب الحضارة العلمية الجديدة ؛ لأن ثقافته الأجنبية تمنحه قدرا كبيرا من المكانة الاجتماعية والتقدير الثقافى .. والواقع أنه شعر بالنقص أمام هذه الحضارة لأنه اطلع على كثير من محتوياتها باللغة الأجنبية ولم يكن قد اتسعت معرفته باللغة العربية ، فمن الضرورى أن تعود الثقة إلى نفس طالب العلم بلغته والإيمان بأنها قادرة على احتواء العلوم الحديثة .. بأن تدرس المواد باللغة العربية حتى يتخلص الطلاب من الاضطراب النفسى والشك فى مقدرتها ، ويتخلص من شعور الخجل الذى يمنعه من المناقشة باللغة العربية لأنه لايقدر على المناقشة باللغة الأجنبية ، وشمل الخجل الأستاذ فقد ظن أنه غير قادر على التدريس بالعربية وإيصال معلوماته الغزيرة إلى طلابه بها وترددت مقولة إن العلوم لايمكن أن تدرس باللغة العربية مع أن دارس العلوم بلغته أقدر على فهم العلوم والإبداع فيها ، وخير شاهد تدريس الطب والعلوم والهندسة والرياضيات فى زمن محمد على باشا وتأليف الكتب بها مع أن المدرسين كانوا من الإنجليز والطليان والفرنسيين وفى دار الكتب عدد من هذه الكتب مثل :

١ - الصحة التامة والمنحة العامة : تأليف طبيب مصره ولقمان عصره معلم الأمراض الباطنية بالمدرسة الطبية محمد بدر أفندى .

٢ - أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض : تأليف محمد التونسى محرركتب الطب قابله مع جامعة محمد شافعى الحكيم الماهر .

٣ - التشريع العام : ترجمة عيسوى أفندى النحراوى استملاه الشيخ عوض القنانى وهو المصحح الأول ، المقدمة استملاها الشيخ على

العدوى وهو المصحح الثانى قابله مع بيرون الكيماوى الطبيب العارف لكثير من اللغات .

٤ - الأزهار البديعة فى علم الطبيعة : تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب الفن الفرنساوية وترجمه يوحنا عنجورى المدعو بحنين مع مساعده المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ يونس الواعظ المصحح .. وكانت جماعة من الأزهريين تساعد هؤلاء . وهناك كتب كثيرة فى مختلف العلوم طبعت فى مطبعة بولاق موجودة فى دار الكتب . ولتسهيل فهم العلوم وضعت المعاجم فى اللغات الأجنبية والعربية منها قاموس القواميس الطبية وهو يحاكى المعجم الطبى الذى وضعه مجمع اللغة العربية وقد وضع فى عدة لغات ومعناها باللغة العربية وكان العلماء حريصين على ضبط الكلمات ودقة الألفاظ شعورا بالمسئولية العلمية ولم يكتف المترجمون والمدرسون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح المناسب لها إنما أضافوا الملاحق لما ترجموه حتى يسهل على الدارس ضبط الألفاظ وقد شرح أحد الكتب الفكرة بقوله :

(فيه كثير من الأسماء الأعجمية، سواء كانت فرنساوية أو يونانية كأسماء مهرة المشرحين وبعض حيوانات قد ذكرت للتبيين وأسماء بعض أمراض ومفاصل ، ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها أقرب حاصل ، ولايمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط العام ، الذى به يستقيم الكلام ، ولا سبيل لذلك إلا بضبطها بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، أمرنى حضرة ناظر مدرسة الطب الإنسانى الآن الشهير بيرون أن أضبطها بالعبارة ليسهل التلفظ بها ويهون ، وأن أرتبها على نسق حروف المعجم ، لتكون أسهل وأقوم وأحكم . (١)

وقد كانت (يعسوب الطب) ومعها (روضة المدارس) تساعدان على الترجمة ، والتعريب ووجدت فى (يعسوب الطب) مختارات متنوعة من المقالات العلمية مترجمة من اللغات الأجنبية فقد خصصت هذه المجلة

---

١ - التشريع العام تأليف كلار طبع فى بولاق ١٢٦١

لهذه الغاية نفسها لتساعد الكتب المترجمة وتكمل مالم يرد فيها .

وبذلك فالتدريس باللغة العربية لم يكن مشكلة فى زمن بدأت الحضارة حضارة الغرب تغزو الشرق فتصدى لها المصريون بعزيمة وإيمان وتمكنوا من احتوائها علميا وفكريا وثقافيا ولو لم يفرض الإنكليز اللغة الإنجليزية لكانت مصر أسبق من غيرها فى التدريس باللغة العربية ولوصل التعريب فى البلاد العربية مرحلة متطورة ومتقدمة ولفاقت اللغة العلمية فى اليابان وروسية وبلغارية التى بوساطة لغاتها أبدع العلماء ونافسوا أكبر الدول قدرة وتفوقوا على أكثر الدول إنتاجا وها هى اللغة العبرية وكانت لغة ميتة أصبحت لغة العلوم والفنون والآداب فى إسرائيل .

إن التعريب ضرورة للإبداع والاعتداد بالنفس وأول ساحة يجب العناية بها هى الجامعات لتغير النظرة التى ينظر إليها العربى إلى الغرب وليثق الطالب بقدرة لغته على الوفاء بالعلوم للتخلص من الاستعلاء الغربى والسيطرة الأجنبية كما تخلصت الأمم الأخرى .

إن الابتعاد عن اللغة العربية عند طلاب العلوم سرب إلى نفوسهم الخوف والحذر من عدم قدرتهم على الفهم والاستيعاب والمعارضة شىء طبيعى يجب أن نقابله بالإقناع والمرونة ، لصعوبة تغيير آراء الناس بسهولة وبخاصة آراء المثقفين منهم . لأن تعريب العلوم ضرورة وطنية وحضارية إضافة إلى فائدتها العلمية البحتة لأن تعريب العلوم سوف يخلص طلاب العلم من الازدواجية اللغوية ويعيد الثقة إلى النفس بقدرة لغتنا على احتواء هذه الحضارة الجديدة وعلى العالم مسئولية كبيرة فى تطور العلوم فى أمته وقيادتها نحو الحضارة والتقدم التقنى .. ومتى وثق العالم بلغته فسوف تتقدم العلوم وتتطور نحو الإبداع والاختراع والاكتشاف .

إن قبول أى عمل علمى لابد له من استعداد نفسى وعدم فهم لغة العلم وضعف تعريبها سيوقع العالم فى موقع انهزامى وحالة نفسية سلبية يتهم فيها اللغة العربية بعدم القدرة على تعريب العلوم الحديثة ومثل هذا الإحساس يؤدى إلى ترك التدريس بها وعدم استعمالها فى التأليف ثم إهمالها وبخاصة بعد أن

سيطرت روح الاستهلاك والاعتماد على كل شيء جاهز يستورد من الخارج مع أن الأمم الواعية درست بلغاتها وعرفت التقنية الغربية بسهولة وقد كانت هذه الأمم متخلفة كالصين واليابان وروسية وإسرائيل ولم تتقدم العلوم وتتفوق إلا بعد أن درست علوم الغرب بلغاتها وسايرت التقدم السريع الهائل فى جميع جوانبها العلمية والثقافية والنفسية .

كيف نحل المشكلة :

هذه مقترحات عامة تضاف إلى المقترحات والآراء التى يبديها المختصون أضعها بين يدى مؤتمركم الكريم مساهمة متواضعة لتطبيق ما أوردته من آراء وأرى أن نبدأ بالطالب الجامعى .

الطالب والنص :

إن إعادة الثقة إلى الطالب سوف تساعده على الإحساس بالقدرة الروحية على دراسة العلوم بالعربية بجانب اللغة الانجليزية وسوف تسهل عملية التعريب والتدريس نفسيا باللغة العربية . لأن الثقة النفسية ضرورية لقبول التعريب والدراسة باللغة العربية وقد بدأت بعض الجامعات العربية بالتعريب وأقدمها جامعة دمشق ، ولو استمر التعريب فى مصر ولم يفرض (دنلوب) اللغة الانجليزية لكانت مصر اليوم رائدة التدريس باللغة العربية ولسهلت العملية ويسرتها .

ومتى فهم الطالب العلوم باللغة العربية فسيكون واثقا من نفسه كتابة ومناقشة . ولا أريد إهمال اللغة الأجنبية لكنى أرى أن يتدرج الطالب فى تعلمها وأن يتخلص من حفظ نصوص كتاب واحد أقره أستاذه وأن يخرج من دائرة محاضرته التى يحفظها أكثر الطلاب غيبا .

ولاشك بأن للأستاذ القدرة الكبيرة على تبسيط العلوم وشرحها لأن مستواه العلمى العالى يمكنه من رفع مستوى الطالب العلمى واللغوى متى درسها باللغة الفصحى فى المرحلة الأولى وابتعد الأستاذ عن العامية المخلوطة بالانجليزية وإلا فسيحفظ الطلاب المواد العلمية

دون إدراك عميق للجزيئات العلمية وبلا فهم للمعادلات والمصطلحات المتعددة .

ويمكن أن يدرس الطالب فى **السنة الأولى** : بعض المصطلحات والنصوص الأجنبية التى يدرسها باللغة العربية لمسايرة التطور العلمى والفكرى للطالب . وفى **السنة الثانية** : يدرس جزء من العلوم باللغة الانجليزية أسوة بالأمم التى تدرس أكثر من لغة فى مدارسها مثل هولنده وسويسرا وانجلترا وبلجيكا . فيتعود الطالب على فهم نصوص العلم بدرجة متقدمة ويقدر على متابعتها ببعض مصادرها الأجنبية بعد أن يختار الأستاذ النصوص المهمة ويعنى بشرحها باللغة العربية .. وبذلك يتعرف الطالب على النصوص بلغتها ويهضم ما فيها من معادلات ومصطلحات .

وفى **السنة الثالثة** : يمكن زيادة مصادر النصوص وتدريس مادة أو أكثر باللغة الانجليزية مع الاستمرار فى التدريس باللغة العربية وبذلك تتسع معارف الطالب دون أن يبتعد عن لغته .

وفى **السنة الرابعة** : يدرس الطالب أكثر من مادة باللغة الانجليزية حسب المستوى الذى يراه الأستاذ أو اللجنة التى تقوم بوضع المنهج .. ولأساتذة التربية وعلم النفس وأصحاب الاختصاص الرأى الأول لأن تجاربهم واحتكاكهم المباشر بالعمل الجامعى يمكنهم من وضع هذا التدرج العلمى وهم أقدر من غيرهم على فهم العملية التربوية والعلمية . وتدرس المصطلحات ضمن ساعات التدريس وقد يسر مجمع اللغة العربية . والمجامع فى الأقطار العربية وضع الكثير من المصطلحات يمكن وضعها بين يدى الطالب والأستاذ وقد طبعت فى معجمات متعددة .

المصادر العلمية :

إن التخطيط العلمى المنظم أساس لنجاح كل عمل متطور لذلك ينبغى جلب المصادر العلمية المهمة ووضعها بين يدى الطالب والأستاذ والعالم المختص وأن تترجم هذه المصادر ضمن منهج مرسوم وهدف مخطط مدروس لأن التخطيط يوقف المتناقضات المتعددة والآراء المتضاربة فى عالمنا العربى وبخاصة فى المجامع والجامعات .

ولسهولة التخطيط تجرى عملية إحصاء للمصادر العلمية المهمة الحديثة واختيار الأهم على المهم سواء أكانت من مجلات أم من الكتب والمعاجم . واختيار المقالات الممتازة وترجمتها إلى العربية وكانت (يعسوب الطب) مثلا حيا لهذه التجربة الرائدة .

الكتب والدوريات:

ولمسايرة عملية التعريب تترجم أهم مصادر البحث العلمى وتوضع المصادر نفسها بين يدى الدارسين وطلاب العلوم والأساتذة للاستفادة من اللغتين والمقارنة بينهما . لأن كثيرا من هذه المصادر لا تصل إلى الطلاب بما وضع أمامها من عراقيل مالية ورقابة معروفة .

كتب التراث:

وأتمنى الاستفادة من كتب التراث العربى فى وضع المصطلحات فقد ورثنا كمية كبيرة من الكتب العلمية التى استفادت الجامعات الغربية منها للتعرف على الأسلوب العلمى الذى كتب فيه علماؤنا بحوثهم وقد طبع كثير من هذه الكتب فى أوربا وعندما يعرف الطالب أن أجداده عالجوا العلوم بأسلوب جيد وسهل ووضعوا المصطلحات المناسبة للعلوم فسوف يشعر بأهمية اللغة العربية ويقدر جهد أمته ويفخر بها **ومن هذه الكتب التى يمكن الاستفادة منها:**

١ - إحصاء العلوم للفارابى
٢ - الصيدنة للبيرونى
٣ - الحاوى فى الطب للرازى
٤ - جامع مفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار
٥ - مقالة فى الضوء لابن الهيثم
٦ - طبقات الأطباء والحكماء ابن جلجل
٧ - القانون فى الطب لابن سيناء
٨ - كشاف اصطلاحات الفنون للتهانونى
٩ - مصنفات فى الكيمياء جابر بن حيان
١٠ - مفاتيح العلوم للخوارومى [(١)]

التخطيط العلمى:

إن التخطيط العلمى والتنسيق الإحصائى بين المجامع والجامعات والمعاهد والهيئات التى تعنى بالتعريب سوف يختصر الوقت وبالتعاون العلمى سوف يقرب مابعد من آراء ولعل التشريعات هى الوسيلة الناجحة فى عالمنا

١ - فى صدد مصادر الكتب يراجع : تراث الإسلام لمايرهوف والفهرست لابن النديم ومؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى .

الثالث فقد فرض (دنلوب) التدريس باللغة الانجليزية فنشأ جيل تعلق بها أكثر من تعلقه بلغته وأخذ يدافع عنها بقوة وحرارة بعد أن أمات (دنلوب) بتشريعه التدريس باللغة العربية التى بدأت فى زمن محمد على باشا .

مساندة الدول العربية :

ومن الضرورى مساندة الدول العربية بعدد من التشريعات وتشجيع الحركة بجوائز مالية ومعنوية فالدول العربية تصرف فى سبيل الرياضة أموالا طائلة وتضع لها الجوائز التى لا يحلم بها عالم مهما سما علمه واتسعت آثاره العلمية وقد صرفت الملايين فى هذه المسابقات فتطورت الحركة الرياضية تطورا واضحا فلو اعتنت بالتعريب بأقل من هذا القدر لماتخلفت حركة التعريب . فمن الضرورى مساندة المؤسسات العلمية التى تعنى بالتعريب كالمجامع والجامعات والمعاهد وأن تشكل لجان فرعية فى كل دولة أسوة بما تضعه اليونسكو وتكون مهمة هذه اللجان التنسيق وإعداد الكتب والدوريات والإشراف على جميع جوانب التعريب وتبادل المعلومات مع غيرها وقد حاول مجمع اللغة العربية فى القاهرة أن يقوم بهذا العمل بوساطة (اتحاد المجامع) لكنه لم يلق التشجيع والمساندة لحياة العرب المتناقضة .

المؤتمرات العامة :

ولتسهيل تبادل المعلومات بين المؤسسات لابد من حضور العلماء والمهتمين بحركة التعريب إلى اجتماعات دورية لأن اللقاءات العلمية تسهل الكثير من الأمور وتنقل التجارب من مكان إلى آخر لأن حلقات الدرس والمناقشات التى تدور فيها تعطى الجميع فكرة عامة تدعو إلى توحيد الرأى والسير نحو هدف واحد منسق .

الطبع والنشر :

ولابد من طبع إنتاج العلماء كى تتم حركة التعريب وينشر بين يدى العلماء وطلاب البحث حتى تنهض حركة التعليم وتتطور الحضارة . وقد سهلت الآلات الحديثة فى الطباعة الكثير من الأمور .

وأخيرا لابد أن نحافظ على العامل النفسى الذى يعيد الثقة بالنفس وبأن التدريس باللغة العربية ليس تخلفا وأن التدريس بالأجنبية ليس سموا .

هذه آراء ومقترحات من تجاربى المحدودة أرجو أن تأخذ مكانها مع خضم الآراء لكبار العلماء وحسبى أن قدمت ماعندى .

والله الموفق ،،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عز الدين

عضو المجمع المراسل من العراق

علم دراسة المستقبل ★

للأستاذ الدكتور أحمد صدقى الدجانى

مدخل :

« دراسة المستقبل » مصطلح شائع فى حياتنا المعاصرة ، يتردد على الألسنة . وهو يدل على « جهد علمى » لاستشراف المستقبل وتشوّفه ورؤيته بغية إحسان التعامل مع الواقع القائم ، والسعى لتحقيق أهداف محددة .

ويؤثر البعض للدلالة على هذا الجهد العلمى مصطلح « علم المستقبل » .

لقد أصبح مألوفاً حين يجرى الحديث عن العلوم فى عالمنا المعاصرأن تذكر من بينها « دراسة المستقبل » أو « علم المستقبل » وإن اختلف الخبراء فى موقع هذه « الدراسة » بين العلوم وفى تصنيفها .

الاهتمام اليوم بدراسة المستقبل عامٌ فى مختلف دوائر العالم الحضارية ، لا يقتصر على واحدة منها دون أخرى . وهو على أشده فى دائرة. حضارة الغرب التى أولت عناية خاصة للدراسات المستقبلية وللقيام بها وفق « منهج علمى » فى هذا القرن العشرين الميلادى .

يشهد وطننا العربى منذ عقد السبعينيات اهتماماً متزايداً « بدراسة المستقبل » . ويتجلى هذا الاهتمام فى ترجمة بعض ما كتب عن « المستقبلية » فى اللغات الأخرى ، وفى قيام بعض الكتاب العرب بالكتابة عنها وتأليف كتب فيها تتضمن « رؤى مستقبلية » وفى إنجاز مشروعات بحثية لاستشراف المستقبل حملت اسم « الاستشراف » ، وفى تأسيس جمعيات تعنى بدراسة المستقبل .

لقد حاولت الجهود العربية العلمية على صعيد « دراسة المستقبل » الإسهام فى تحديد مفهوم « الدراسة المستقبلية » ، والقيام، بتأصيل هذا الجهد العلمى الحديث وتتبع جذوره

(★) ألقى البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ٢٥ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٦ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

فى أرض حضارتنا العربية الإسلامية من خلال علوم الأقدمين ، والبحث فى المنهج الأنسب لهذا النوع من الدراسة ، وطرح مصطلحات تستخدم فيها .

سأعمد فى هذا الحديث إلى تسليط أضواء كاشفة أخرى على هذه الجهود متابعاً ما قمت به قبل ثلاثة أعوام فى بحثى « دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة » الذى قدمته فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وأخرجته فى كتابى « عن المستقبل » ، وضمنته عصارة اشتغالى بالدراسات المستقبلية على مدى عقدين من السنين . كما سأطرح فى الحديث أسئلة تتعلق بموضوع مؤتمرنا لهذا العام فى هذا المحفل العظيم وهو « تعريب العلوم » على صعيد « دراسة المستقبل » .

دراسة المستقبل : مفهوما واسما وتصنيفا

مفهوم « دراسة المستقبل » ، كما توافق عليه المشتغلون بها هو أنها اجتهاد علمى منظم يرمى إلى صوغ مجموعة من « التنبؤات المشروطة » تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو مجتمعات عبر فترة عقدين أو أكثر قليلاً ، وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الحاضر والماضى لاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع أو المجتمعات . وقد سماها البعض نمطاً علمياً فى التنبؤ يعتمد الحساب . وأكد الجميع على أنها تخضع لشروط تنأى بها عن أن تكون عملاً خيالياً طوباويًا » . وقد شرحتُ هذا المفهوم فى بحثى عن دراسة المستقبل بقولى عنها إنها محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها ، وتلاحظُ فيها السنن ومجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضى ، ويكون الانطلاق من ثم إلى استشراف المستقبل وتشوفه وطرح ملامحه والتوقعات التى يحتمل حدوثها فيه استمراراً للحركة التى تحكم الواقع ، والبدائل والخيارات القائمة . ولا يغيب عن البال فى هذا الطرح دور إرادة الفعل عند الإنسان والمجتمع الإنسانى فى الاختيار وصنع المستقبل وترجيح بديل على آخر . كما لايغيب عن البال أيضا دور الحلم عند الإنسان والمثل الأعلى عند المجتمع الإنسانى فى صنع إرادة الفعل ، ومن ثم توفير القدرة على الفعل من أجل تحقيق أهداف بعينها . فالإنسان قادر

على أن يكون فاعلاً فى الأحداث . وهكذا فإن الحديث المستقبلى يوظف المعرفة للفعل والتأثير ، ويحاول تحديد ما ينبغى دون الغفلة عن توقع ما سيكون . والغاية أن تتوافق من خلال الفكر والإرادة والقدرة صورة الآمال مع صورة التوقعات ، وتتفاعل فى هذا الحديث المستقبلى العوالم الثلاثة لدى الإنسان : عالم التذكر وعالم التفكر وعالم التخيل .

سؤال أول يبرز فى ضوء تحديد مفهوم « دراسة المستقبل » ، هو : هل هذا الاجتهاد العلمى المنظم فى « النظر المستقبلى » علم بالمفهوم الحديث لمصطلح العلم ، فيمكن تسميته « علم المستقبل » ؟

لقد اجتهد بعض المشتغلين الأوائل بدراسة المستقبل وأطلقوا على هذا النمط العلمى فى الاهتمام بالمستقبل مصطلح « علم » ، ومنهم « جاستون بيرجر » الفرنسى الذى طرح اسم « علم الريادة » عام ١٩٦٠ ، « وأوسيب فليشتم » الألمانى الذى استخدم اسم « علم المستقبل » عام ١٩٦٦ فى كتابه « علم التاريخ وعلم المستقبل » . وهناك من تحدث عن « علم حساب المستقبل » كما ذكر زكى نجيب محمود فى مقاله « المستقبل المحسوب » الذى تتبع فيه بدايات الاهتمام بدراسة المستقبل منذ مطلع القرن العشرين . ولايزال هناك كثيرون اليوم يستخدمون مصطلح « علم المستقبل » مطمئنين له للتأكيد على أنه اجتهاد علمى يتم وفق منهج علمى ، ولتمييزه عن جميع صور التنبؤ الأخرى التى عرفها الإنسان القائمة على الرجم بالغيب .

هناك كثيرون آخرون من المشتغلين بدراسة المستقبل لا يميلون إلى اعتبارها علماً تجريبيًا اختبارياً مع معرفتهم بالحرص فيها على اعتماد المنطق الاختبارى . وذلك لأنها تتطلب فى نهاية المطاف « رؤية » يكون للفطنة والحدس دور فى بلورتها من خلال اعتماد « النظرة الشاملة » . ونلاحظ أن آلفين توفلر وهو من أشهر المشتغلين بالدراسة المستقبلية آثر أن يصفها فى رابع كتبه « خرائط المستقبل » ، بأنها « فن وليست شكلا هندسيا » . وقال : وليأتِ العُلم لمساعدة الفنّ وقد حسم المهدى المنجرة صاحب الباع الطويل

فى الدراسة المستقبلية فى إجابته عن التساؤل حول كونها علما بقوله : « ليست الدراسات الاستقبالية بعلم وإن استعانت منهاجياتها ببعض العلوم الدقيقة والاجتماعية » . وهذا هو الموقف الذى نطمئن إليه ، وهو ما دعانى إلى تجنب استخدام مصطلح علم المستقبل فى دراساتى المستقبلية ، آخذاً فى الاعتبار أن حَدّ العلم عند علمائنا هو « الاستيقان والتبيّن » وأننا من حضارة تحكمها رؤية مؤمنة تؤمن بالغيب ، وأن الله سبحانه هو « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .. » (٢٦،٧٢) وبعض المستقبل يقع فى دائرة الغيب .

سؤال ثان يبرز فى ضوء ما سبق يتعلق بالمصطلح الأفضل للدلالة على هذا الاجتهاد العلمى : ما هو الاسم الذى نطلقه على الدراسات المستقبلية ؟

حين بدأت العناية بالاجتهاد العلمى لدراسة المستقبل تتنامى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، استخدم البعض للدلالة عليه مصطلحاً جديداً ، من الناطقين بالإنجليزية ، هو futurology

واستخدم البعض من الناطقين بالفرنسية مصطلح Futurologie وترجم المصطلحان إلى اللسان العربى « بعلم المستقبل » أو « المستقبلية » . واختار (جاستون برجر) الفرنسى رائد دراسة المستقبل فى فرنسا مصطلح Prospective للدلالة على دراسة المستقبل . وهو من فعل Prospecter أى نقب وفحص بتدقيق وانتظام وفاعلة Prospecteur أى منقب ومكتشف .

وترجم البعض هذا المصطلح « بعلم الريادة » ثم آثر آخرون مصطلح « الاستشراف » . ولم يلبث أن استخدم البعض من الناطقين بالإنجليزية مصطلح Discipline of studing the Future وترجم بعلم دراسة المستقبل . واستخدم (ألفين توفلر) فى أول كتبه « صدمة المستقبل » الذى صدر عام ١٩٧٠ ، واعتبر الأول من نوعه ، مصطلح Futurism الذى «ترجم بالمستقبلية» .

لم تلبث أن تعددت المصطلحات المستخدمة للدلالة على دراسة المستقبل منذ السبعينيات ،

وقد عرضها « محمد بريش » في دراسته « حاجتنا إلى علوم المستقبل » (مجلة المسلم المعاصر العدد ٦١ - خريف ١٩٩١) . ونقل ما جاء في استطلاع مجلة « الجمعية الدولية للمستقبل » بواشنطن في فبراير ١٩٧٧ واسمها Futurist أي « المستقبلي » . وأكثر هذه المصطلحات شيوعا و Futue Researches و Future Analysis و Future studies و Futuristics و Futurology و Forecasting Prognostics أما في اللغة الفرنسية فهناك مصطلحات ثلاثة هي : Prevision Prospective Planification

ترددت في وطننا العربي في أوساط المهتمين بدراسة المستقبل منذ السبعينيات مجموعة مصطلحات للدلالة على هذا « الاجتهاد العلمي » . فقد استخدم قسطنطين زريق مصطلح « ريادة المستقبل » في كتابه « نحن والمستقبل » الذي صدر عام ١٩٧٥ . واستخدم زكي نجيب محمود مصطلح « علم حساب المستقبل » ومصطلح « المستقبلية » في مقاله المستقبل المحسوب المنشور في كتابه مجتمع جديد أو الكارثة .

وهناك من استخدم مصطلح « استكشاف المستقبل » . وما لبث أن شاع مصطلح « استشراف المستقبل » الذي استخدمه مشروع استشراف مستقبل العالم العربي في مركز دراسات الوحدة العربية . واستخدم المهدي المنجرة « الدراسات المستقبلية » و « المستقبلية » . وتردد في دراسة محمد بريش مصطلح «علم المستقبل » و « علوم المستقبل » مستخدما كلمة « علم » بالمفرد وبالجمع ، مع قوله « وما نستطيع الجزم به الآن هو أن « علم المستقبل » ليس من العلوم البحتة التي تعتمد تحليلاً يوصل إلى نتائج نهائية » . ولقد كان المصطلح الذي آثرت استخدامه في كتابي « عن المستقبل » هو « دراسة المستقبل » للدلالة على الجهد العلمي « والدراسات المستقبلية » للدلالة على الدراسات التي يثمرها ، واستخدمت بعد تفكر مصطلحات ثلاثة هي : « الاستشراف » و « التشوف » و « الرؤية » للدلالة على خطوات في عملية دراسة المستقبل ، ومصطلحاً رابعاً هو : « الصنع » للدلالة على دور « إرادة

الفعل » فى رسم صورة المستقبل ، ومصطلحاً خامساً هو : « النظر المستقبلى » . وهكذا تحدثت عن استشراف المستقبل وتشوفه ورؤيته وصنعه والنظر فيه . وواضح أننى تجنبت فى كل هذه المصطلحات كلمة « علم » وأجد لزاما علىّ أن أشير بأننى لمست فى الحوارات التى دارت حول هذه النقطة فى محاضرات وندوات تناولت المستقبل ، ميلاً عند البعض لاستخدام مصطلح « علم » للدلالة على العلمية فى منهج دراسة المستقبل والتمييز بينها وبين التنبؤ رجما بالغيب . الأمر الذى يجعلنى أتساءل اليوم عن أفضلية ترجيح مصطلح « علم دراسة المستقبل » لأن هذه الدراسة وإن لم تكن من العلوم البحتة فإنها تحرص على علمية المنهج . كما أشير إلى أن مصطلح « علوم المستقبل » الذى جاء فى دراسة محمد بريش ، استخدمه أحمد شوقى فى كتابه « العلم ثقافة المستقبل » للدلالة على ما سيكون عليه حال العلوم المختلفة فى الأيام القادمة .

سؤال ثالث يبرز حول تصنيف « علم دراسة المستقبل » بين العلوم ، ضمن أى من العلوم نُصنفه ؟ .

أكثر من إجابة يطرحها خبراء دراسة المستقبل عن هذا السؤال . فمنهم من يصنفه ضمن علم الاجتماع ، ومنهم من يعتبره فرعاً من علم الاجتماع التاريخى ، ومنهم من يراه امتداداً لعلم التاريخ . وقد أخذتُ بهذا الرأى الأخير حين قلت فى كتابى « ماذا بعد حرب رمضان .. فلسطين والوطن العربى فى عالم الغد » الذى صدر عام ١٩٧٤ « الدراسات المستقبلية هى امتداد للدراسات التاريخية ، فكلتاهما رحلة عبر الزمان الذى ميزّ الله سبحانه وتعالى الإنسان عن غيره من مخلوقاته بإدراكه . وهى تتناول بالحديث المستقبل من خلال النظر فى الحاضر والماضى .. » وبقيت مطمئنا إلى القول بأن دراسة المستقبل هى امتداد لدراسة الماضى حين ألقيت محاضرتى عن الدراسة التاريخية والمستقبلية أوائل عام ١٩٩٠ ضمن محاضرات المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، كما قلت فى كتابى « عن المستقبل » أجد نفسى اليوم راسخ الاقتناع بأن الدراسات المستقبلية هى

امتداد للدراسات التاريخية ، وهى من ثم تتطلب ما يتطلبه علم التاريخ من « نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق » ، فى باطنه على حد قول ابن خلدون ؛ ثم هى تتطلب فضلاً عن ذلك تشوفاً . وقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته عن « تشوف الأمور المستقبلية » بعد أن وصف الإنسان بأنه صاحب الفكر والرؤية . والحق أن الدراسة المستقبلية لا يمكن أن تتم إلا بالدراسة التاريخية ، فركن التاريخ هو أحد أركان ثلاثة فيها يتكامل مع ركن الحاضر المقيم وركن التشوُّف المستقبلى » .

تأصيل علم دراسة المستقبل :

إن هذا الحديث عن العلاقة بين علم دراسة المستقبل وعلم التاريخ واستحضار ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن « التشوف » يدعونا إلى تأصيل هذا الاجتهاد العلمى . والنزوع للتأصيل عند الإنسان فطرى وقوى بالنسبة لكل الأمور ، وهو نابع من حقيقة أن الناس « لعرق الثرى ، وأنهم نطف فى ظلمات الأصلاب طويلة السرى ، وأن أعمارهم مبتدأة من العهد القديم لآدم ، وقد أخذ ربك من ظهورهم ذرياتهم » ، على حد وصف الأصفهانى لهم فى « الفتح القدسى » وحاشا أن تكون الاستجابة لدعوة التأصيل من قبيل « السعى إلى نهج إسقاط التعابير المعاصرة على مفردات تراثنا اللغوى » ، أو « تحميل التاريخ ما لا يحتمل » لادعاء السبق ، كما يخشى البعض . وقد رأينا ايفلن توفلر يستحضر صورة عراف دلفى الإغريقى ليوضح أن دراسة المستقبل « بعيدة جداً عن وسيط الوحى فى دلفى » .

لقد حرص المشتغلون بدراسة المستقبل من أبناء الحضارة العربية الإسلامية على الرجوع إلى القرآن الكريم مستلهمين آياته مستوحين هديه ، فوقفوا أمام مطلع سورة الروم ، وقوله تعالى فى سورة الحشر « ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ » ، والآيات التى تتحدث عن « الرؤية » وعن « السنن » ، وقصص الأولين وما فيها من ربط بين المستقبل والماضى ، وبخاصة قصة أولاد يعقوب فى سورة يوسف . كما حرص هؤلاء على استحضار سيرة رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأحاديثه الشريفة ، وتمعنوا فيها ، فوجدوا من أقواله وبين فصول حياته شواهد كثيرة على ضرورة « النظر المستقبلى » وعلى « رؤية المستقبل » التى يوحى بها الوحى الإلهى للأنبياء والمرسلين . وكتاباتهم حافلة بما خرجوا به على هذا الصعيد . وقد ضمنت بعضه كتابى « عن المستقبل » .

والحق أن هذا الرجوع إلى القرآن والسنة هو استجابة لمتطلب دراسة المستقبل برؤية مؤمنة التى تختلف عن دراسة المستقبل برؤية دهرية ملحدة كما أوضحت فى « دراسة المستقبل برؤية مؤمنة » . وهو يثمر أفكاراً تغنى هذه الدراسة . وأسوق مثلاً صادفته وأنا أكتب هذه السطور ، حديث عبد العزيز كامل فى كتابه « القرآن والتاريخ » . عن « صناعة التاريخ » التى قصد فيها ما نسميه « صناعة المستقبل » وهو يستهل هذا الحديث بقوله « أقصد بصناعة التاريخ تطبيقه ، وذلك بالاستفادة من أوامر الله ونواهيه وسننه التى دعا الناس إلى الاعتبار بها وصياغتها حياة جديدة » . وقد وقف أمام سنن القرآن فى التاريخ ، وقدم نموذجاً من صناعة التاريخ بلا معجزات فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد بتصوير الإمام الشاطبى لهذه الصناعة ، ليصل إلى توضيح عامل الحركة ومسار التقدم مبيناً أن مسار التاريخ ينتظمه هدف كبير يوضحه القرآن « ولا مجال للنظرة المتشائمة التى تقول بانحدار التاريخ بعد عصر النبوة استنادا إلى حديث إن خيركم قرنى .. » .

حرص المشتغلون بدراسة المستقبل من أبناء حضارتنا أيضًا على العودة إلى تاريخنا الإنسانى منذ أقدم العصور . وقد أبرز بعضهم رمز « زرقاء اليمامة » الذى صاغه المثل العربى « أبصر من زرقاء اليمامة » وأشار إليه المقّرى فى مطلع قصيدته الشهيرة .

سبحان من قسم الحُظوظَ فلا عتاب ولا ملاَمةْ
أعمى وأعشى ثم ذو بصرٍ وزرقاء اليمامةْ وذلك

للتدليل على « النظر المستقبلى » وقوة « البصيرة » . كما حرص هؤلاء على النظر فى تراثنا العلمى فى مختلف حقول العلم والمعرفة بحثاً عن أحاديث فى دراسة المستقبل باعتبارها امتداداً لعلم التاريخ الذى كان لأجدادنا فضل

خاص فى إقامته على أساس علمى . والحق أن هذا التراث حافل بأقوال تحث على النظر المستقبلى ، مثل قول ابن المقفع على لسان دمنة وهو يتحدث عن أمور ثلاثة « العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده .. ومنها النظر فى مستقبل ما يرجو .. » ، وقوله « أعجز الملوك آخذهم بالهوينا ، وأقلهم نظرا فى مستقبل الأمور » كما أن فى هذا التراث ما يدل على اشتغال بالنظر فى المستقبل على عدة صعد ؛ صعيد النبوة ، وصعيد التاريخ ، وصعيد علوم الدين ، وصعيد الإدراك الروحانى .

مثلٌ بارز على هذا الاشتغال على صعيد النبوة كتاب ابن كثير « النهاية فى الفتن والملاحم » الذى تضمن « ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب المستقبلة بعد زماننا هذا » . وتحدث عن « إشارات نبوية إلى الأحداث الماضية والمستقبلة حتى قيام الساعة » . وهدف الاشتغال بهذا النوع من دراسة المستقبل هو التعرف على رؤى النبى صلى الله عليه وسلم الذى يأتيه الوحى الإلهى « إن هو إلا وحى يوحى » .

تطرق شاكر مصطفى فى كتابه التاريخ العربى والمؤرخون إلى الحديث عن اشتغال بالنظر فى المستقبل على صعيد علم التاريخ الذى قال عنه « إن التاريخ علم عربى إسلامى ، أو يمكن اعتباره كذلك » موضحاً أن كافة الأمم تشترك فى النزعة التاريخية ، ومع ذلك فإننا نلاحظ « أنه ما من أمة فى الأرض قبل العصور الحديثة كتبت فى التاريخ .. مثل ما كان فى العهد العربى الإسلامى » . وقد ذكر شاكر مصطفى وهو يتتبع التدوين التاريخى فى حضارتنا ، كيف « دخل على التاريخ رافد تنجيمى لم يستطع التأثير الواضح فيه ، وبقى غريباً عنه لأنه ميدان التاريخ الماضى ، بينما ميدان التنجيم هو التنبؤ بالمستقبل . وكل ما أفاده التاريخ هو محاولة بعض المؤرخين تصحيح أو ضبط بعض الأحداث التاريخية عن طريق الأزياج والحسابات الفلكية » . وتحدث عن ميشى بن أثرى وهو يهودى عاش من أيام المنصور إلى أيام المأمون يصفه ابن النديم بأنه « كان أوحد

زمانه فى علم الأحكام » . وقد كتب كتاب الدول والملل ، وكتاب السلطان ، وكتاب الواحد والعشرين فى القراءات والأديان والملل . وأوضح شاكر مصطفى أن علاقة التاريخ بالنجوم والفلك نجمت عن امتداد المنجمين أنفسهم على ميدان التاريخ . وقد جعل إخوان الصفا مما ينبغى على المنجم معرفته معرفة التواريخ والبدايات والملل والدول وتبدل الأشخاص على سير الملك . فالنظر فى المستقبل حتى عند « المنجم » يقتضى توافر ركن التاريخ لديه والإحاطة بالماضى . وهناك روافد أخرى لعلم التاريخ عنيت بالنظر المستقبلى نأت بنفسها عما يعتور التنجيم من رجم بالغيب .

نستطيع أن نرى هذه الروافد فى علوم الدين التى عرفت نظراً مستقبليا ومحاولات فى التنظير لآفاق الأيام . وقد أشار محمد بريش فى بحثه « حاجتنا إلى علوم المستقبل » إلى تجليات الاهتمام بالمستقبل فى العناية بالمقاصد، وفى الأخذ بالمصالح ، وفى صياغة فن لم يسبق إليه ، اصطلح مبتكروه على نعته بـ « اعتبار المآل أو المآلات » . وأوضح أن قاعدة هذا الفن هى « أن البت فى الحال يقتضى الإحاطة بالمآل.. فلا يفتى المفتى إلا وهو محيط بما ستؤول إليه فتواه، ولا يؤخذ القرار من أى سلطة كانت إلا وهى مدركة لما سيترتب على قرارها مستقبلاً ومآلا من المستجدات والمحدثات ، حتى صار اعتبار المآل شرطاً من شروط العمل بالفتوى والبت فى قضايا الناس والقيام بمصالحهم » . ويذكرنا هذا الحديث عن الحال والمآل بما قاله ألفين توفلر فى كتابه « صدمة المستقبل » إن صورة المستقبل تستطيع إمدادنا بنظرات قيمة عن حاضرنا ، وبما يردده المشتغلون بدراسة المستقبل « إن الذى يتشوف غده يكون أكثر إدراكاً أين يقف اليوم » . ويلاحظ بعض هؤلاء المشتغلين من أبناء الحضارة العربية الإسلامية أن علم أصول الفقه الذى يتكامل مع علم المقاصد قادر على إغناء البحث فى منهج دراسة المستقبل ، بما فيه من تحليل وبرهان . ويشير محمد بريش بخاصة إلى باب التعارض والترجيح من بين أبواب أصول الفقه لكونه أشدها ارتباطاً

بالدراسات المستقبلية ، ويصفه بأنه أخصب هذه الأبواب وأشدها مطالبة بتثبيت القواعد وإمعاناً فى توضيح المقاصد . وأذكر أن إشارة تكررت فى تعليقات أساتذة علوم الدين على حديثى عن دراسة المستقبل فى « مركز الملك فيصل للبحوث » إلى « الأرأتيين من فقهائنا الذين يطرحون فروضاً مستقبلية فى تساؤلات يستهلونها بقول (أرأيت) » .

يحفل التراث الإنسانى بعامة وتراث حضارتنا العربية الإسلامية بالنظر فى المستقبل على صعيد الإدراك الروحانى . وقد قدم ابن خلدون فى المقدمة رؤية علمية نقدية لهذا النوع من النظر . وذلك عند حديثه عن « العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه » . وقد استهل هذا الحديث بالوقوف أمام عالم الحس وعالم الفكر وعالم الأرواح والملائكة ، وفى تتبع حلقات عوالم المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان وملاحظة التجاور بين آفاقها ، « الذوات التى فى آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تنقلب إلى الذات التى تجاورها استعداداً طبيعياً ، النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصدف من أفق الحيوان وكما فى القِرَدة التى استجمع فيها الكَيْس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية » ، وصولاً إلى القول « وفوق العالم البشرى عالم روحانى ، شهدت لنا به الآثار » . وقد عرض ابن خلدون لثلاثة أصناف من النفوس البشرية حسب تعاملها مع الإدراك الروحانى ، وذلك فى حديثه عن المدركين للغيب من البشر وتفسير حقيقة النبوة والوحى والكهانة والرؤيا والإخبار بالمغيبات ، وخصص فصلاً فى « إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها » ، وانتهى من حديثه عن أشخاص فى النوع الإنسانى يخبرون بالكائنات قبل وقوعها من عرافين وناظرين فى أجسام شفافة وفى قلوب الحيوانات وأكبادها وغطائها وأهل الزجر فى الطير والسباع وأهل الطرق بالحصى والحبوب .. وكذلك المجانين .. والنائم والميت لأول موته .. وأهل الرياضيات من المتصوفة ، إلى القول « وإدراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل » .

وفنَّد ابن خلدون مزاعم بعض الناس أن هناك

مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس مثل المنجمين وضاربى الرمل . وتحدث أيضاً عن طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الأول الذى هو مدارك النفس الروحانية ، ولا من الحدس المبنى على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ، ولا من الظن والتخمين الذى يحاول عليه العرافون ، « وإنما هى مغالط يجعلونها كالمصائد لأهل العقول المستضعفة » . كما تحدث عن « حساب النيم » « وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة إلى برهان ولا تحقيق » ، ومنها « الزايرجة » المسماة زايرجة العالم « وهى غريبة العمل .. وصورتها .. فيها دائرة عظيمة فى داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات الروحية وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم » ، « والمعاياة » التى تعتمد على النسبة والتناسب » . وانتهى ابن خلدون فى رؤيته العلمية النقدية لهذا النوع من النظر فى المستقبل إلى القول « وأما الكائنات المستقبلة إذا لم تعلم أسباب وقوعها ، ولايثبت لها خبر صادق فهو غيب لا يمكن معرفته » .

وتكمن أهمية استحضار هذه الرؤية النقدية فى حديثنا عن « علم دراسة المستقبل » بمفهومه الحديث فى أنها تقدم ضوابط علمية تحمى هذه الدراسة وترسم خطا فاصلاً بينها وبين كل ما هو غير علمى .

يبقى لنا فى حديثنا عن تأصيل هذا الاجتهاد العلمى فى دراسة المستقبل أن نقف أمام الاشتغال فى النظر المستقبلى فى دائرتنا الحضارية خلال القرن العشرين الميلادى الموافق الرابع عشر الهجرى ، وهو القرن الذى شهد بدايات دراسة المستقبل فى دائرة الغرب الحضارية على أساس علمى . وأول ما نلاحظه هو تردد كلمة « مستقبل » فى مطلع القرن فى أوساط حركة النهضة الحديثة وتيار الاستجابة الفاعلة فيها ؛ وظهور محاولات جادة فى النظر المستقبلى على أساس علمى قامت بها مدرسة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا . ومن أمثلتها دراسة « المستقبل للإسلام » التى نشرها محمد توفيق البكرى فى المنار عام ١٩٠٢/١٣٢٠ ، واستهلها بقوله « إن مستقبل الأمم يتوقف فى الحقيقة على أمرين

طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان » ، وناقش هذين العاملين وأسباب انتشار الإسلام فى فصلها الأول ثم أسباب الانحطاط ووسائل الارتفاع فى فصليها الثانى والثالث ، وقد رد عليه محمد فريد وجدى بدراسة « كيف يكون المستقبل للمسلمين » فى العدد التالى من المنار . ويمكن أن نأخذ فكرة عن الحوار الذى دار حول « مستقبل الإسلام » فى مطلع هذا القرن وشارك فيه آخرون من أعلامنا فيما كتبه فهمى جدعان فى كتابه « أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث » . ونلاحظ أيضا أن هذا الحوار تبادل التأثير مع حوار كان يجرى فى دائرة الغرب الحضارية حول هذا الموضوع ومستقبل عالمنا بعامة ، ضمن ظاهرة التفاعل الحضارى بين الدائرتين . وقد اتسم بالغنى بالأفكار وبالعلمية التى ميزته عن محاولات نظر فى المستقبل ظهرت فى تلك الفترة معتمدة على « الزايرجة » التى نقدها ابن خلدون ؛ ومثل طريف عليها ماقام به محمود الفلكى العسكرى سنة خمس وعشرين بعد ألف وثلثمائة هجرية وأسماها « المجلة الكبرى فى زايرجة العالم الأخروى » ونشرها فى كتابه فى هذا الموضوع « المنتخب النفيس من علم نبى الله إدريس » . كما نلاحظ أن قفزة حدثت فى النظر المستقبلى على أساس علمى فى وطننا العربى منذ الستينيات بفضل جهود مفكرين رواد ذكرنا منهم قسطنطين زريق وزكى نجيب محمود ممن أسهموا فى التعريف بدراسة المستقبل على النمط العلمى الحديث ، وممن ألفوا كتباً تضمنت رؤى مستقبلية . ونذكر من هؤلاء مالك بن نبى الذى كتب « الأفريقية الآسيوية » ، وجمال حمدان الذى حفل كتابه استراتيجية الاستعمار والتحرير برؤى مستقبلية ، تحدثت عنها فى مقال « جمال حمدان ورؤاه المستقبلية » نشرته إثر رحيله عام ١٩٩٣ . كما نذكر المهدى المنجرة الذى أصدر مؤخراً كتابه « الحرب الحضارية الأولى » مضمناً إياه بعض دراساته المستقبلية وحواراته ، وحسن صعب الذى شغل بمقاربة الإنماء بنظرة مستقبلية ، من بين آخرين .

تبدو الحاجة ماسة فى ضوء هذا الحديث عن تأصيل علم دراسة المستقبل إلى أمرين :

أولهما - بذل مزيد من الجهد فى البحث فى التراث فى مختلف مجالات العلوم عن الاشتغال بالنظر المستقبلى على أساس علمى ، آخذين فى الاعتبار ما قاله شاكر مصطفى فى كتابه التاريخ العربى والمؤرخون « إن علم التاريخ الإسلامى مثله كمثل كافة نواحى النشاط الفكرى فى التراث لم يبحث بعد : لا درس رجاله ولا أحصيت مؤلفاته ولا جرى مسح عام لميدانه ولا رسم فلكه الفكرى الأعمق ولا كشف عن مناهجه وطرقه وفلسفته فى بحث جاد كامل . والأمر الآخر إيلاء عناية خاصة لكتابة تاريخ وافٍ لدراسة المستقبل فى وطننا على أساس علمى فى القرن العشرين ، تنظيراً وتطبيقاً ، ليكون الانطلاق منه إلى العمل لازدهار « علم دراسة المستقبل » .

البحث فى مناهج دراسة المستقبل:

إن إزدهار علم دراسة المستقبل يقتضى بذل مزيد من الجهود فى البحث فى مناهجه وصولاً إلى بلورة المنهج العلمى الأمثل فى مقاربته . وقد عرضت فى كتابى عن دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة المناهج التى يجرى اتباعها ورأيى فى مقاربته برؤية مؤمنة . ولا أجد لدَى الآن ما أضيفه بشأن هذه النقطة .

تحديد مصطلحات دراسة المستقبل :

كذلك فإن ازدهار علم دراسة المستقبل يتطلب الاتفاق على المصطلحات التى نستخدمها فيه وتحديدها بوضوح ودقة . وإذا كان المشتغلون فى النظر المستقبلى قديما استخدموا مصطلحات التنبؤ والإخبار بالغيب وكشف الطالع والتنجيم والتكهن والرؤيا (بالألف الممدودة) وغيرها ، فإن المشتغلين فيه على أساس علمى اليوم فى الغرب يستخدمون مصطلحات أخرى جديدة مثل التوقع والتخمين والتقدير والإسقاط والتخطيط والتصميم والاستكشاف والتبصر والترقب والتطلع والتحسب والاحتراس والاستهداف والنماذج والمستقبلية والمستقبلات (بالجمع) ، فضلاً عن استخدامهم بعض المصطلحات القديمة مثل التنبؤ والتكهن .

لقد حرص المشتغلون بدراسة المستقبل فى وطننا العربى على النظر فى هذه المصطلحات الجديدة ، وانتقاء الكلمات العربية التى تعبِّر

بدقة عن معانيها حين قاموا بترجمتها . ونجد مثلاً على ذلك فى كتاب « صور المستقبل العربى » لإسماعيل صبرى عبد الله وإبراهيم سعد الدين وعلى نصار ومحمود عبد الفضيل الذى نشره مركز دراسات الوحدة العربية . فمصطلح Long Term Planning هو التخطيط طويل المدى ، ومصطلح Prophecies تنبؤات ومصطلح Projection إسقاط ، ومصطلح Fore casting تنبؤ ، ومصطلح Intuitive حدسى ، ومصطلح Explorotory استكشافى ومصطلح Normative استهدافى ، ومصطلح Models نماذج . وتتعدد أحيانا الاجتهادات فى ترجمة هذه المصطلحات . ومثل على ذلك ترجمة مصطلح Antici pation بالفرنسية إلى تقديم أو تبين أو سبق أو توقع ويقترح واحد منها كلمة « ابتسار » التى يراها محمد بريش الأفضل للدلالة على المصطلح الفرنسى بالعربية وهى من « البَسر » « الاستعجال بالشىء قبل أوانه » . وقد قام بالعودة إلى معانيه الأخرى فى لسان العرب ، ومنها بسَرَ النخلة أى لقَحها قبل الأوان ، وأوضح أن مما يزيد تمسكه بها « أن علوم المستقبل تريد نوراً فى ظلمات الزمن القادم ، وتبحث عن ضمانات ارتواء فى أودية الغد وسبله » ، وبسر النهر عند ابن منظور إذا حفر فيه بئراً وهو جاف . وتتجه الأنظار إلى مجمع اللغة العربية ومجامعنا بعامة لمناقشة هذه الاجتهادات فى تعريب مصطلحات دراسة المستقبل الأجنبية أو ترجمتها ، واعتماد ما تراه الأنسب منها .

نجد أيضاً أن بعض المشتغلين بدراسة المستقبل من العرب عمدوا إلى استخدام مصطلحات « عربية » فى دراساتهم المستقبلية للدلالة على خطواتها وعناصرها وغير ذلك من أمور تدخل فى عملية الدراسة ، وحددوا مفاهيم هذه المصطلحات بدقة ووضوح . ومن أمثلة ذلك مصطلح « الرؤية » الذى تكتمل به عملية الدراسة ، وقد طرحته فى دراساتى وشرحته فى كتابى « رؤى مستقبلية عربية » فى ضوء ما جاء فى المعاجم وما قاله الراغب الأصبهانى فى تفسير غريب القرآن بخاصة ، منتهيا إلى أن الرؤية هى « إدراك بحاسة

وتخيل وتفكر وعقل » وهذه جميعها تدخل فى الدراسة المستقبلية . كما استخدمت مصطلح « الاستشراف » للدلالة على الخطوة الأولى فى عملية الدراسة التى تبدأ بالنظر فى الواقع القائم بنظرة شمولية . وهو من الشرف الذى هو الحسب بالآباء والعلو ، ويتضمن « التطلع والنظر وحديث النفس والتوقع » . واستخدم آخرون هذا المصطلح للدلالة على « دراسة المستقبل » بمجموعها ، كما فعل مشروع استشراف مستقبل الوطن العربى . واجتهدت فى طرح مصطلح « التشوف » للدلالة على الخطوة الثانية فى عملية الدراسة التى تقرن النظر فى الواقع القائم بتتبع مجرى حركة التاريخ فى الماضى وتنتهى بالتهيؤ لإدخال عنصرى الحلم وإرادة الفعل . والتشوف هو الاستجلاء من خلال التطلع والنظر الشامل وفيه معنى الارتفاع بغية الإحاطة بالنظر . وقد استخدمه ابن خلدون حين تحدث عن « تشوف الأمور المستقبلية » . واستخدمت مصطلح « الرؤية المؤمنة » فى دراسة المستقبل للدلالة على الرؤية التى تنطلق من الإيمان بالله سبحانه فيحكم هذا الإيمان منهج النظر والبحث والدراسة ، ويأخذ مكانه قبل المنهج بما يعنيه من تصديق لما جاء به الوحى . والرؤية تكون مؤمنة على صعيد الاعتقاد مصدقة تبطن من التصديق ما تظهر .

يحرص هؤلاء الذين يقاربون المستقبل برؤية مؤمنة على تجنب أى مصطلح قد يوحى بالرجم بالغيب أو بإنكار الغيب أو بالمعرفة القطعية للغيب ، فيتجنبون مثلا مصطلح « التنبؤ » ويفضلون « النظر والرؤية » كما نجدهم حريصين على الإحاطة بمصطلحات علم التاريخ التى استخدمها أجدادنا والإفادة منها . ويجتهدون فى تحديد مفاهيمها الحديثة فى ضوء ما جاء فى كتب التعريفات والمصطلحات التى ظهرت فى دائرتنا الحضارية .

يلاحظ المشتغل بدراسة المستقبل مدى حاجته إلى وفرة المصطلحات ، ليعَبر بها عن « الاستشراف والتشوف والرؤية والصنع » بما يكفل التوضيح الدقيق للمعنى الذى يقصده . وهو واجد فى اللسان العربى بغيته بما يحفل به من غنى مفرداته وبما أسماه « محمد

عنبر » جدلية الحرف العربى فى كتابه الذى يحمل هذا الاسم . وعليه أن يحدد مفهوم المصطلح الذى يستخدمه بدقة ، ويميز بينه وبين مصطلح آخر يبدو مرادفا له . فما هو مثلاً مفهومه « للزمان » ومتى يستخدم «الوقت » و «الحين » و «العصر» و « الدهر » ؟ أو « السنة » أو «العام» ؟ أو « النظر » أو « البصر » أو « البصيرة » أو « الرؤية » أو « الرؤيا » ؟ وإذا كان علم دراسة المستقبل علم نظرى ؛ ومبدأ كل علم نظرى وعمل اختيارى هو الخواطر والأفكار التى توجب التصورات ، التى تدعو إلى الدراسات ، التى تقتضى وقوع الفعل ، وتعطى العادة بكثرة التكرار ؛ كما أورد ابن قيم الجوزية فى « الفوائد » ، فما هو التحديد الدقيق لمفاهيم الخاطرة والفكرة والتصور والإرادة والفعل ؟

واضح أن الاشتغال بعلم دراسة المستقبل فى وطننا العربى سوف يولّد حركة نشطة فى طرح المصطلحات التى يتطلبها هذا العلم . ومرة أخرى تتجه الأنظار إلى مجامعنا العربية لوضع كشاف بهذه المصطلحات .

وبعد . .

فالحديث ذو شجون عن « علم دراسة المستقبل » الذى هو امتداد لعلم التاريخ . وإن لنا أن نعمل لازدهاره فى وطننا العربى كما عمل أجدادنا لازدهار علم التاريخ ، متطلعين إلى إسهام كبير فيه علي الصعيد العالمى .

أحمد صدقى الدجانى

عضو المجمع

المراسل من فلسطين

مقامات الحريرى وإعجاز القرآن فى حوار مسيحى إسلامى فى الأندلس ★

للأستاذ الدكتور محمود على مكى

إذا كانت إسبانيا خلال العصور الوسطى ميدانا لصراع طويل عسكرى وسياسى بين المسلمين والمسيحيين فإنها لم تخلُ فى الوقت نفسه من حقب طويلة تحقق خلالها تعايش بين الملتين تمثل أولا فى « المستعربين Los mozaabes » المسيحيين الذين عاشوا فى ظل الدولة الإسلامية إبان قوة هذه الدولة ، ثم فى « المدَّجنين Los mudéjares » المسلمين الذين درجت حياتهم تحت سيادة المسيحية ، وذلك منذ تغير ميزان القوى فى الجزيرة ، فأصبحت للمسيحيين الكفة الراجحة .

وكثيراً ما اتخذ الصراع بين المسلمين والمسيحيين صيغاً من الحوار بين علماء الجانبين وهو حوار استعان كل فريق فيه بكل الأسلحة الفكرية الممكنة وأولها معرفة لغة الآخر والتعمق فى دراسة عقيدته وتعرف مقومات فكره [1] . فنحن نرى من بين المستعربين من كانوا يجيدون العربية نظماً ونثراً ، والشواهد على ذلك أكثر من أن نعددها ، وتكفينا شهادة ألبارو القرطبى Alvaro de Cordoba فى سنة ٢٤٠ (٨٥٤) ، وهى التى ينعى فيها على إخوانه فى الدين أنهم « نسوا حتى لغتهم اللاتينية ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابًا سليمًا من الخطأ . فأما عن الكتابة فى لغة العرب فإنك واجد فيهم عدداً عظيمًا يجيدون فنون بلاغتها وينظمون من الشعر العربى ما قد يفوق شعر العرب أنفسهم » [2] ويصدق هذه الشهادة اتخاذ الأمير محمد بن عبد الرحمن كاتبًا نصرانيًا هو قومس بن أنتنيان [3] وهو الذى يصفه ابن حيان القرطبى بأنه « كان قريع كل من ينتحل البلاغة فى عصره » [4]

(★) ألقى البحث فى الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٢٩ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ١٠ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

أما معرفة المسلمين بلغة مساكنيهم من المسيحيين فهى بدورها حقيقة لا تحتاج إلى أن نأتى عليها بشواهد ، غير أن الذى يهمنا فى هذا المقام ليس مجرد معرفة لغة الكلام أو التعامل اليومى ، وإنما تلك المعرفة التى تسمح لكل فريق بالتعمق فى الاطلاع على عقيدة الآخر وإقامة حوار معه يتسم بقدر من الموضوعية وإن كان يتفاوت فى الحدة وعلو الصوت .

وقد كان من أول من كتبوا فى الدفاع عن المسيحية ومناقشة العقيدة الإسلامية القس إسبرايندير Spera - in - Deo فى كتاب اتخذ له عنوانًا يكشف عن طابعه الجدلى هو Apologetico (أى دفاع عن المسيحية) . ولم يبق من هذا الكتاب المؤلف باللاتينية إلا مقتطفات احتفظ بها بعض تلاميذ ذلك القس وأهمهم القديس إيولوخيو San Eulogio وألبارو Alvaro القرطبيان (٥)

وقد كتب كلاهما أيضا فى مهاجمة الإسلام كتابات كان من الطبيعى فى مثل هذا الوقت المبكر ألا تتسم بالموضوعية ، وإنما كانت لاستثارة المسيحيين ودفعهم إلى تحدى السلطة الإسلامية مما نتج عنه ما عرف بحركة الاستشهاد التى اندلعت فى منتصف القرن التاسع الميلادى فى أواخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط وأوائل عهد ابنه محمد (ما بين سنتى ٢٣٦ و ٢٤٥/ ٨٥٠ - ٨٥٩) . وقد عالجت سلطات الدولة هذه الثورة بقدر كبير من الحكمة وضبط النفس ، فلم تلبث أن انحسرت بعد سنوات قليلة . أما ذلك « الحوار » الذى تضمنته كتابات رجال الدين المسيحيين الذين أشرنا إليهم فإنها كانت تدل على معرفة ضئيلة بتعاليم الإسلام ومبادئه على الرغم من معايشتهم للمسلمين واتصالهم الوثيق بلغتهم وثقافتهم (٦) .

والواقع أننا لا نجد فى هذه الكتابات « حواراً » بمعنى الكلمة ، فهى لا تخرج عن كونها ضربًا من السباب والتجريح الذى لا يستند إلى أى حجج عقلية . وعلى كل حال فقد خمدت هذه الثورة من الاستفزازات

والتحديات وأعقبتها فترة طويلة من التعايش السلمى بين المسلمين وجيرانهم من أهل الذمة استمرت حتى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

وخلال القرن التالى (الخامس / الحادى عشر) وفى ظل الجو العلمى السائد فى عصر ملوك الطوائف المتسم بالحرية الدينية والفكرية نجد عودة إلى حوار أقرب إلى الموضوعية بين المفكرين المسلمين ونظرائهم من المسيحيين واليهود . فابن حزم القرطبى (المتوفى سنة ١٠٦٣/٤٥٦) يناقش العقيدتين المسيحية واليهودية فى كتابه « الفصل » (٧) . وفى هذا الحوار الذى لا يخلو من حدة اتسم بها جدل ابن حزم دائما يبدو التقدم الهائل الذى أحرزته الثقافة الأندلسية خلال القرن الأخير ، إذ هو يكشف عن معرفة عميقة بدقائق العقيدتين المسيحية واليهودية واطلاع واسع على كتبهما المقدسة . ومن ناحية أخرى نجد مثل هذه المعرفة لدى يوسف بن إسماعيل (صمويل) ابن النغريلة قريع ابن حزم فى جدله ، وكان يوسف هذا كاتبًا لبلقين بن باديس بن حبوس ولى عهد أبيه ملك غرناطة ، وكان بشهادة ابن بسام « قد نظر فى الكتب وشدا شيئًا من علم العرب » (٨) ونُقِل عنه ادعاؤه القدرة على نظم القرآن شعراً وموشحات (٩) ومع ما فى هذا الادعاء من تبجح وتهويل فإنه يدل على أنه كان يتسلح بثقافة عربية متينة .

وإلى هذا العصر نفسه يرجع حوار آخر إسلامى مسيحى يتمثل فى الرسالة التى وجهها راهب إفرنسة إلى ملك سرقسطة على عهد الطوائف المقتدر بن هود يدعوه إلى اعتناق المسيحية ، والرد على هذه الرسالة بقلم الفقيه الأندلسى الذى اشتهرت مناظرته لابن حزم ، وهو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى (المتوفى سنة ١٠٨١/٤٧٤) (١٠) .

وبالإضافة إلى ما يكشف عنه رد الباجى من عميق المعرفة بالعقيدة المسيحية فإننا نلاحظ أيضا كيف أصبح أسلوب رسالة الراهب الفرنسى وجواب الباجى يميل كلاهما إلى الهدوء والاعتدال .

ويظهر أن الحوار الإسلامى المسيحى تزايد فى الأندلس منذ استيلاء ملك قشتالة ألفونسو السادس على طليطلة فى سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) فقد كان معظم ساكنى العاصمة القوطية القديمة من المسلمين ، وكان الملك القشتالى يتباهى بأنه « ملك الملتين » ، وقد بدأت منذ فتح المدينة وتحويل مساجدها إلى كنائس محاولات رجال الدين المسيحيين لحمل مسلمى المدينة على اعتناق المسيحية . ونتصور أنه كان من بين هؤلاء من يجيدون العربية ، فقد كانت هذه اللغة راسخة الجذور بين المستعربين النصارى فضلا عن سكانها من المسلمين ، كما لا نستبعد أن هؤلاء المستعربين بحكم تعايشهم مع شعب طليطلة المسلم قد عرفوا الكثير عن الإسلام وتعاليمه .

فخلال القرن السادس (الثانى عشر) نرى كيف وجّه أساقفة طليطلة كتابًا إلى أحد علماء المسلمين وفقهائهم فى نقد الإسلام وبيان فضل المسيحية . وقد قام بتحرير هذا الكتاب أحد المستعربين الذين يعرفون العربية معرفة متوسطة هو عبد الرحمن بن غصن . أما الفقيه الذى انتدب للرد على هذا الكتاب فهو أبو مروان عبد الملك بن مَسَرّة بن عُزَيْزاليحصبى القرطبى ، وكان تلميذاً ذا حظوة لدى الفقيه قاضى الجماعة بقرطبة أبى الوليد محمد ابن أحمد بن رشد (الجَدّ) ، وهو ممن جمعوا بين الفقه والحديث وسعة الاطلاع على الأديان والنِّحَل ، وكانت وفاته فى رمضان سنة ٥٥٢ (سبتمبر ١١٥٧) (١١) . وعنوان رسالة ابن مسرة هو « ميزان الصدق ، المُفَرِّقُ بين أهل الباطل والحق » ، وكانت من مرويات تلميذه أبى بكر محمد بن خير الإشبيلى (١٢) وقد اطلع عليها ابن الأبار القضاعى البلنسى ونقل تقريظًا شعريًا لها نظمه تلميذ آخر لابن مسرة هومفرِّج بن محمد بن عصام الفهرى اللشبونى يبدأ بقوله :

عقيدةُ إيمانٍ حَدَتْها كرامةٌ

تَجَلّى ظلامُ الشركِ منها بكوكبِ (١٣)

ولم تصل إلينا رسالة أساقفة طليطلة التى

وجهوها إلى قرطبة ، غير أن فقرات منها نقلت فى كتاب « الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » المنسوب لفقيه شرقى يدعى « القرطبى » دلالة على أصله الأندلسى . وقد وصف لنا صاحب هذا الكتاب تلك الرسالة فقال إنها كتبت فى بطاقة صغيرة عدد أسطارها نحو ثلاثين ، وهو يسجل فى هذه الأسطر القليلة تسعة وعشرين موضعًا فيه لحن وتصحيف ، كما ينقل لنا فقرات من رد ابن مسرة (١٤) .

ومن الواضح أن طليطلة أصبحت مركزاً لنشاط تبشيرى كبير كان يهدف إلى تنصير المسلمين عن طريق الحوار ، وهو ما دفع بالعلماء الأندلسيين إلى اتخاذ مواقف دفاعية وهجومية فى الوقت نفسه . ولم تكن رسالة ابن مسرة هى الوحيدة التى كتبها فقيه أندلسى دفاعًا عن الإسلام ، وإنما شاركه فى ذلك عالم آخر معاصر له هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد ابن أبى عَبيدة الخزرجى القرطبى الذى عاش بين سنتى ٥١٩ و ٥٨٢ (١١٢٥ - ١١٨٧) وكان قد أسر سنة ٥٤٠ (١١٤٥- ١١٤٦) وحمل إلى طليطلة حيث ظل سنتين فى الأسر ، وهناك ألف كتابه « مقامع الصلبان ، وروائع رياض الإيمان » يرد به على بعض من اتصل بينه وبينهم الحوار من قسيسى العاصمة القشتالية . ثم تخلص من الأسر ، ورحل إلى المغرب ، فلازم تدريس الفقه والحديث فى جامع القرويين بفاس حتى وفاته .

وقد ألف ابن أبى عبيدة هذا كتبًا أخرى فى ميدان الجدل مع المسيحيين كما يبدو من عناوينها ، ومنها كتاب « مقام المدرك ، فى إفحام المشرك » وإذا كانت رسالة ابن مسرة التى أشرنا إليها من قبل قد ضاعت فإن هذا الكتاب قد نجا من عدوان الزمن ، إذ احتفظت خزائن الكتب فى تونس وإستامبول بعدة نسخ مخطوطة منه . وكان المستشرق الأسبانى فرناندو دى لاجرانخا أول من استفاد منه ونشر منه نصوصًا تدل على أهميته فى دراسته القيمة حول « بعض الكرامات المسيحية الإسبانية فى كتاب جدلى إسلامى » (١٦) .

وقد أشار فرناندو دى لاجرانخا فى ملاحظة ذكية تضمنتها دراسته السابقة إلى أن تأليف ابن أبى عبيدة الخزرجى لكتابه يأتى فى مرحلة بالغة الأهمية من مراحل العلاقات بين المسيحية والإسلام ، فقبل ذلك بسنتين (٥٣٨/١١٤٣) كان روبرت كيتون قد فرغ من أول ترجمة لاتينية كاملة للقرآن الكريم قام بها بتكليف من(بيتر الجليل) [١٧] وقد كان منتصف القرن الثانى عشر الميلادى هو العصر الذى ازدهرت بطليطلة فيه حركة بالغة النشاط لترجمة العلوم العربية وغيرها من كتب التراث الإسلامى المشرقى والأندلسى إلى اللاتينية [١٨] .

ولم يحل الصراع السياسى والعسكرى الدائرين الجانبين من انتقال العلماء بين المدن الإسلامية والمسيحية بهدف مزيد من التعارف وتبادل الآراء وعقد المناظرات . ولعل من أجلى الأمثلة على ذلك ما نجده فى ترجمة عالم غرناطى هو عبد الله بن سهل الضرير المنبوز بـ « الوجه نافخ » الذى يذكر عنه أنه كان من المشتغلين بالعلوم الدينية واللغوية ، فقد كان متبحراً فى القراءات القرآنية والحديث النبوى والنحو ، وأضاف إلى ذلك معرفة عميقة بالطب والرياضيات ، يقول عنه ابن الخطيب : « ثم شهر بعلم المنطق والعلوم الرياضية وسائر العلوم القديمة ، وعظم بسببها وامتد صيته من أجلها ، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى أنه ليس فى زمانه مثله ولا فى كثير ممن تقدمه ، وبين هذه الملل الثلاث من التحاسد ما عُرِف . وكانت النصارى تقصده من طليطلة تتعلم منه أيام كان بِبَيَّاسة (Baeza) ، وله مع قسيسيهم مجالس فى التناظر حاز فيها قصب السبق » . وكانت وفاة هذا العالم الموسوعى بمرسية فى سنة ٥٧٦ (١١٨٠ - ١١٨١) [١٩] .

ومع اشتداد الزحف المسيحى على ما بقى بأيدى المسلمين من أرض الأندلس بعد موقعة العقاب فى سنة ٦٠٩ (١٢١٢) وسقوط الحواضر الإسلامية الكبرى فى أيدى ملوك قشتالة وأرغون خلال النصف الأول من القرن

السابع (الثالث عشر الميلادى) تزداد حركة الحوار بين الديانتين ، فقد كانت سلطات الكنيسة حريصة على بذل كل جهد ممكن لتنصير الشعب المسلم الذى أصبح يطلق عليه اسم « المدجنين » (mudéjares) ، على حين كان المسلمون متشبثين بعقيدتهم ، وكان فقهاؤهم وعلماؤهم يواصلون عملهم فى التصدى لمحاولات التنصير بألسنتهم وأقلامهم .

وقد رأينا فى ترجمة عبد الله بن سهل الغرناطى الذى كان قساوسة طليطلة يتوجهون لمناظرته أنه عاش السنوات الأخيرة من عمره فى مدينة مُرسِيَة Murcia ، ولعل هذا كان مؤشرا مبكرا يبشر بالدور الكبير الذى قدر لهذه المدينة أن تضطلع به فى مجال تبادل الأفكار بين المسلمين والمسيحيين خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، وذلك مايدعونا إلى تأمل الظروف التاريخية التى عاشتها هذه الحاضرة الأندلسية ، إحدى أهم حلقات التواصل بين الملل والثقافات .

من المعروف أن الاجتياح المسيحى الكبير الذى انتهى إلى الاستيلاء على حواضر الأندلس الكبرى قد تم بقيادة ملكين متعاصرين : جاقمة أو خايمى الأول ملك أرغون الملقب بالفاتح Jaime I , el Conquistador وهو الذى استولى على منطقة شرق الأندلس : بلنسية وشاطبة ودانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) ، وفرذلند أو فرناندو الثالث الملقب بالقديس Fernando III , el Santo وهو مفتتح المنطقة الوسطى والغربية : جيان وقرطبة وإشبيلية ومايصاقبها غربا . وبقيت ما بين المنطقتين مدينة مرسية وإقليمها فى وضع قلق فهى لم تفتح عنوة من قبل جيوش قشتالة ولا أرغون ، ولكن أهلها كانوا يعرفون أنه لا قِبَلَ لهم بمواجهة المد المسيحى ، ولهذا فإنهم بعد تعاقب عدد من الزعماء المتنافسين على حكمها اضطروا إلى عقد صلح مع ملك قشتالة فرناندو الثالث اعترفوا فيه بتبعيتهم له مع دفع مال اتفقوا على تسليمه له على أن يدبروا هم أمور مدينتهم . وهذا هو ما نص عليه المؤرخ

ابن عـذارى المراكشى ، إذ يقـول فـى أخبـار سنة ٦٤٣ (١٢٤٥) : « أمـا أهل شـرق الأندلس (وهو يعنى مرسيـة وأعـمـالهـا) فسالموا النصارى بمال معلـوم ، وبعضهم تدجّنوا وأسكنوا معهم الروم » [٢٠] . وهذا يدل على أنهم تمتعوا بوضع متميز إلى حد ما ، فقد احتفظوا بلون من الاستقلال أو الحكم الذاتى لم يستمر إلا قرابة عشرين سنة . فابن عذارى يذكر فى أخبار سنة ٦٦٢ (١٢٦٤) أن أهل مرسيـة الذين ضاقـوا بمن حل بأرضـهم من المسيحيين بعثوا ببيعتهم إلى محمد الفقيه بن محـمـد بن يوسف النصرى ملك غرناطة مستنجدين به ، فأرسل إليهم صهره الرئيس أبا محمد ابن أشقيلولة واليًا على المدينة ، ولكن النصارى زحفوا إليه وضربوا عليه الحصار ، فلما عجز عن المقاومة خرج هاربًا هو ورجاله . وحينما طال الحصار على مرسيـة اضطر أهلهـا إلى التسليم بعـد سنتين فى ٦٦٤ (١٢٦٦) [٢١] .

وكان الصلح الذى انعقد بين أهل مرسيـة وفرناندو الثالث ملك قشتالة فى سنة ٦٤٣ (١٢٤٥) قد تم إبرامه على يد ابن هذا الملك وولى عهده أذفونش (ألفونسو) الذى ولى الحكم بعد أبيه فى ربيع الأول سنة ٦٥٠ (آخر مايو ١٢٥٢) واستمر حكمه لقشتالة حتى أول سنة ٦٨٣ (أبريل ١٢٨٤) ، وقد عـرف هذا الملك بلقب ألفونسو (العاشر) « الحكيم » Alfonso x , el Sabio ، وذلك بسبب عنايته الفائقة بالثقافة ورعايته للعلماء من كل جنس ودين [٢٢] وكان ألفونسو قد نشأ فى بيئة متشبعة بالثقافة العربية ، فعمل منذ أن كان وليًا لعهد أبيه على إحياء مدرسة المترجمين بطليطلة ، وحينما عهد له أبوه بإخضاع مرسية التى كانت من أزهر الحواضر الثقافية فى الأندلس أنشأ هناك معهداً يضم علماء من الملل الثلاث : مسلمين ومسيحيين ويهوداً ، وقام هذا المعهد بترجمة عدد كبير من الكتب العربية فى مختلف فروع العلوم ، وعهد بإدارة هذا المعهد لعالم مسلم هو أبو بكر محمد بن أحمد المرسى المعروف بالرِّقوطىّ (نسبة إلى

بلدة رقوط Ricote من أعمال مرسية) . وهو الذى يقول ابن الخطيب فى ترجمته : « كان طرفًا فى المعرفة بالفنون القديمة : المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفًا ماهراً ، آية فى المعرفة بالألسن ، يقرىء الأمم بألسنتها فنونهم التى يرغبون فى تعلمها ... عرف طاغية الروم (يعنى ألفونسو الحكيم) حقه لما تغلب على مرسية ، فبنى له مدرسة يقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود . ولم يزل معظمًا عنده » . ويبدو أنه مل خدمة الملك المسيحى ، إذ استجاب أخيراً للدعوة التى وجهها إليه ثانى ملوك بنى الأحمر فى غرناطة محمد بن محمد بن يوسف الملقب « بالفقيه » (حكم بين سنتى ٦٧١ و ٧٠١ / ١٢٧٢ - ١٣٠٢) فرحل إلى غرناطة وأسكنه قصراً آل ملكه بعد ذلك إلى الوزير لسان الدين بن الخطيب ، فاتخذ منه مدرسة كان الطلبة يغشونها فيتعلمون عليه الطب وسائر العلوم [٢٣] ولم يؤثر عن هذا العالم الفذ أنه اشترك فى الجدل الدينى ، غير أن ابن الخطيب يروى عنه نادرة تكشف عن روح الفكاهة عنده ، وذلك فى حديث دار بينه وبين الملك المسيحى الذى كان معجباً به أشد الإعجاب ، فقد عرض عليه أن يعتنق المسيحية ووعده لقاء ذلك بأن يحظيه ويغدق عليه عطاياه فكان جوابه « أنا الآن أعبد واحداً وقد عجزت عما يجب له ، فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة ؟ ! » [٢٤] .

ويبدو أن مرسية قد تأثلت شهرتها بصفتها بيئة علمية ذات طابع عالمى بحكم جمعها بين الثقافات والديانات على اختلافها ، وهذا هو ما حمل فريدريك الثانى النورماندى ملك صقلية (حكم بين سنتى ٥٩٠ و ٦٤٨ / ١١٩٤ - ١٢٥٠) على أن يبعث إليها بعدة أسئلة كلامية وفلسفية مما يختلف فيه الإسلام والمسيحية ، وهذه هى التى تعرف بـ « المسائل الصقلية » . فانتدب للإجابة على هذه المسائل ذبًا عن شريعة الإسلام عالم مرسىّ ولد أيضًا فى رقوط ، هو عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين (٦١٤ - ٦٦٩ / ١٢١٧ -

١٢٧١) [٢٥] . وكان ابن سبعين قد تلقى ثقافته الأولى فى بلده مرسية ، وهى ثقافة يبدو من كتاباته ، وبخاصة من إجاباته على « المسائل الصقلية » التى كتبها وهو فى مطلع شبابه ، أنها كانت واسعة ، تضم إلى العلوم الإسلامية معرفة عميقة بالمسيحية واليهودية وآراء طوائفهما المختلفة ، كما تكشف عن معرفة راسخة بالفلسفة والرياضيات والفلك والطب وعلوم الطبائع [٢٦] .

ويذكر ابن الأبار فى ترجمته لمحمد بن على ابن أحلى اللورقى (المتوفى سنة ١٢٤٧/٦٤٥) وكان متأمِّراً بلورقة Lorca أنه كان عالماً يجتمع إليه فى علم الكلام ويؤخذ عنه ، وله تآليف فيه . وحينما أمكن أهل مرسية منها الروم أبدى ابن أحلى مخالفته لهم « وجعل يجادلهم (يعنى المسيحيين) بلسانه ، ويجالدهم بسنانه » [٢٧] . كذلك يذكر ابن الخطيب فى ترجمة محمد بن محمد بن لب الكنانى المالقى المعروف بابن لب (وكان يعيش فى القرن السابع الهجرى) أنه كان معتنيا بالعلوم القديمة من الرياضيات والطبيعيات والإلهيات مطلعًا بمذاهب القدماء ، « وكان له أرب فى التطواف وخصوصًا بأرض النصارى ، يتكلم مع الأساقفة فى الدين ، فيظهر عليهم » [٢٨] .

ونستشف من كثير من تراجم العلماء خلال منتصف القرن السابع الهجرى أن هذه المناظرات بين الجانبين الإسلامى والمسيحى كانت واسعة الانتشار ، وأنها كانت تحظى بتشجيع من الأمراء والحكام . فقد احتفظ لنا ابن الخطيب بنص رسالة طريفة كتبها أحد علماء مرسية ، وهو محمد بن عبد الله بن داود الغافقى (المتوفى بتلمسان سنة ١٢٨٧/٦٨٦) إلى صديقين له بمرسية يقول فيها متحدثا عن قدومه على إشبيلية بعد وقوعها فى أيدى المسيحيين سنة ١٢٤٨/٦٤٦ ، وكان قدومه بدعوة من قبل ألفونسو الذى كان ولى عهد لأبيه آنذاك ، وعن حفاوة الأمير المسيحى به : « وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر (فى تاريخ يقع بين سنتى ١٢٤٨و١٢٥٢) ...

ولقينا الإفانت (هى لفظة إسبانية infante ويقصد بها ولى العهد) على ميلين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنائه بقرار الخاطر وقرة العين ، ونزلنا الأخبية. خارج البلد ... ورغبنا عن المدينة لحرها الوهاج وغبارها العجاج ... » (٢٩) ونستنتج من هذا النص مدى الحفاوة التى كان ألفونسو يستقبل بها من كان يدعوهم من علماء المسلمين لكى يشتركوا فى المناظرات التى كان يعقدها بينهم وبين أقرانهم من علماء المسيحية .

فى مثل هذه البيئة الأندلسية التى حفلت بالمساجلات والجدل لم يكن من الغريب أن نجد من العلماء المسلمين من يتقنون لغة جيرانهم المسيحيين ، ومن هؤلاء من يعرفون العربية معرفة تعمق فى أساليبها البلاغية واطلاع على أدبها شعراً ونثراً وهو ما سنرى عليه دليلاً جليًا فى النص الذى سنورده ، وهو حوار دار بين أحد القسيسين وأديب مسلم من مرسية هو أبو على الحسين بن عتيق بن رشيق . وأول من يرجع إليه الفضل فى اكتشاف هذا النص هو المستشرق الإسبانى الصديق الذى أشرنا إليه مراراً فى ثنايا هذا البحث : فرناندو دى لاجرانخا ، وذلك فى مقال بديع له نشره فى مجلة « الأندلس » بعنوان « مساجلة دينية فى مرسية فى عصر ألفونسو الحكيم » (٣٠) ولكن علينا أن نتعرف أولا شخصية هذا الأديب الذى كان ينتمى إلى أسرة عريقة فى العلم والفضل ، ثم شخصية رجل الدين المسيحى الذى دار معه ذلك الجدال .

اسم الأديب المرسى المسلم راوى الحوار وأحد طرفيه هو أبو على الحسين بن رشيق وقد أورد هذا الحوار فى كتاب له لم يصل إلى أيدينا هو « الرسائل والوسائل » . وهناك ترجمة له فى كتاب « الإحاطة » ينص فيها ابن الخطيب على اسمه الكامل ، وهو أبو على الحسين ابن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى ، ويصفه بأنه « مرسى الأصل سبتىُّ الاستيطان ، منتمٍ إلى ابن رشيق صاحب الثورة على المعتمد» .

وقد تبين لنا أن اسم « رشيق » يتردد فى أعلام ينتمون إلى منطقة شرق الأندلس ، ولكننا لا نملك أن نقطع بصلة القرابة بين هؤلاء الأعلام ، وإن كانت حيواتهم فى المنطقة نفسها

ترشحهم لذلك . وأول من نعرفه من هذه الأسماء « رشيق » (هكذا بغير نسبة) موصوف بأنه « مولى الناصر » ، وكان عاملاً على الجزائر الشرقية (جزر البليار) للخليفة الأندلسى عبد الرحمن الناصر ، ويذكر عنه أنه توفى غريقا فى البحر فى سنة ٣٤٣ (٩٥٤) . ويظهر أنه كان من الصقالبة الذين استجلب الخليفة الأندلسى عدداً منهم وأسند إليهم بعض المناصب الكبرى ، وهذا يجعل من المستبعد أن يكون رأس هذه الأسرة التى يذكر فى عمود نسبها أنها كانت تنتمى إلى قبيلة تغلب بالولاء (٣١) .

ونجد بعد ذلك كاتبا فقيها محدثا يدعى أبا العباس أحمد بن رشيق (٣٢) ، يذكر عنه « أن أباه كان من موالى بنى شهيد وأنه نشأ بمرسية وانتقل إلى قرطبة ، وبرز فى صناعة الرسائل ، ومال إلى الفقه والحديث ، وشارك فى سائر العلوم ، وأن العلاقة توثقت بينه وبين أبى الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى (المتوفى سنة ١٠٤٥/٤٣٦) بحكم « الصحبة فى النشأة » ، فقدمه على كل من فى دولته ، وولاه جزيرة ميورقة ، فكان ينظر فيها نظر العدل والسياسة » ، ويفهم من هذا النص أنه كان حاكماً على الجزيرة (٣٣) وهو الذى آوى ابن حزم حينما نُعِى عليه مذهبه الظاهرى ، وبين يديه جرت مناظرته المشهورة لأبى الوليد الباجى ، وكانت له رسائل مجموعة متداولة ، وتوفى بعد سنة ٤٤٠ (١٠٤٩) عن سن عالية .

ثم تأتى بعد ذلك أسرة بنى رشيق المرسيين التى كان رأسها صاحب الثورة على المعتمد ابن عباد . وهو عبد الرحمن بن رشيق الذى لا نعرف على وجه التحديد ما إذا كانت له صلة قرابة بذلك الذى كان حاكماً على جزيرة ميورقة وينص الذين ترجموا للمتأخرين من ذريته على أنهم كانوا تغلبيين بالولاء . وقد كان ابن رشيق هذا على عهد الطوائف عاملاً على حصن بلج Vilches حينما كان يدبر أمر مرسية أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد المعروف بابن طاهر القيسى . وكان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية يطمع فى ضم مرسية إلى مملكته ، فأرسل جيشاً أمَّرعليه ابنه الملقب بالرشيد وأسند قيادته إلى وزيره الأثير لديه أبى بكر محمد بن عمار الشاعر لمحاصرة مرسية ، غير

أنهما فشلا فى الاستيلاء عليها ، ثم كرر ابن عمار المحاولة ، واجتاز فى طريقه على حصن بلج ، فلما سمع ابن رشيق به خرج إليه ورغبه فى النزول عنده ، فأجابه ابن عمار إلى ذلك ، واحتفل ابن رشيق فى إكرامه وخدمته ، فكافأه ابن عمار بأن وكل إليه قيادة جيشه ، وأمره بمغادرة مرسية وتشديد الحصار عليها وعاد هو إلى إشبيلية . واضطلع ابن رشيق بما أسند إليه حتى تمكن من فتح مرسية وطرد ابن طاهر منها والدعوة فيها لابن عباد ، وكان ابن عمار ينوى الغدر بمولاه المعتمد والاستيلاء على مرسية لنفسه ، غير أن ابن رشيق سبقه إلى الغدر به ، إذ استمال أهلها وقدم صنائعه وقرابته على معاقل مرسية وقام بضبط المدينة ، فلما قدم عليها ابن عمار أغلق أبوابها دونه حتى اضطره إلى مغادرتها يأساً منها . وحينما نهض أمير المرابطين يوسف بن تاشفين فى سنة ٤٨٣ (١٠٩٠) فى جوازه الثانى إلى الأندلس لمحاصرة حصن لييط Aledo أسرع ابن رشيق فخطب بمرسية لابن تاشفين على حين كان يعاون المسيحيين المعتصمين بالحصن سرًّا . وصح ذلك عند أمير المسلمين ، فعقد له مجلسًا استفتى فيه الفقهاء ، فقضوا بتسليمه إلى سلطانه ابن عباد ، ولكن قرابته وصنائعه اعتصموا بمعاقلهم . واضطر يوسف بن تاشفين إلى رفع الحصار عن لييط والعودة غاضبًا إلى المغرب بعد أن أخفقت الجهود للاستيلاء على الحصن بسبب تفرق كلمة ملوك الطوائف . أما ابن رشيق فقد أمر ابن عباد بثقافه وسجنه فى لورقة Lorca (٣٤) .

ولم تفدنا المصادر بالظروف التى أحاطت بتخلصه من سجنه ولا بالسنوات الأخيرة من حياته ، ولكننا نعرف من الأخبار المتصلة به أن أسرة ابن رشيق هذا كانت كبيرة ، وأن أفرادها كانوا منتشرين فى الأندلس ولاسيما فى المنطقة الشرقية ، وأنه كان لهم نفوذ كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية .

وإذا كان عبد الرحمن بن رشيق قد اضطرب فى غمار السياسة وخاض خطوبها فقد كان من أفراد أسرته من اشتغلوا بالعلم وانقطعوا له . نذكر منهم فقيها يدعى أبا عمر أحمد بن رشيق وينسب إلى بجّانة Pechina ، وكان معاصراً لعبد الرحمن المذكور ، ولكننا لانعرف من عمود نسبه ما إذا كان أخًا له وإن كان قريبًا

لـه على كـل حـال وقـد احتفظ لنـا ابـن بشكوال بترجمة قصيرة لـه نعرف منها أنـه كـان فقيها مشاوراً فى المرية وأنه توفى سنة ٤٤٦ (١٠٥٤) [٣٥] .

ونعرف من ذرية أحمد بن رشيق هذا فقيها ومحدثا يدعى أبا محمد عبد الغنى بن مكى ابن أيوب بن أحمـد بن رشـيق ، كـان مـن أهل شـاطبـة ، Jativa ، وتفـقـه على أبيـه وروى الحـديث عـن أبى عـلى الصـدفى بمرسـيـة ثم بشاطبة ، وتولى الشورى ببلده ، وكانت وفاته سنة ٥٥٥ (١١٦٠) [٣٦] .

وأمـا عـبـد الرحمن بن رشيق فنعـرف من ذريتـه عـالمـا يدعى أبا بكر عـتيق بن الحسين ابن عبد الله بن محمد ، وهو بياسىّ نزل مرسية ودرس على أبيـه وعلى عـدد من علمـاء شـرق الأندلس ، وكان متعـدد جوانب الثقافة ، فقد كـان محـدثا فقيها نحويـا أديبا تاريخيـا آخـذاً بحظ وافـر من علم الطب والرياضيـات بفضل تلمذته على الطبيب والعشّاب الإشبيلى المشهور أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومـيـة (ت ١٢٤٠/٦٣٧) ، وكـان مشتغلاً كذلك بعلم الكلام وأصول الفقـه .

وقـد ولـد فـى ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٨١ (١٩ سبتمبر ١١٨٥) وتوفى بمرسية غرة ذى الحجة سنة ٦٦١ (٦ أكتوبر ١٢٦٣) . ويرجع التفصيل فى ترجمة عتيق بن الحسين هذا إلى أن ابن عـبد الملك المراكشى الذى أوردها كـان تلميذاً لابنه أبى على الحسين صاحب المناظرة التى ستكون موضوع حديثنا فيما بعد [٣٧] .

ويدل على المكانة العلمية لعتيق هذا أن عدداً من جلة علماء القرن السابع الهجرى قد تلمذوا عليـه ، ومنهم ابن عـبـد الملك المراكشى الذى أشرنا إليه ، ومنهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبيـر صـاحب « صلة الصلة » (ت ١٣٠٨/٧٠٨) [٣٨] ، ومـحـمـد بن أحـمـد الفهرى المعروف بابن الجلاب الإشبيلى نزيل تونس (سنة ١٢٦٦/٦٦٤) الذى كـتب إليـه عتيق بالإجازة [٣٩] .

وقبل أن نتحدث عن أشهر أفراد هذه الأسرة وهو صاحب المناظرة موضوع الدراسه علينا أن

نشير إلى أن بعض أفراد أسرة بنى رشيق قد رحلوا إلى المشرق واستقروا فى مصر فى تاريخ لانستطيع تحديده ولكن يبدو أنه فى أواخر القرن الخامس . فنحن نجد فى كتاب « الديباج المذهب » لابن فرحون وفى المصادر المصرية ترجمات لبعض أفراد هذه الأسرة تبدأ بفقيه يدعى أبا على الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق الرَّبعى ، ويلاحظ أن الاسم والنسب يتفقان تماما مع ماللمرسىّ صاحب المناظرة حتى إننا ظَنَنَّا فى بادئ الأمر أن هناك خلطا بينهما ، غير أن أبا على هذا الذى ترجم له ابن فرحون ولد بمصر سنه ٥٤٩ (١١٥٤) واتخذ على عادة المشارقة لقباً دينياً هو جمال الدين ،و درس الحديث على والده الذى يبدو أنه أول من هاجر من هذه الأسرة من الأندلس إلى المشرق ، كما درس على عدد من المحدثين والفقهاء المصريين، وتوطدت مكانته حتى أصبح شيخ المالكية فى وقته وكان عليه مدار الفتيا فى هذه البلاد حتى وفاته سنة ٦٣٢ (١٢٣٥) .(٤٠)

و يظهر أن بنى رشيق هؤلاء الذين انتقلوا إلى مصر قد استبدلوا بنسبتهم التغلبية القديمة نسبا أعم إلى ربيعة .

وتسلسل العلم فى هذا الفرع المصرى من الأسرة فقد كان للحسين هذا ابن يدعى محمداً ويلقب بعلم الدين ، ورث عن ابيه مشيخة المالكية وولى قضاء الإسكندرية وكان مولده سنة ٥٩٥ (١١٩٩) ووفاته سنه ٦٨٠ (١٢٨١) (٤١) ثم أعقب هذا ابن له أيضاً يسمى محمداً ويلقب بزين الدين ، قد ولى مثل أبيه قضاء الإسكندرية وكان مولده سنة ٦٦٣ ووفاته سنه ٧٢٥ (١٢٦٥- ١٣٢٥) (٤٢) .

وقد خطر ببالنا أن هذه الأسرة قد تكون مصرية خالصة لاعلاقة لها ببنى رشيق الأندلسيين ، غير أن الاتفاق فى الأسماء وفى النسبة (إذ لاتعارض فى الحقيقة بين انتساب الأندلسيين إلى تغلب والمصريين إلى ربيعة) وكون المصريين من شيوخ المالكية وهو المذهب السائد فى الأندلس - كل ذلك يحملنا على أن نفترَض أن هؤلاء المصريين ليسوا إلا فرعاً من الأسرة الأندلسية هاجروا منذ قديم إلى مصر وأصبحوا من أهلها .ثم إننا وجدنا فى أبيات لأبى على الحسين بن عتيق المرسى فى إجازة لأحد تلاميذه مايشهد بصحة ما فرضناه ، إذ يقول فيها :

وَجَدّى رشيق شاع فى الغربِ ذكرُهُ

وفى الشرق أيضًا فادْرِ إن كنت لاتدرى(٤٣)

ونصل أخيرا إلى أشهر من أخرجه هذا البيت من العلماء ، وهو صاحب المناظرة التى سوف نفصل الحديث عنها ، وهو أبو على الحسين بن عتيق الذى استطعنا أن نجمع عنه مادة موفورة إلى حد ما .

أبو على هذا هو ابن آخر من تحدثنا عنهم من بنى رشيق الأندلسيين ، وهو مثل سائر أفراد أسرته مرسيُّ الأصل ، إذ يظهر أنه ولد فى مرسية فى تاريخ لم يسجله ابن الخطيب فى ترجمته له فى «الإحاطة» ، ولكننا نجد فى ترجمة أحد تلاميذه وهو يوسف بن إبراهيم الفهرى الغرناطى الساحلى (عاش بين سنتى ٦٦٧ و ٧٥٢ / ١٢٦٩ - ١٣٥١) نصا يقول فيه : « كتب إلىّ شيخنا محمد (كذا وهو تحريف عن حسين) بن عتيق بن رشيق فى الاستدعاء الذى أجازنى ولمن سمى فيه :

أجزت لهم - أبقاهم الله - كل ما

رويت من الأشياخ فى سالف الدهر

ولى مولد من بعد عشرين حجةً

ثمان على الست المئين ابتدا عمرى[٤٤]

ومعنى هذا أنه ولد سنة ٦٢٨ (١٢٣١) . وقد قضى صباه ومطلع شبابه فى مسقط رأسه مرسية ، وفيها درس على أبيه الذى تحدثنا عن مكانته العلمية الرفيعة وعلى بعض شيوخ المدينة . نذكر منهم محمد بن إبراهيم بن عبد الملك الأزدى القيجاطى (المتوفى سنة ٦٤٣/١٢٤٥)[٤٥]

ويقول ابن الخطيب فى ترجمته[٤٦] إنه « كان نسيج وحده وفريد دهره إتقانا ومعرفة ومشاركة فى كثير من الفنون اللسانية والتعاليمية ، متبحراً فى التاريخ ، ريان (فى الأصل : ريانا) من الأدب ، شاعرا مفلقا ، عجيب الاستنباط ، قادرا على الاختراع والأوضاع » . وحينما اشتد الزحف المسيحى على بلده مرسية رحل إلى المرية Almeria فخدم أميرها على بن يوسف بن نصر من قرابة سلطان غرناطة وأخاه الأصغر محمدا من بعده ، ثم هاجر إلى سبتة واستقر بها حتى عُدَّ من أهلها ، واشتغل بالكتابة لأمير هذه المدينة المغربية أبى القاسم محمد بن أحمد العزفى[٤٧] ويظهر أن التنافس بينه وبين زميله الكاتب والشاعر السبتى أبى الحكم مالك بن المُرَحّل (٦٠٤ - ٦٩٩/١٢٠٧-١٣٠٠) قد أدى إلى الاشتباك بينهما

فى مهاجيات ومهاترات بالغة العنف ، وقد حفظ لنا ابن الخطيب خبر هذا النزاع الذى نظم فيه ابن رشيق قصيدة فى هجاء ابن المرحل متسمة بأفحش الأقذاع . وكان ابن رشيق يتردد على الأندلس ، فقد نزل بالمرية من جديد وأصيب بأسر عياله ، فتوسل إلى عامل المرية بقصيدة يرجوه فيها التدخل لاستنقاذ أسرته من الأسر ، ثم توجه إلى غرناطة ومدح السلطان بها وهو محمد بن محمد الفقيه ثانى ملوك دولة بنى الأحمر . ويبدو أن مسعاه نجح فى النهاية ، فخلصت عائلته من الأسر . ثم نراه بعد ذلك وقد عاد إلى سبتة ، وحينما ولى ملك بنى مرين ثانى سلاطينهم أبو يعقوب يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق (حكم بين سنتى ٦٨٦ و١٢٨٧/٧٠٦-١٣٠٧) استدعاه للكتابة عنه . وأما عن سنة وفاته فإن ابن الخطيب لم يعرفها ، وإنما اكتفى بالقول إنه كان حيا سنة ٦٧٤ (١٢٧٥-١٢٧٦) . والوحيد الذى أورد سنة وفاته هو صاحب « بلغة الأمنية » ، فقد ذكر أنه توفى بتازة فى التاسع من المحرم سنة ٦٩٦ (٧ نوفمبر ١٢٩٦) ، وكان قد توجه فى وفد أهل سبتة الذى ذهب للقاء السلطان أبى سعيد ابن يوسف (؟) ومرض جل ذلك الوفد بالحمى ، ومات منهم جملة كان ابن رشيق من بينهم .

وقد تلمذ لابن رشيق عدد كبير ممن شهروا بالعلم من الأندلس والمغرب ، نذكر منهم الفقيه الموثق عبد الله بن على ... بن سلمون الكنانى الغرناطى (ت ١٣٤٠/٧٤١)(٤٨) وأبا جعفر أحمد بن الحسن بن الزيات الكلاعى من أهل بلش مالقة Vélez - Málaga (ت ٧٢٨ /١٣٢٨)(٤٩) ، وعبد المهيمن بن محمد الحضرمى السبتى كاتب السلطان أبى الحسن المرينى (ت ١٣٤٨/٧٤٩)(٥٠) .

أما عن أعماله فابن الخطيب يقول إن له أوضاعا غريبة واختراعات عجيبة ، يذكر منها سفرة للشطرنج دائرية الشكل(٥١) ، ويذكر من مؤلفاته كتابا كبيرا فى التاريخ ، وتلخيصا لهذا الكتاب يسمى «ميزان العمل» يصفه بأنه « من أطرف الموضوعات » ، وهو كتاب اختلط على بعض المؤلفين المتأخرين اسم صاحبه ، فظنوه لابن رشيق القيروانى صاحب كتاب « العمدة »(٥٢) . وقد نقل عن هذا الكتاب المؤرخ المغربى ابن أبى زرع فى موضعين : ذكر

فى أولهما التاريخ الصحيح لبيعة مهدى الموحدين محمد بن تومرت غرة سنة ٥١٦ (مارس ١١٢٢) وتاريخ وفاته فى ١٣ رمضان سنة ٥٢٤ (منتصف أغسطس ١١٣٠)(٥٣) ، وفى الموضع الثانى تاريخ بيعة عمر المرتضى فى غرة ربيع الأول ٦٤٦ (٢٤ يونيه ١٢٤٨) . غير أن ابن أبى زرع نبه على خطأ هذا التاريخ(٥٤)

وبسبب هذه الأخطاء وبسبب إمعان الكتاب فى الاختصار نقد ابن خلدون كتاب « ميزان العمل » نقدا عنيفا ، إذ قال وهو يتحدث عن تدهور الكتابة التاريخية : « ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار ، مقطوعة عن الأنساب والأخبار ، موضوعة عليها أيامهم بحروف الغبار ، كما فعل ابن رشيق فى « ميزان العمل » ، ومن اقتفى هذا الأثر من الهمل ، وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولايعد لهم ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد »(٥٥) .

وينسب أحمد بابا التنبكتى لابن رشيق كتابا آخر اختصر فيه « ترتيب المدارك » فى تراجم المالكية للقاضى عياض السبتى(٥٦)

وأخيرا هناك كتاب آخر لابن رشيق لم يذكره أحد ممن ترجموا له وهو « الرسائل والوسائل » الذى نقل منه صاحب « المعيار المغرب » نص المناظرة .

هذا عن شخصية ابن رشيق راوى المناظرة وأحد طرفيها ، فماذا عن شخصية مساجله القسيس المسيحى ؟

لم يورد ابن رشيق اسم هذا القس ، ولكنه رسم له وللطائفة التى كان ينتمى إليها صورة تستوقف النظر وتقدم لنا معلومات جديدة عن العلاقات بين الثقافتين الإسلامية والمسيحية فى منتصف القرن السابع الهجرى فى تلك البيئة المتفتحة : مدينة مرسية فى أواخر أيامها الإسلامية .

أما طائفة هذا القس فهى كما يصفها ابن رشيق جماعة من القسيسين والرهبان شأنهم الانقطاع للعبادة ، والنظر فى العلوم ، وهم مشغوفون بمطالعة كتب المسلمين وترجمتها بلسانهم ، ونستشف من هذه العبارات أنهم كانوا على مستوى رفيع من معرفة العربية ، وهو وصف ينطبق على طائفة الرهبان الدومينيكان Orden de los Domincicos الذين كانوا أحرص الطوائف

المسيحية على تعلم اللغات الأجنبية والاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى ، لأن ذلك كان سلاحهم فى مهام التبشير التى استغرقت شطرا كبيرا من جهودهم ومن أجل ذلك كان هدفهم من ترجمة العلوم العربية لم يكن مجرد الاستفادة كما كان شأن المترجمين السابقين بمدرسة طليطلة ، بل أصبحت الترجمة الآن « برسم النقد » كما ينص ابن رشيق ، إذ كان التعمق فى معرفة ثقافة الإسلام بالنسبة لهم مدخلا لنشاط جدلى يرمى إلى تنصير من « تدجّنوا » من المسلمين ، أى أصبحوا خاضعين لسلطة مسيحية . وكان ذلك تنفيذا لسياسة ملوكهم الذين كانوا يغدقون عليهم الأموال من أجل الوصول إلى هذا الهدف .

وأما القس المناظر لابن رشيق فهو على حد وصفه « قسيس من بلاد مراكش » . وقد يبدو هذا الوصف غريبا لأول وهلة ، ولكن وجه الغرابة يزول إذا ذكرنا أن خلفاء الموحدين كانوا يستعينون فى جيوشهم بفرق من المرتزقة المسيحيين الذين كان بعضهم فى الأصل أسرى حرب ولكنهم انتهوا بعد ذلك إلى الدخول فى خدمة دولة الموحدين . وكان هؤلاء يقيمون فى معسكرات وثكنات فى ضواحى بعض المدن المغربية ، وسمح لهم الخلفاء بممارسة شعائرهم الدينية ، فكانت لهم مصلياتهم وقساوستهم الذين كانوا يضطلعون برعايتهم الروحية . ويذكر فرناندو دى لاجرانخا أنه ابتداء من سنة ٦٢٢ (١٢٢٥) على الأقل كانت هناك أسقفية فى مدينة مراكش ، ولهذا فمن الأرجح أن يكون هذا القسيس مناظر ابن رشيق قد اكتسب معرفته بالعربية وبالإسلام خلال مقامه بمراكش فى تلك الأسقفية(٥٧) .

وقد حاول المستشرق الإسبانى الاهتداء إلى شخصية هذا القس ، فتبين له أنه كان فى تلك السنوات رجل من رجال الدين يدعى « غرسيه بطره Garsia Petri » ويوصف فى إحدى وثائق العصر بأنه « قسيس مراكشى Marrochitano archidiacono » ، وكان ألفونسو الحكيم - الذى كان ولى عهد أبيه آنذاك - قد عهد إليه بمهام سياسية لا علاقة لها بمنصبه الدينى ، وقد حفظت عنه تحركات فى نواحى قشتالة خلال سنتى ٦٢٣ و ٦٢٤ (١٢٥٥ - ١٢٥٦) . وربما يكون قد حل بمرسية فى إحدى المهام التى وكلت إليه ، ولو أنه ليس هناك مايسند هذا الفرض .

وخطر ببال فرناندو دى لاجرانخا بعد ذلك أن هذا القس قد يكون رامون مارتى Ramon Marti الذى تتفق ملامح شخصيته مع الصفات التى أضفاها ابن رشيق على مناظره . وكان مارتى (أو مرتين) قسا قطلانيا انتدب منذ سنة ٦٤٧ - ٦٤٨ (١٢٥٠) للتبشير بالمسيحية بين المسلمين . وذلك لأنه فى هذه السنة عقد مؤتمر كنسى فى طليطلة بإشارة من فرناندو الثالث « القديس » . وفى هذا المؤتمر تم اختيار ثمانية رهبان من منطقة قطلونية Cataluna ، وكلفوا بدراسة العربية فى المعهد الذى كانت طائفة الدومينيكان قد أقامته فى مرسية . ونحن نعرف أن مارتى ألف كتابا جدليا تعرض فيه للقرآن الكريم ، وهو كتاب لم يصل إلينا ، ولكن الذى وصل هو المعجم العربى اللاتينى الذى ينسب إليه[٥٨] . وهو الذى يعرف باسم Vocabulista in Arabico وهو يعد أول معجم يزاوج بين العربية ولغة أوربية[٥٩] . غير أن هذه النسبة لم يسلم بها جميع من درسوا هذا الكتاب . وكانت حجة سيمونيت فى نسبته له أن هناك حوارا ملحقا بمخطوطة المعجم يدور بين أحد المسلمين ومسيحى يدعى رَمُنْدُ مَرتين Raimundo Martin حول مسألة إعجاز القرآن ، وهو الموضوع الذى يعالجه من وجهة نظر إسلامية حوار ابن رشيق مع مساجله المسيحى . وقد انتهى جرانخا إلى أنه على الرغم من هذه الاتفاقات فإنها ليست كافية لكى نخلص إلى أن صاحب الحوار الذى نحن بصدده هو ذلك القس الدومينيكى رامون مرتين[٦٠] .

١ - لعل أول ما يستحق البحث فى أمر هذه المناظرة[٦١] هو تحديد التاريخ الذى جرت فيه . وإذا كان لنا أن نثق بصدق الحسين ابن رشيق فى قوله إنه كان إذ ذاك غلاما مراهقا « ما بقل وجهه » (أى لم يكن قد التحى بعد) فإننا نقدر أنه كان فى وقتها فى الخامسة أو السادسة عشرة من عمره . وإذا كان مولده فى سنة ٦٢٨ (١٢٣١) كما ذكرنا فى ترجمة حياته فإن تاريخ المناظرة لابد أن يكون فى نحو سنة ٦٤٣ أو ٦٤٤ (١٢٤٧ - ١٢٤٨) ، وهذا يوافق مايذكره فى مطلع الرسالة من أنه كتبها بمدينة مرسية « أيام محنة أهلها بالدجن » أى حينما سلمت صلحا ، فقدمت إليها جموع من المسيحيين يزاحمون أهلها فى سكناها . وهو يقول إنه كان آنذاك يجلس بين يدى والده

لكتب الوثائق وعقود الأحكام ، ويتفق هذا مع مايذكره مترجمو أبيه أبى بكر عتيق من أنه كان يشتغل بالتوثيق .

٢ - المناظرة تواكب تماما الجو الذى كان يسود مرسية فى منتصف القرن السابع والذى سبق أن وصفناه بأنه كان يحفل بمجالس الجدل بين علماء المسلمين والمسيحيين . وإذا كنا قد رأينا فى عرضنا لصورة هذه البيئة علماء مسلمين يتقنون لغة جيرانهم ويعرفون دقائق تعاليم المسيحية وشرائعها فإننا نرى فى هذا النص كيف كان مجادلوهم من المسيحيين متقنين للغة العربية ، قارئين للقرآن الكريم مطلعين على الأدب العربى اطلاع من يصمد لمواجهة حول نص من أصعب نصوصه وأشقها على غير العربى ، والجدل حول موضوع شائك هو إعجاز الأسلوب القرآنى .

٣ - أسلوب الحوار - كما نرى من النص - لم يعد يتخذ ذلك الطابع العنيف الذى رأيناه فى المجادلات السابقة ، فابن رشيق يصف قريعه بأنه « معتدل فى المناظرة ، متأدب فى الكلام عن الشارع (صلوات الله عليه) » ، وهو حريص على أن ينفى كل مايمكن أن يفهم من كلامه من أنه طعن على القرآن الكريم أو استخفاف بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٤ - موضوع الجدل بين القسيس المسيحى وابن رشيق يختلف عما كان يثور بين أصحاب الملتين من قبل ، فهو لا يتعلق بجوهر العقيدة أو مبادئها وتعاليمها ، وإنما حول قضية ذات شقين : دينى وبلاغى ، وهى قضية إعجاز القرآن ، ولعل هذه هى أول مرة نلتقى فيها بجدل من هذا النوع . والقضية التى طرحها القسيس فى تلطف ومهارة هى : هل القرآن الكريم معجز ببلاغته ؟ فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجوز أن يقال إن كل نص بليغ يعجز أصحاب البيان عن الإتيان بمثله يمكن أن يشارك القرآن فى هذه الصفة ، وهو يضرب على ذلك مثلا بما ذكره الحريرى فى المقامة السادسة والأربعين وهى « المقامة الحلبية » من تحدِّيه للأدباء وادّعائه أن ليس فى وسع أحد أن يزيد بيتا واحدا على بيتين أوردهما فى هذه المقامة(٦٢) .

أما هذه المقامة فعلى الرغم من نسبتها إلى حلب فإن الحريرى جعل مسرحها مدينة حمص التى يصف أهلها بالرقاعة والحماقة . وهناك يلتقى راوى المقامات الحارث بن همام بشيخ

مؤدب صبيان يكتشف - كالعادة - بعد ذلك أنه صاحبه أبو زيد السروجى ، ويعرض الشيخ على ضيفه مهارات صبيانه الأدبية واللغوية فيطلب منهم واحدا واحدا أن ينشدوا شعرا يقترح له ألوانا من الغرائب اللغوية ، فهو يسأل الأول أن ينشد أبياتا كلماتها خالية من الإعجام ، ويطلب إلى الثانى شعرا مشقلا بجناسات غريبة ، وإلى الثالث أبياتا لو كتبت بغير نقط لبدت مؤلفة من أزواج متماثلة من الألفاظ ، وإلى آخر أبياتا تضم الألفاظ التى تحتمل السين فيها أن تنطق صادا ... وهكذا . وفى ثنايا هذه الاختبارات يطلب إلى أحد الصبيان أن ينشد « البيتين المطرفين المشتبهى الطرفين اللذين أسكتا كل نافث ، وأمنا أن يعززا بثالث » ، وهو يعنى أن كلا منهما يبدأ وينتهى بلفظين متماثلين ولكن بمعنيين مختلفين ، وهما :

سم سمة تحسن آثارها
واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته
لتقتنى السؤدد والمكرمه

وقد كان الحريرى - غفر الله له - يعتقد أنه أتى فى هذين البيتين بالمعجز الذى لا يستطيع أديب أن يأتى بمثله . وأصبحت دعواه هذه عناء للأدباء من بعده ، إذ تعاقبت محاولاتهم أن ينظموا أبياتا على نفس الوتيرة كما سوف نرى .

ويقول القسيس فى جدله لابن رشيق : « وقد مضت بعد الأعصار وانقرضت الأجيال ، فلم يأت أحد لهما بثالث كما قال ، لا فى عصره ، ولا بعد عصره ، على كثرة درس الناس لها { أى للمقامات } وتداولها فى مجالس المذاكرة » . ويبدو ذلك غريبا من رجل يبدو أنه كان واسع الاطلاع على الأدب العربى متابعا لاهتمام الأدباء فى الشرق والغرب بمقامات الحريرى ، إذ لم تبلغه أنباء المعارضات الكثيرة التى قام بها كثير من الأدباء لبيتيه المشهورين .

وعلى كل حال فلم يكن أمام ابن رشيق إلا أن يحارب غريمه بنفس سلاحه ، فكد قريحته لكى يأتى ببيت من الطراز نفسه . والحقيقة أن مسألة القسيس وجواب ابن رشيق الذى يقول إنه أفحم مناظره حتى « كأنما ألقمه حجرا » كان كلاهما بالغ السذاجة ، على أنه كان مدركا لذلك بدليل قوله : « ورأيت فيه من الانكسار لذلك مالم أره عند سماع الحجج

العقلية والمآخذ الأصولية » ، فقد كان القسيس يظن أنه قد غلب مناظره إذا أقر له بعجز الشعراء عن محاكاة الحريرى فى «بهلوانياته» البديعية . فمن الواضح أن بيتى الحريرى ومعهما البيت الذى عارضهما به ابن رشيق فى غاية التكلف ، وهى مجرد نظم لايمت إلى الجمال الفنى الحقيقى بصلة ، غير أن أذواق الأدباء والمتأدبين فى هذا العصر كانت قد تغيرت ، فأصبح مثل هذا التلاعب اللفظى هو معيار التفوق والسبق .

٥ - ومن هنا يبدو لنا ضربا من السخف أن يتحدَّثَ عن « إعجاز » أتى به الحريرى ، وأسخف منه أن يذكر هنا فى معرض الكلام عن الإعجاز فى البلاغة القرآنية . وقد كان الأصوليون وعلماء الكلام الأندلسيون قد عالجوا قضية إعجاز القرآن من قبل ، وإن كان طرحها مختلفا عما نراه فى هذه المناظرة ، فقد تحدث أبو الوليد الباجى عنها فى الرسالة التى وضعها جوابا على راهب إفرنسة ، إذ يقول :

« ثم أكرمه [يعنى الرسول محمدا عليه الصلاة والسلام] الله تعالى بالمعجز الذى فضله الله به على جميع النبيين والمرسلين ، وهو القرآن الذى هدى به الإنس والجن أجمعين . قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (سورة الإسراء آية ٨٨) . فتحدى به العرب والعجم وجميع الأمم ، والعرب فى ذلك الوقت أهل فصاحة وبيان ، متناهٍ فى ذلك الشان ، فلم يستطع أحد منهم أن يأتى بسورة من مثله »(٦٣) .

كذلك عالج هذه القضية معاصر الباجى وغريمه فى الجدل ابن حزم الظاهرى ، وإن كان ابن حزم يتخذ موقفا آخر فى تفسير الإعجاز القرآنى ، فهو يقول :

« وقد ظن قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن فى أعلى طبقات البلاغة . وهذا خطأ شديد . ولو كان ذلك - وقد أبى الله عز وجل أن يكون - لما كان حينئذ معجزة ، لأن هذه صفة كل ماسبق فى وقت ما ، فلا يؤمن أن يأتى فى غيره مايقاربه بل ما يفوقه ، ولكن الإعجاز فى ذلك إنما هو أن الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله ، ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة(٦٤) » .

ورأى ابن حزم هذا هو المعروف باسم القول بـ « بالصرفة » أى أن الله صرف البشر عن الإتيان بمثل القرآن . وقد أخذ بهذا الرأى عدد من العلمــاء المتــقــدمــين من أهل الكلام والبلاغيين . وقــد أورد أبو بــكر الباقلانى (المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٢) حجج هؤلاء ، وأفرد لتفنيدها صفحات من كتابه « إعجاز القرآن »(٦٥) .

ونرى مما عــرضناه أن منطلق رجل الدين المسيحى فى مناقشة هذه القضية يقوم على إنكار التفوق البلاغى للقرآن الكريم ، وذلك لأن البشر فى نظره قادرون على أن يأتوا بما تعجز بلاغته ، وهذا هو الحريرى تحدى الأدباء بأن يأتوا بمثل بيته فعجزوا عن ذلك ، فشأنه فى التحدى وشأن القرآن سواء . ومنطلق القسيس فى هذا الرأى يشبه منطلق ابن حزم فى رأيه بالصرفة وإن كان هدف كل منهما مختلفا عن هدف الآخر كل الاختلاف . فهل كان القسيس مطلعا على ما كتبه ابن حزم ؟ لسنا نستبعد ذلك فقد كان كما نرى من مناظرته واسع الاطلاع على الثقافة العربية ، وأولى بــه أن يكــون ذا إلمـام بكتاب مثل « الفِصَل » يدخل فى دائرة الحــوار الدينى والمذهبى ، ولاسيما إذا كان من كتب التراث الأندلسى .

٥ - وقد فطن الأدباء فى المشرق والمغرب منذ قديم إلى تحدى الحريرى ، ولا شك فى أنه كان يكمن فى الوعى الساذج لكثير منهم أن العجز عن مساجلة بيتى الأديب البصرى قد يشتبه على بعض الناس مع العجز عن محاكاة الأسلوب القرآنى ، فيكون فى ذلك تشكيك فى إعجاز القرآن البلاغى . ولهذا فقد نهضوا لقبول تحدى منشئ المقامات وعنوا أنفسهم أشد العناء فى معارضة بيتيه حتى ينفوا صفة الإعجاز عنهما . أما فى المغرب فقد ساق ابن عبد الملك المراكشى فى ترجمته للأديب الإشبيلى سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى (ت ٥٤٤/١١٤٩) - وهو أيضا من معارضى المقامات - ثلاثة أبيات من طراز البيتين ، ثم استطرد إلى الحديث عن محاولات أخرى أورد منها عشرة أبيات لأبى زيد التميلى ، وبيتين لأبى إسحاق الكاتب ، وستة أبيات لأبى أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير ، وبيتا لابن مبارك التونسى ، وبيتين لابن عبد الملك نفسه(٦٦) . على أن ابن عبد الملك نقد معظم هذه المحاولات نقدا عنيفا ، إذ قال فى ثنايا

عرضه : « وقد تعاطى جماعة من الشعراء تذييل بيتى الحريرى المذكورين بما كان سكوتهم عنه أصون لافتضاحهم وأستر ، وإخلادهم إلى حضيض العجز عن مساماته أوج إجادته أولى بهم وأجدر(٦٧) .

ومع ذلك فلم يكف الأدباء عن هذه المعارضات العقيمة ، حتى إن المقرى بعد أن يورد أربعة أبيات من هذا الطراز للعالم النحوى محمد بن الصائغ يعلق عليها بقوله : « رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتى الحريرى »(٦٨) .

٦ - ونأتى فى النهاية إلى قضية مازالت موضع نقاش بين مؤرخى الأدب الإسبانى ودارسى الأدب المقارن ، وهى مدى تأثير المقامة العربية فى نشأة لون من ألوان الفن القصصى الإسبانى ، وهو ما يسمى بقصص الشطارة المعروفة باسم La novela picaresca . وقد رجح هذا التأثير علماء مثل رامون مننديث بيلايو فى كتابه « أصول الرواية »(٦٩) ، وأنخل جونثالث بالنثيا فى « تاريخ الفكر الأندلسى »(٧٠) ومن الثابت أن المقامات العربية كان لها تأثير كبير فى الأدب العبرى الأندلسى ، إذ قام كتاب اليهود فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين بترجمة مقامات الحريرى إلى العبرية ، كما عارضوها بمقامات تماثلها فى بنيتها وشخصياتها وأسلوبها المثقل بزخارف البديع(٧١) أما تأثيرها فى الأدب الإسبانى فهو موضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسة ، ولو أنه يبدو مرجحا إلى حد بعيد(٧٢) .

وقد كان المعترضون على هذا التأثير المحتمل يحتجون دائما بصعوبة لغة المقامات بحيث لم يكن فى وسع المسيحيين من أهل الأندلس فهمها واستيعابها(٧٢م) . على أننا نرى من نص المناظرة بين ابن رشيق والقسيس المسيحى أن المقامات لم تكن مجهولة فى عالم الثقافة الإسبانية المسيحية ، بل كان من بين رجال الكنيسة من يحفظونها ويخوضون الجدل بالعربية حول بلاغتها وقيمتها الفنية . ولعل هذا النص يساهم فى ترجيح الرأى القائل بالتأثير العربى فى ذلك الفن القصصى الإسبانى الذى تفردت به إسبانيا وازدهر فيها منذ القرن السادس عشر الميلادى .

الضميمة الأولى

نص المناظرة بين ابن رشيق والقس المسيحي في مدينة مرسية

وذكر أبو على الحسين بن رشيق فى كتاب « الرسائل والوسائل » قال(٧٣) : كتب(٧٤) بمدينة مرسية - جبرها { الله } أيام محنة أهلها بالدجن الذى عصم الله تعالى من غوائله ، وخلص من حبائله - ، وكان قد ورد عليها من قبل طاغية الروم(٧٥) جماعة من قسيسيهم(٧٦) ورهبانهم شأنهم الانقطاع فى العبادة بزعمهم ، ونظر العلوم ، مشرئبون للنظر فى علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم برسم النقد ، خيَّب الله تعالى سعيهم ! ، ولهم حرص على مناظرة المسلمين ، وقصد ذميم فى استمالة الضعفاء ، يأكلون على ذلك مال طاغيتهم ، ويستمدون به الجاه من أهل ملتهم ، قطع الله دابرهم !

وكنت فى ذلك الوقت أجلس بين يدى والدى(٧٧) - رحمه الله تعالى - لكتب الوثائق وعقود الأحكام ، وأنا إذ ذاك لما بقل وجهى . فوجبت لمسلم على نصرانى يمين فى حق حكم عليه بها . وأمرت أنا وشاهد آخر بالحضور عليها ليتقاضاها المسلم منه على مايجب ، بحيث يعظم النصرانى من دينه(٧٨) ، فتوجهنا معهما إلى مجتمع أولئك الرهبان ، بدار كان لهم فيها كنيسة يعظمونها . فلما فرغنا من قصدنا استدعانى قسيس منهم من بلاد مراكش ، فصيح اللسان ، مدرك للكلام ، معتدل فى المناظرة ، وأخذ يستدرجنى للمكالمة ، ويقول :

أنت طالب ونبيه ، وقد سمعت بوالدك وبك ، وحدثنى المسلمون عنكما بخير وعلم ، وأنا أريد أن أكلمك فيما لك فيه منفعة ولى . وأنت لست ممن تخاف أن يخدع بالباطل ، ولا ممن يخفى عليه الحق ويعاند فيه إذا ظهر له ، فاجلس معنا نأخذ فى مسألة من المذاكرة .

فأعجبنى كلامه وتصرفه فى الكلام العربى ، فجلست معهم ، وقعد إلىّ منهم أربعة ، وهو أحدهم ، وكأنهم تركوه للمكالمة ، فأخذ معى فى أمر معجزة أخذ متأدب مع الشارع - صلوات الله عليه وسلامه - ، وذلك منه خوف أن ينفرنى ، ومكيدة يستميلنى بها لسماع كلامه . وكنت - بحمد الله - قد أحكمت شيئا من أصول الدين مع والدى رحمه الله تعالى .

وقـال لى : أنتم تقـولون إن من أعظم معجزات نبيكم القرآن العظيم الذى بأيديكم .

قلت له : نعم .

قال : وأنا لا أتكلم معك فى غيره . وأنتم تقولون إن نبيكم تحدى به العرب قاطبة فى أحفل ماكانوا من الفصاحة ، فعجزوا ، وإن هذه النكتة هى أوضح نكت الإعجاز وأجلاها وأبقاها على الدهر ، بحيث يقف عليها المتأخر كما وقف عليها المتقدم ، ويستوى فى التوصل إليها الخاص والعام .

قلت له : نعم .

قال : وأنتم تقرأون فيه : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار »(٧٩) ، وذلك فى آية التحدى ومعرض التعجيز ، وتقولون إن نفى المستقبل الذى فى قوله « ولن تفعلوا » وهو النص على أن ماكان من العجز عنه فى الوقت باقٍ فيما بعد ذلك إلى باقى الدهر .

قلت : نعم .

قال : ثم لم يبق معارض واحد فى الوقت ، ثم مضت السنون والأحقاب ، وانقرض لسان العرب الصحيح ، واستولى عليه الفساد أقمتم الإعجاز وصح ذلك النفى المتقدم وجوداً صَدَّقَ الخُبْرُ الخَبَرَ رأيتم أنه لم يبق للمعارضة مظنة تقدير ، وأن المتأخر فى هذا حصل على ثلج اليقين من المتقدم .

فقلت له : أما هذا فلا أقول فيه ، إلا أن الأمر استمر على ما كان عليه أولا ، ولايزيد المتقدم على المتأخر ولا المتأخر على المتقدم . والحق إذا ظهر من وجه واحد فى وقت ما لاتزيده كثرة الوجوه صحة ، ولاتدفع عنه شبهة ، ولكن هذا واقع فى الوجود ، كما قلت ، فما تريد أن تبنى على هذا ؟

فقال - تعالى الله عن قوله ونزه الوحى الكريم عن تخييلاته : اسمع الآن ما أقوله ، ولا تفهم عنى أنى أريد به أن أحدا عارض القرآن ، أو أتى فى ذلك بشئ يوقع فى النفس احتمالا . لا والله ! لا أقول ذلك ، ولا أدعى مالم يقل به أحد من أهل ملتكم أو غيرها(٨٠) ، ولكنى أقول شيئا آخر افهمه عنى وتثبت فيه ، فإنه موضع نظر ، فى نفسى منه شئ ، ولم أجد من أهل ملتكم أحداً يزيله عنها ، على كثرة سؤالى عنه لكل من توسمت فيه المعرفة منكم ، وذلك أن الكتاب المسمَّى بـ « المقامات » قد أجمع أهل ملتكم على أن أهل الأدب عجزوا

عن معارضته ، وكل من تعرض لذلك لم يأت بشئ يقاربه ولا يقع موقعه .

ثم إن مؤلفه مع ذلك تحدى أهل اللسان قاطبة بشىء منها ، رأى أنه لايؤتى بمثله ، وزاد إلى ذلك بأن صرح بنفى الإتيان بمثله فى المستقبل تصريحا لايمكن إنكاره ، وذلك قوله فى المقامة السادسة والأربعين : « أنشد البيتين المطرَّفَين(٨١) ، المشتبهى الطرفين ، اللذين أسكتا كل نافث ، وأمنا أن يُعزَّزا بثالث » فأنشده :

سِمْ سِمَةً تحسن(٨٢) آثارها

واشكر لمن أعطى ولو سِمْسِمَه

والمكْرُ مَهْما اسطعت لا تأته

لتقتنى السُّؤْدُدَ والمكرُمَه(٨٣)

وقد مضت بعد الأعصار ، وانقرضت الأجيال ، فلم يأت أحد لهما بثالث كما قال ، لا فى عصره ولا بعد عصره ، على كثرة درس الناس لهما وتداولهما فى مجالس المذاكرة ومحافل الأمراء واشتهارها فى الأمصار ، فعلى ما تقرر أولا [و] وجدناه عند جمهوركم فى حق القرآن مُسلَّماً ينبغى أن يكون ما أتى به الحريرى أيضا فى هذا الموضع معجزة ، وإن لم يُردْ هو ذلك ولا قصد هذا المقصد الذى نحن بسبيله ، لكنه قد وقع ذلك فى الوجود اتفاقا ، ووقع وقوعا لا مرية فيه . وأنتم مع ذلك لا تقولون إنه نبى ، ولا يمكنكم قول ذلك ، ولا أنا أريده ، ولكن أريد أن هذا أمر قد وقع لمن حصل التسليم منكم فيه أنه غير نبى . فما الفرق بينه وبين ماكنا بسبيله أولا ؟ اللهم إلا أن نستعين على ذلك بقرينة أخرى ، أو بقرائن من غير القرآن ، فتكون حينئذ قد جعلت القرآن غير مستقل بإثبات نبوة نبيكم . وليس هذا قول أئمتكم .

وأخذ يقرر أشياء من هذا القبيل يتحذر فيها من تنفيرى ، فيتأدب مع القرآن عند ذكره ، ويعظم النبى (صلى الله عليه وسلم) متى عرض له ذكرا ، ويقول :

النظر فى هذا أحقُّ عليك منه علىَّ .

فأدركنى والله انبعاث عظيم للزيادة على البيتين لم أر آكد علىَّ منه فى الوقت ، ولا ألجم لذلك المُخزى منها ، فأخذت أبدى له الفرق بين المسألتين بطرائف(٨٤) البراهين الأصولية والأقوال العلمية ، وخاطرى مشتغل

بالتفرغ للزيادة عليهما ، وهـو يقـول فى كل ما أقـول له :

- قد سمعت هذا وناظرنى به فلان .

فقلت له : كذا .

{ فقال } : وسمعت هذا الآخر ، وقد ذكر هذا الآخر فلان فى كتاب كذا ، واعترضنى فيه كذا كذا كذا .

إلى أن يسَّـر الله فى زيادة بيت واحـد ، فقلت له :

- ومع هذا فقد زاد الناس على البيتين ولم يغفلوا عنهما .

فقال لى :

- وأين هذا ؟ فوالله ما رأيت أحداً ادّعى هذا ولا ذكره يوماً قط !

فقلت له : أنـا أذكـر بيتًا ثالثًا لهما ولا أذكر الآن قائله ، ولم أر أن أنسبه لنفسى فى الوقت ، لأنى قدرت أنه إن فعلت ذلك لا يقع منه موقعًا مؤثرًا . ثم أنشدته :

وَالْمَهْرُ مَهْرُ الْحُورِ وَهْوَ التُّقَى

بَادِرْ { به } الْبَكْرَةَ وَالْمَهْرَمَهْ

فلما سمعه وأعدته عليه حتى فهمه فكأنما ألقمته حجرا ، ورأيت فيه من الانكسار لذلك مالم أره عند سماع الحجج العقلية والمآخذ الأصولية . فأخذ فى الثناء علىّ ، وأخذ أصحابه يسألونه عن تفهيم ما قلته له ، فأفهمهم إياه ، وقيدوا البيت . ولم أنفصل إلا وهم كالمسلّمين فى انقطاع شبهتهم ، قطع الله دابرهم ! ..

* *

* * *

الضميمة الثانية

نص الحريرى فى المقامة السادسة والأربعين حول البيتين اللذين تحدى بهما الأنباء(٨٦)

« ... ثم أهاب [الشيخ مؤدب الصبيان الذى ينكشف فى نهاية المقامة أنه أبو زيد السروجى] بفتى فتّان ، يسفر عن أزهار بستان ، فقال له : أنشد البيتين المطرفين ، المشتبهى الطرفين ، اللذين أسكتا كل نافث ، وأمنا أن يُعَزَّزا بثالث ، فقال له : اسمع لا وُقِر سَمْعُك ، ولا هُزِم جَمْعُك ، وأنشد من غير تَلَبُّثَ ، ولا تَرَيُّث :

سِمْ سِمَةً تحسن آثارها
واشكر لِمَن أعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمكْرُ مَهْما اسْطَعْتَ لا تأتِه
لتقتنى السُّؤْدُدَ والمكرُمَهْ

فقال له : أجدت يا زُغْلول ، يا أبا الغلول ! » .

محمود على مكى

عضو المجمع

* *

* * *

حواشى المقال

(١) يعود الفضل الأول فى التنبيه على أهمية موضوع الجدل الدينى المسيحى الإسلامى إلى المستشرق الإسبانى الجليل ميكيل دى إيبالثا فى مقاله « ملاحظات حول تاريخ حركة الجدل الإسلامية ضد العقيدة المسيحية فى الغرب الإسلامى » :

Mikel de Epalza : Notes pour une histoire des polémiques dans l'Occident musulman, Arabica, vol. XVIII, fasc.1, fevrier, 1971, pp. 99-106

وانظر كذلك بحث محمد المنونى : مناقشات أصول الديانات فى المغرب الوسيط والحديث ، مجلة البحث العلمى الصادرة فى المغرب ، الرباط ، السنة الخامسة ، رقم ١٣ ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣-٣٢

(٢) انظر رامون منندث بيدال : أصول اللغة الإسبانية :

Ramón Menéndez Pidal : Orígenes del espanol, Madrid, 1950, pp. 417-418

(٣) أبو مروان حيان بن خلف القرطبى : المقتبس من أبناء الأندلس ، تحقيق محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٣٨

(٤) نفس المصدر ص ١٤٢

(٥) عن هذه الشخصيات المسيحية وكتاباتهم عن الإسلام انظر :

Francisco Simonet : Los Mozárabes de España, Madrid, 1897-1903, pp. 340 ss ;

Isidro de las Cagigas : Los Mozárabes, Madrid, 1947, I, pp. 193-221 ;

Reinhardt Dozy : Histoire des musulmans d'Espagne, I, pp. 392-427, 438-445;

E. Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne musulmane, I, pp. 291-303;

(٦) أبدى المستشرق الهولندى راينهارت دوزى دهشته من كون رجال الدين المسيحيين قد صوروا العقيدة الإسلامية تصويراً مشوهاً إلى أبعد حد مع أن معرفتهم بالإسلام كان ينبغى أن تصبح أوثق وأصح بحكم ذلك التعايش الحميم مع المسلمين ، فهو يذكر أن القديس إيولوخيو فى حديثه عن رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) بدلا من أن يرجع إلى الكتب العربية أو حتى إلى أبناء ملته الذين عرفوا الكثير عن الإسلام إذا به يستمد معارفه عن مخطوط قديم وقع فى يده بمحض الصدفة فى أحد أديرة بنبلونة Pamplona (فى أقصى شمالى إسبانيا) ، هذا مع أنه كان من أوسع رجال الدين المسيحى ثقافة ومن أقدرهم على التعامل مع كتب المسلمين بشكل مباشر ، فقد كان يجيد العربية كما كان يجيدها تلميذه ألبارو القرطبى ، وكان بوسعه أن يقرأ ماكتب بها . انظر :

R. Dozy : Historia de los musulmanes de España, trad. esp. por Federico de Castro, ed. Buenos Aires, 1946, I, pp. 394-395.

(٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣٢١ هـ . /١٩٠٤ م ، ١/٤٨-٦٥ ، ٢/٢-٩٠ (فى مناقشة فرق المسيحية) و « رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودى » ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٥-٨١ (فى مناقشة طوائف اليهود) .

(٨) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ - القسم الأول ص ٧٦٧

(٩) انظر تقديم الدكتور إحسان عباس لرسالة الرد على ابن النغريلة ص ١٣

(١٠) قام بدراسة هاتين الرسالتين ونشر رد الفقيه الباجى عدد من الباحثين نذكر منهم :

D. M. Dunlop : A Christian Mission to Muslim Spain in the 11th Century, Al-Andalus, vol. XVIII, 1952, pp. 259-310;

Jacinto Bosch Vilá : A propósito de una misión cristiana a la Corte de al-Muqtadir Ibn Húd, Tamuda (Tetuán), 1954, Sem. 1, p. 97;

Allan Cutler : Who was the "Monk of France" and when did he write ?, Al-Andalus, vol. XXIII, 1963, pp. 249-269;

Abdelmagid Turki : La lettre du "Moine de France" a Al-Muqtadir billáh, roi de Saragosse, et la réponse d'Al-Báŷī, le faqih andalou, Al-Andalus, vol. XXXI, pp. 73-153.

(١١) انظر ترجمة عبد الملك بن مسرة فى الصلة لابن بشكوال القاهرة ١٩٥٥ ، رقم ٧٧٨ ص ٣٤٨ ، والديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٧

(١٢) انظر فهرسة ابن خير ، تحقيق فرانسسكو كوديرا وخوليان ريبيرا ، سرقسطة ١٨٩٣ ، ص ٤١٨

(١٣) انظر ترجمة مفرج هذا فى التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق فرانسسكو كوديرا ، مدريد ١٨٨٦ ، رقم ١١٤٩ ص ٣٩٩

(١٤) الإعلام ، تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ، القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٩ ، وقد ورد اسم ابن مسرة فى المطبوع محرفا إلى « ابن ميسرة » .

(١٥) فى ترجمة ابن أبى عبيدة الخزرجى انظر التكملة لابن الأبار ، القسم الأول ، تحقيق الفريد بل وابن أبى شنب ، الجزائر ١٩٢٠ ، رقم ٢٢٣ ص ١٠٤ ، الديباج المذهب لابن فرحون ،

القاهرة ١٣٥١ (١٩٣٣) ص ٥٠-٥١ ، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتى (على هامش الديباج) ص ٥٩ ، وأوفى ترجمة له فى كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى ، السفر الأول ، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة - بيروت ، بدون تاريخ ، رقم ٣٠٨ ص ٢٣٩-٢٤١

(16) Fernando de la Granja : Milagros españoles en una obra polémica musulmana, Al-Andalus, vol. XXXIII, 1968, pp. 311-365.

(١٧) حول هذه الترجمة وشخصية الملك المسيحى الذى أمـر بها هناك دراسة بقلم الباحث ج. كريتشيك بعنوان «بيتر الجليل والإسلام» :

J. Kritzek : Peter the Venerable and Islam, Princeton, 1964

(١٨) انظر فرناندو دى لاجرانخا فى دراسته المشار إليها ص ٣٢٣-٣٢٤ وحول حركة المترجمين بطليطلة انظر أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٣٦-٥٤٠

(١٩) انظر ترجمته فى معجم أصحاب أبى على الصدفى لابن الأبار ، تحقيق فرانسسكو كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ ، رقم ٢٠٨ ص ٢٢٨-٢٢٩ ، والإحاطة لابن الخطيب ، نشر محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٥ ، ٣/٤٠٤

(٢٠) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، القسم الموحدى ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٣٦٧

(٢١) البيان المغرب ص ٤٣٢ . وحول هذه السنوات المضطربة من حياة مرسية انظر كتاب جاسبار رميرو : تاريخ مرسية الإسلامية :

M. Gaspar Remiro : Historia de Murcia musulmana, Zaragoza, 1905, pp. 291-313

(٢٢) حول جهود ألفونسو الحكيم الثقافية انظر تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا ص ٥٧٣-٥٧٦ وكذلك أجوادو بلييه : مجمل تاريخ إسبانيا .

Aguado Bleye : Manual de historia de España, Madrid, 1947, pp. 935-936

(٢٣) الإحاطة لابن الخطيب ٣/٦٧-٦٨

(٢٤) نفس المصدر السابق .

(٢٥) حول ابن سبعين انظر ترجمته في الإحاطة ٤/٣٤ والكتاب الذي أفرده لدراسة حياته ومذهبه الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، بيروت ١٩٧٣

(٢٦) عن « المسائل الصقلية » انظر كتاب التفتازاني المذكور ص ١٠٨-١١٧ والملاحظات القيمة التي أوردها الدكتور حسن حنفي في مقاله « روح الأندلس وتهيئة الغرب الحديث : قراءة في المسائل الصقلية لابن سبعين ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة العدد ٥٣ - مارس ١٩٩٢ ص ٥٣-٧٢

(٢٧) انظر الحلة السيراء لابن الأبار القضاعي البلنسي ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢/٣١٤

(٢٨) الإحاطة ٣/٨٠

(٢٩) الإحاطة ٢/٤٣١-٤٣٢

(30) Fernando de la Granja : Una polémica peligiosa en Murcia en tiempos de Alfonso el Sabio, Al-Andalus, vol. XXX, 1966, pp. 47-72

(٣١) في ترجمة رشيق هذا انظر التكملة لابن الأبار ، القسم الأول ، تحقيق الفريد بل وابن أبي شنب ، الجزائر ١٩١٥ ، رقم ١٦ ص ١٣ ؛ والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، السفر الأول ، رقم ١٥٤ ص ١١٦

(٣٢) ترجمته فى جذوة المقتبس للحميدى ، رقم ٢٠٧ ص ١١٤-١١٦ ؛ الحلة السيراء لابن الأبار ١٢٨/٢-١٢٩ ، معجم الأدباء لياقوت الحموى ٣٣/٣-٣٤

(٣٣) غير أن الدكتور عصام سيسالم فى دراسته القيمة حول تاريخ الجزائر الشرقية يدرجه فى قائمة قضاة الجزيرة لا ولاتها ، انظر « جزر الأندلس المنسية » ، ط . بيروت ١٩٨٠ ص ٥٠٤

(٣٤) فى هذه الأحداث انظر كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى الذى نشره ليفى بروفنسال بعنوان «مذكرات الأمير عبدالله [ابن بلقين] آخرملوك بنى زيرى بغرناطة ، نشر دارالمعارف ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٧٩-٨١ ، ١١٠-١١٢ ، ١٤٤ ؛ وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ط . تونس ١٩٦٦ ص ١٠٢ ؛ والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القسم الثالث ٢٥/١-٢٦ ؛ والحلة السيراء لابن الأبار ١١٦/٢-١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٠-١٤٨ ، ١٧٢-١٧٥ ؛ والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٣٨٩/١-٣٩٠ ، والمعجب لعبد الواحد المراكشى ص ١٨١-١٨٢ ، ١٩٢ ؛ والحلل الموشية ، تحقيق عبد القادر زمامة وسهيل زكار ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ص ٦٩-٧٠

(٣٥) الصلة لابن بشكوال ، رقم ١١٤ ص ٥٧ وهناك فتوى له نقلها صاحب المعيار المعرب (٤٠٣/٩) وعلق عليها ابن سهل .

(٣٦) معجم أصحاب أبى على الصدفى ، رقم ٣٤٩ ص ٢٦٨ ؛ والتكملة (كوديرا) رقم ١٨١٩ ص ٦٥٤ ، وقد ترجم له ابن عبد الملك أيضا ولكنه ذكر أنه توفى قبل سنة ٥٢٠ - الذيل والتكملة ، السفر السادس ، رقم ٧٤٢ ص ٢٨٢ -٢٨٣

(٣٧) انظر ترجمة عتيق المذكور فى الذيل والتكملة ، السفر الخامس، رقم٢٣٢ ص١١٩-١٢٠ ، وانظر كذلك السفر الأول ص ٥١١

(٣٨) الذيل والتكملة ، السفر الأول ص ٤٠

(٣٩) الذيل والتكملة ، السفر السادس ص ٥٣

(٤٠) الديباج المذهب ص ١٠٥ ؛ وحسن المحاضرة لجلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ - ٤٥٥/١

(٤١) الديباج ص ٣٢٨ ؛ وحسن المحاضرة ٤٥٨/١

(٤٢) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى شهاب الدين أحمد بن على ، ط . حيدر اباد الدكن ، سنة ١٣٥٠ (١٩٣٢) - ١٧٤/٤

(٤٣) الإحاطة ٤٠٦/٤

(٤٤) نفس المصدر والصفحة .

(٤٥) الذيل والتكملة ، السفر السادس ، رقم ٢٤٤ ص ٩٧

(٤٦) الإحاطة ٤٧٢/١-٤٧٦

(٤٧) فى ترجمة ابن رشيق الواردة فى كتاب « بلغة الأمنية » أنه ولى أيضا قضاء سبتة ، غير أننا نعتقد أنه لم يجاوز خطة الكتابة . انظر «بلغة الأمنية ومقصد اللبيب ، فيمن كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب» لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ١٩٨٤ ، ص ٢٢

(٤٨) الإحاطة ٤٠١/٣

(٤٩) الإحاطة ٢٨٩/١

(٥٠) الإحاطة ١٣/٤

(٥١) راجع عن هذه السفرة الدائرية التى أصبحت تدعى «الشطرنج الرومى» الملاحظة الطريفة التى أوردها فرناندو دى لاجرانخا فى مقاله الذى سبق أن أشرنا إليه فى مجلة الأندلس ص ٥٢ ، حاشية ١١

(٥٢) انظر مناقشة هذه القضية وتصحيح نسبة الكتاب فى مقال فرناندو دى لاجرانخا ص ٥٣-٥٥

(٥٣) على بن أبى زرع الفاسى : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ١٨١

(٥٤) نفس المصدر ص ٢٥٨ ونقل ابن القاضى الخبر وتصويب ابن أبى زرع له . انظر أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى المعروف بابن القاضى : جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، نشر دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ٤٩٢ . ويلاحظ أن اسم المؤلف ورد فى الترجمة التى أفردها له وفى المواضع الأخرى بصيغة «حسن» محرفا عن «حسين» (انظر الجذوة رقم ١٤٢ ص ١٨٠ وكذلك ص ٥٤٨) .

(٥٥) مقدمة ابن خلدون ، نشر المكتبة التجارية ، دون تاريخ ، ص ٥

(٥٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ص ٩ ؛ وحول كتب ابن رشيق الثلاثة : التاريخ وميزان العمل ومختصر ترتيب المدارك انظر كذلك عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، تطوان ١٩٥٠ ، ص ٢٩٠ و ١٩٦ و ٣٠٩ على الترتيب .

(٥٧) فى مقاله السابق ذكره ٥٩-٦٠

(٥٨) صاحب هذه النسبة هو المستشرق الإسبانى فرانسسكو سيمونيت فى مقدمة «معجم الألفاظ الأيبيرية واللاتينية المستخدمة بين المستعربين» :

Francisco Simonet : Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozárabes, Madrid, 1888, pp. CLXIV-CLXV

(٥٩) قام بنشر هذا المعجم المستشرق الإيطالى تشليستينو سكياباريللى Celestino Schiaparelli فى فلورنسا Firenze سنة ١٨٧١

(٦٠) فى مقاله المشار إليه ص ٦٠-٦٢

(٦١) أوردنا نص المناظرة كما جاءت فى «المعيار المغرب» فى الضميمة الأولى من هذه الدراسة .

(٦٢) نقلنا فى الضميمة الثانية من المقامة السادسة والأربعين النص الذى يتضمن تحدى الحريرى للأدباء .

(٦٣) انظر النص فى مقال عبد المجيد التركى الذى أسلفنا الإشارة إليه :

Abdelmagid al-Turki : La lettre du "moine de France", pp. 108-109

(٦٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١٠٦/١

(٦٥) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى : إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٢٩-٣٠

(٦٦) الذيل والتكملة بقية السفر الرابع ص ٤٩ - ٥٣

(٦٧) نفس المصدر ص ٤٩

(٦٨) نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٣/٤، وقد أشار فرناندو دى لاجرانخا إلى هذا النص فى مقاله (ص ٦٤) ولكنه فهم منه أن المقرى رأى هذه الشواهد فى كتاب «المغرب» (بضم الميم) لابن سعيد ، غير أن المقصود هنا هو بلاد المغرب (بفتح الميم) .

(69) Ramon Menéndez Pelayo : Origenes de la novela, Madrid, 1961, pp. 66-69

(٧٠) ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ص ١٨٠-١٨١ ، ٥٩٢

(٧١) انظر خوسيه ماريا ملياس فاليكروسا : الشعر الدينى العبرى الإسبانى :

José Maria Millas Vallicrosa : La poesia sagrada hebraicoespañola, Barcelona, 1948, pp. 125-134

وكذلك الملاحظات القيمة التى سجلها حول هذا الموضوع الدكتور أحمد مختار العبادى فى مقاله « مقامة العيد لأبى محمد عبد الله الأزدى» فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الثانى ١٩٥٤ ص ١٦٤-١٦٦

(٧٢) انظر ملاحظاتنا حول هذا التأثير المحتمل فى بحثنا فى كتاب « أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية» (فصل الأدب) ، نشر الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة ، القاهرة ١٩٨٧ ص ٨٠-٨٤.

(٧٢م) هذا الاعتراض هو الذى أورد خلاصته الباحث الأمريكى جيمس ت . مونرو فى دراسته الممتازة عن بديع الزمان الهمذانى ومقاماته ، حيث يقول : «لقد اقترح البعض أن يكون للمقامات العربية دور فى نشأة الفن القصصى المعروف بالبيكارسك (قصص الشطارة) فى الأدب الإسبانى . غير أن الاعتراض الأكبر على هذا الغرض هو أنه لم يكشف بعد عن الوسائل التى أمكن بها نقل هذا الأدب [العربى] إلى الأوساط الإسبانية» . انظر .

James T. Monroe : The art of Badi az-Zaman al-Hamadhānī as Picaresque Narrative, American University of Beirut, Beirut, 1983, p 15.

(٧٣) ورد النص فى كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب» للفقيه أحمد بن يحيى الونشريسى (المتوفى سنة ٩١٤/١٥٠٨) ، بيروت ١٩٨١ ، الجزء الحادى عشر ص ١٥٥-١٥٨

(٧٤) كذا فى الأصل ، ولا بأس بهذه القراءة ، ولو أن اللفظ يمكن أن يكون «كنت» أيضا . وهو وجه أصح ، لأن هذه الرسالة لم تكتب فى مرسية ، بل فى موضع آخر فى الأندلس أو المغرب كان فى حكم الإسلام ولم تلحقه سلطة المسيحية ، وفى تاريخ متأخر عن زمن المناظرة ، وهو مايفهم من العبارة التالية .

(٧٥) المقصود بطاغية الروم حسبما انتهى إليه استنتاجنا هو فرذلند أو فرناندو (الثالث) الملقب بالقديس Fernando III, el Santo (حكم بين سنتى ٦١٤ و ٦٥٠/١٢١٧-١٢٥٢) وهو الذى انتزع قرطبة وجيان وإشبيلية من أيدى المسلمين . أما مرسية فهى التى سالمه أهلها معترفين بسلطته وإن ظلوا يدبرون أمر مدينتهم ، وذلك فى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٣) . وهـذا هـو المقصود بقول

ابن رشيق فى الرسالة «أيام محنة أهلها بالدجن» . وكانت مصالحة أهل مرسية لفرناندو الثالث على يد ابنه وولى عهده ألفونسو (العاشر) الملقب بالحكيم .

(٧٦) فى الأصل : قسيسهم .

(٧٧) والده هو أبو بكر عتيق بن الحسين بن عبد الله بن محمد الذى ولد على مايدو فى بياسة Baeza ونزل مرسية وبها توفى . وامتدت حياته بين سنتى ٥٨١ و ٦٦١ (١١٨٥-١٢٦٣) . انظر ترجمتنا له فى ص ١٧٤ من هذا البحث والحاشية رقم ٣٧ . وترجم ابن رشيق على والده يدل على أن هذه الرسالة كتبت بعد وفاته أى سنة ٦٦١ (١٢٦٣) .

(٧٨) جرى العرف فى الفقه الإسلامى أن اليمين يجب أن تؤدى حيث يعظم الحالف سواء أكان مسلما أم ذميا ، فالمسلم يؤديها فى المسجد والمسيحى فى الكنيسة . انظر المعيار المعرب ٣٠٩/١٠

(٧٩) تمام آيتى التحدى هما : «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين» (سورة البقرة ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤) .

(٨٠) ربما كان فى هذا دليل على أن القسيس صاحب المناظرة يبعد أن يكون رامون مارتى (أومرتين) الذى ينسب إليه أنه عارض القرآن الكريم . انظر بحثنا هذا ص والحواشى ٥٨-٦٠

(٨١) فى الأصل : «البيتين والمطربين» محرفاً عما أثبتنا .

(٨٢) فى الأصل : يحسن .

(٨٣) فى الأصل : ... استطعت ... لتنتقى ، تحريفاً عما أثبتنا .

(٨٤) كذا فى الأصل ، وقد تكون «بطرائق» .

(٨٥) فى الأصل تنقص «به» وبغيرها يختل الوزن ولا يتم المعنى ، ومعنى البيت أن من يرغب فى الزواج عليه أن يبادر بتقديم المهر سواء أكانت المرأة التى يريد البناء بها بكراً شابة أم عجوزا

هرمة . هذا وتلاحظ تشابها كبيرا بين بيت ابن رشيق هذا والبيت الذى نظمه فى معارضة الحريرى الأديب الإشبيلى سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى (توفى سنة ١١٤٩/٥٤٤) :

وَالمَهْرَمَةُ لاَ تُغْلِهِ أَوْ تَرَى   شَدِيدَةَ البعد عَنِ المَهْرَمَةْ

(ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ص ٤٩) . وقد انتقد ابن عبد الملك هذا البيت فوصفه بالتكلف ، كما أنه نبه إلى اختلال شرط اشتباه الطرفين فيه باشتمال مفتتحه على واو العطف وخلو خاتمته منها (ص٥٠) وهو عيب يخلو منه بيت ابن رشيق المذكور . كذلك أورد ابن عبد الملك فى نفس الصفحة بيتا آخر لأبى زيد التميلى استخدم فيه المهرمة فى طرفى البيت هو :

وَالمَهْرَ مَهْرَ العَينِ لا تُغْلِهِ   فإنَّه مَهْمَا غَلاَ مَهْرَمَةْ

(٨٦) مقامات الحريرى بشرح أبى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٦ ، الجزء الخامس ص ٢٣٦-٢٣٧

* *

* * *

تعريب العلوم - القضية ★

للأستاذ / أحمد شفيق الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس

أيها الزملاء الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدار مؤتمرنا لهذا العام يحتمل محورين :

تعريب العلوم – القضيّة

تعريب العلوم – الوسيلة

وكان يُفترضُ أن أختار ثانيَهما كونَ لي خبرةٌ عمليّةٌ ، تعليميّةٌ ومهْنية ، في هذا المحور على مدى العُقود الأربعة الماضية . لكن الجدَل الذى أثير مؤخّرًا حول تعليم العلوم والرياضيّات بلغة أجنبية في المرحلة الابتدائية ، في الأوساط التربوية والإعلاميّة في موطن مُقامى الطيِّب : «لبنان» ، حفزني إلى المشاركة في ذلك الجدل ردًّا على رأيٍ مؤيدٍ لمحررٍ معروف في إحدى الصحف اللبنانية البارزة[1] ، وبالتالى حدانى إلى اختيار المحور الأول مدارا لحديثى اليوم في مؤتمرنا هذا . فقضيّة تعريب العلوم التى نتحاور بصددها في مراحل التعليم العالى لمّا تُحسَم بعدُ في مراحل التعليم الدُّنيا ، على نُطق تضيقُ أو تتّسِع ، في كثير من أرجاء الوطن العربيّ .

أيها العلماءُ الأجلاء

موضوع تعريب العلوم – وبالتالى تعريب العلوم في مختلف مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية والعالية – عولج بمحوريه ، قضيةً ووسيلة ، في العديد من الندوات والمؤتمرات التى كان لى ، كما كان للكثيرين منكم ،

(★) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٢٩ من شوال سنة ١٤١٤هـ الموافق ١٠ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤م

(١) انظر الملحق الأول (أ و ب) في آخر هذا البحث .

شرفُ وواجبُ حضورها فى الرباط وتونس والقاهرة وعمّان ، والمشاركة بمداولاتها . وهكذا فإن الحديث فى هذا الموضوع بكلا محوريه لابُدّ أن يأتى فى الكثير منه ، أو فى بعضه على الأقل ، على إعادة لما سلف أن قُلْناه أو قُلتُموه أو سيقولُه سواى من الزملاء فى مؤتمرنا الجامع هذا ، أو سيقولهُ آخرون فى مؤتمرات وندوات تالية لاحقا .

لكن هذا الموضوع هو من الأهمية بمكان ، حتى إن مللَ الإعادة منه لاينبغى أن يمنعَنا من تكرار الحديث فيه - أو لعله كما يقولون :

ما كلُّ معادٍ مُمِلٌ ، ولا كل مُعيدٍ مخِل .

يقول ابن جِنّى : « إن اللغةَ أصواتٌ يعبر بها كُلُّ قوم عن أغراضهم » . هذا القول صحيح ، لكنه بحاجة إلى توسيع . فليست اللغة أداة للتعبير فقط ، ولا هى وسيلة الفكر ووعاؤه فحسب ، إنها بعضُ الفكر وأداتُه ، بل لعلها كما يقولُ بعضُهم هى الفِكرُ بذاته .

وإذا كانت مقولة هِربارْت(1) وأتباعه من فلاسفة التربية وعلم النفس التربوى فى أن المعلومات التى يكتسبُها الإنسانُ ، فى سنواته الأولى الأربع بخاصة ، تؤلِّف كتلة الاستيعاب التى تكون قد تنشّأتْ قبل دُخوله المدرسة ، وأن تعلُّم أى معلومةٍ لاحقا لابد أن تتمثّلهُ كتلةُ الاستيعاب تلك ، تفهُّماً وقبولاً ، فتتنامى بها ؛ إذا كانت هذه المقولة صحيحةً!، وأنا أشارك القائلين بذلك ، فإن مقولةَ « إن اللغة هى الفِكرُ وأداتُه » صحيحة أيضاً .

وهذا يفسِّر كون أن يتعلّمَ الإنسانُ الأساسياتِ العلمية والرياضيةَ وسواها بلُغته الأم أمرا بديهيًا عند جميع الناس فى كُلِّ أنحاء العالم إلا - للأسف - ، عندنا فى مختلف أرجاء العالم العربى .

الدكتور إسحق الفرحان عضو مجمع اللغة العربية الأردنى يروى أنه كان بصُحبة وزير التربية الأردنى يحضُران حفلاً للسفارة الكُورية فى عمّان ، فسأل وزيرُ التربيةِ السفيرَ الكورى : بأىِّ لُغةٍ تدرسون الطب والهندسة والعلوم فى بِلادِكم ؟ فلم يُجِبْه السفير . ولما كرَّرتُ أنا السؤال ، يقول الدكتور ، نظرَ إلىَّ السفير قائلا : « وهل هذا سؤالٌ يُسألُ ؟ بالكوريّة ، طبعًا » .

السفير الكورى ربُما كان جافىَ الرد ، ولكنه كان مُحِقًا فى اعتبار أنه من السُّخف أن يُعَلَّمَ

(1) الفيلسوف الألمانى جوهان فردريك هربارت ١٧٧٦ - ١٨٤١

الناسُ مـوادَّ العلوم أو يتـعلّمـوهـا فى بلادهم بغير لغتهم القومية .

هذا فى بلاد الناس ، أمّـــا فى بلادنا فـموضـوع تعليم العلوم بغـيـر العربيـة لايزال مجال أخذ وردٍّ ، ونقاشاً يصل أحيانا إلى حد المُشـاقّة - حتى لنرى أنه كلّما قاربت حركات التعريب النجاحَ أو كادت ، سرعان ما تنشَط حـركـات التـغـريب فى الانقـضـاض عليـهـا وعرقلتها أو حتى إجهاضها . والأمثلة على ذلك فى مـشرق العـالم العربى ومـغـربه غـيـرُ خـافـيـة عن اطلاع حضـراتكم . فلكأنّ ذلك يذكّرنا بالحروب المعلنة وغير المعلنة التى كانت تُشنُّ على اللغـة العربيـة من قِبَل سيـاسـات التجهيل والاستعمار والانتداب .

لقد كـان المنتـدبون والمستـعمرون يرون فى اللغـة العربيـة ، لغـةِ الدين والتراث والتـاريخ المشـتـرك ، عـاملَ توحيـد فى الوطن العـربى يَقُضُّ مضاجعَهم ، فبذلوا ما فى وسعهم لمحاربة هذا العنصر بشتى الطرق - مستغلّين خلافاتنا الجـاهليـةَ وانتـمـاءاتنا القَـبَليَّـة والعـرقـيـة والطائفية ، والمذهبية ، ونحن مسوقون ندرى ولا ندرى .

ولا ننكر أنهم حققوا الكثير من مبتغاهم حين أفـتـوا ، ونفـذوا فـتـواهم كَـرهـا ، بعـدم صلاحيـة اللغـة العربيـة لأن تكون لغـة العلم والحضاريات التِّقانية المعاصرة ؛ وقرنوا هذه ، مع المكانة الاجتماعيـة وإمكانيـات الرفاه ، باللغـة الأجنبيـة . واستطاعوا بفعل الإشراط النفسانى وطول الممارسة أن يؤصِّلوا فينا مركب النقص لتقبُّل هذا الواقع الشاذ كأمر طبيعى ، بقوة الاستمرار .

وهم طبعـا مـا نفذوا إلا مـا أملَتْه مبـادئ السياسات المتعارفة فى إخضاع الشعوب عن طريق قهرهم وإذلالهم بإذلال تراثهم وتقاليدهم وإضعاف لغاتهم القومية وحجبها عن دورها الطبيعى الاجتماعى والحضارى .

نحن اليـوم - حـمـداً لله - تخلصنا من الاستعمار ، لكنَّ بلوانا به باقيةٌ - ليس فقط بالغـرس السـرطانى الوبيل الذى أنشـبـه فى كياننا قبل رحيله، وغذّاه ونمّاه فيما بعدُ فقط ، بل أيضا بترسُّبات تلك السياسات المسمومة الشرسة التى مافتئت فاعلة فى ثنايانا كامنة أو ظاهرةً ، عن قصد أو عن غير قصد .

هذه الترسُّبات ، فى يقينى ، هى المسؤولة عن حركـات الرِّدة التى تعرفون ، والتى يحقُّ فيها أن تقاوم باليد واللسان والقلب .

حُجَجُ المرتدِّين عن التعريب ، كما هى حجج معارضيه ، تتلخص دَوماً فى ناحيتين :

أولاهما : أن اللغة العربية تُقيِّد التطورَ العلمى والحضارى وتقف حجر عَشْرةٍ فى سبيلهما ،

وثانيتهما : أن إتقان لغةٍ أجنبية ، هو فى عالمنا المعاصر ، ضرورى لإبقاء التواصل الحضارى مع العالم حولنا بتقنياته وإنجازاته . وهذه الناحية لاخلاف واقعيًا فيها ، إنما هى فى حقيقة الأمر قضيةُ حقٍّ أُريد بها باطل . وسأعود إلى هذه الناحية لاحقا فى حديثى ، لأتناول الناحية الأولى قبلا .

علماء اللغات متّفقون على أن اللغة ، أىّ لغةٍ ، بوصفها مؤسسة بشرية لخدمة الفكر ، لايمكن أن تكون عاجزة عن ذلك - إذا كان هذا الفكر ناشطا ومبدعا . والبراهين على مقولتهم هذه بيِّنة بارزة حوالَيْنا كما فى أقاصى المعمورة وأواسطها .

وإذا كان هذا يصح فى أى لغة ، فإنه بالأحرى يصحُّ فى لغة الأدب والتراث الخالدَيْن - فى اللغة العربية ، المتميِّزة بين اللغات بخصائصها الذاتية وقابليتها المرنة للنمو والتطور ، الفذة بلاغةً وفصاحة وقدرةً على التعبير - مما أهَّلها لأن ينزل بها ذكر الله الحكيم . كما أهَّلها بجدارة لتكون لغة العلم والحضارة الإنسانية فى العصور الوسطى . فبواسطتها تعرَّف العالم الغربى ، عن طريق نَقلتِها إلى اللاتينية ، علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها .

اللغة العربية لاينقصها خصائص اللغة العلمية ولا مقوماتُها . والذين يتهمون العربية بالعجز عن مجاراة التطورات الحضارية العلمية إنما يعترفون بعجزهِم هُم ، وبعجزنا نحن أو غالبيِّتنا فى دنيا العرب .

أيام صدقت النية وشمخت المعنويات ، عامرةً بالثقة والإيمان ، لم يجبن السلف أمام تيارات الحضارة اليونانية والفارسية والهندية فأخذوا وأعطوا وعرَّبوا وترجموا وألفوا وأبدعوا ؛ وانطاعت لهم العربيَّة فكان لهم جامعاتُهم فى بغداد وفاس وقرطبة والقاهرة ودمشق وتونس .

ويروى المؤرخ الفرنسى « بريفو » فى كتابه « تكوين البشرية فى القرن التاسع » كيف أن العديد من المسيحيين أخذوا العلم عن عُلماءِ

سلام ، وأن الكثير ممن بهرتهم الحضارة
ربية والإسلامية والعلم العربى أقبلوا على
ربية يتعلمونها ويستخدمونها فى مكاتباتهم
حادثاتهم مؤثرين إياها على اللاتينية . وقد
تب أسقف قرطبة شاكيا من ذلك يقول : إن
غة العربية فتنتنا بعذوبة ألفاظها وبلاغة
شائها حتى لا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب
قدسةً باللاتينية . وشبابُنا الأذكياء جميعا
يعرفون غير لغة العرب وآدابهم - وكلّما
أوا كُتبها ودرسوا آدابها ازدادوا إعجابا بها .
إذا حدّثتَهم عن كتاب من الكتب اللاتينية
خروا منه ، وقالوا إن الفائدة منه لاتساوى
تعب فى قراءته . وهكذا نسى المسيحيون
نتهم وجهلوا كتابتها وبلاغتها وحذقوا اللسان
عربيَّ حتى ليكتبونه نثرا ونظما بأسلوب أنيق
فوقون فيه العربَ أحيانا . ويروى الأستاذ
ريفو عن رئيس دير كلونى أنه كان يشاهد
ثناء إقامته فى الأندلس إقبال الطلبة من
رنسا وألمانيا وإنكلترا على مراكز العلم
لعربية فيبدى أسفه لتلك الظاهرة(١) .

والأدلة على المكانة العلمية للغة العربية حينئذ لاتُعوزنا - فهناك مئات الألفاظ فى الفلك والكيمياء والطب والجغرافيا والرياضيات التى أخذتها اللغات العلمية عنها ، وهناك أيضا ماحفظتْه لنا خزانة قرطبة ذات الستمائة ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون والآداب - من بينها مؤلفات ظلت تدرس فى جامعات أوروبا طوال عدة قرون . وليس عن عبث قول المستشرق الفرنسى ماسينيون : « إن المنهاج العلميَّ قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ، ومن خلال العربية فى الحضارة الأوروبية »(٢) .

ثم دارت على العرب والعربية الدوائر ، فركد العلم وخمد البحث العلمى فى دنيانا طوال عصر الانحطاط المديد فركدت اللغة العربية وخمدت .

العجز الذى يعزونه إلى اللغة العربية إذن ليس فى العربية بل فى أهلها اليوم ، فى بيئة الجمود والاتكالية الغيبية والكسل العقلى والانهزاميّة والقصور ، التى سادت نتيجةً

(١) د . محمد السوسى - محاضرة فى المجلس العلمى للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، تونس ، ديسمبر ١٩٨٤

(٢) د . مناف مهدى محمد - اللسان العربى ، العدد ٣٠

لسياسات القهر والتجهيل طوال عهود الظلمة والانحطاط، قُبيل السيطرة العثمانية وخلالها، ثم استمرت بعدها، بدرجات وأشكال متباينة متفاوتة في مختلف أرجاء الوطن العربي، بفضل المخططات الغربية الخبيثة السلسة الاندساس حينًا والشرسة أحيانا. ولم تنجُ حركة تعريب العلوم وتعريب التعليم إجمالا، منذ فواتحها، من بعض هذه المخططات.

فمع بدايات عصر النهضة العربية الحديثة أوائل القرن الماضي انطلقت العربية تأخذ طريقها مُجدِّدًا إلى دنيا العلوم والحضارة الحديثة. وكان طبيعيا أن تتخذ مدارس محمد علي القاهرية منذ تأسيسها عام ١٨٢٥، في الطبِّ والهندسة والزراعة والعسكريات، اللغةَ العربية وسيلةً لها في تعليم المناهج على كلِّ المستويات - مُدْعَمة بمدرسة الألسن وجهود المبعوثين في مختلف فروع العلم.

وكذلك كانت الحال في الكلية السوريَّة الإنجيليَّة (الجامعة الأمريكية في بيروت لاحقا) أواسطَ القرن الماضي أيضاً، حيث كانت مؤلفات المستشرقين الأمريكان، من أمثال كرنيلوس فانْدَيك ويوحنا ورُتبات وجورج بوست، بمعاونة أساتذتهم العرب من أمثال بطرس البستاني واليازجيين ناصيف وإبراهيم ويوسف الأسير وأحمد فارس الشدياق، تغطِّي برامج الدراسة في علوم الطب والفيزياء (الفلسفة الطبيعية حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك وسواها بلغة عربية سليمة ومستوى علمي جيد[1]. ولم يكن يخطر ببال رواد النهضة الحديثة، عربًا أو أجانب من المخلصين، التدريسُ بغير العربيَّة - تطبيقا لمنطق علمي براغماتيٍّ بسيط مازال هو المنطق العمليَّ الصحيح اليوم كما سيكون غداً.

ورافق ذاكَ الانتعاشَ للُغة العربيَّة إصداراتٌ جديدةٌ للمعاجم العربيَّة التُّراثية الشهيرة كمختار الصحاح (١٨٧٠) والقاموس المحيط (١٨٧٢)، الذي كان جُدِّدٌ على يد المعلِّم بطرس البستاني ونُشِر مطوَّلاً ومختصرا (١٨٧٠)، ولسان العرب وأساس البلاغة (١٨٨٢) وتاج العروس (١٨٨٩) وغيرها.

---

(١) والذين يؤرخون للنهضة العلمية في هذا العصر يذكرون بالخير جهود محمود قباني ومكتب العلوم العربيَّة الذي أنشأه أحمد باي أواسط القرن التاسع عشر في تونس قبل أن يحتلَّها الفرنسيون عام ١٨٨١

وقد كان يُرجى للُغة العربيَّة فى هذا العهد أن تبلغ أعلى درجات الرُّقى لو أُتيح لها أن تكون وتستمرَّ لسان حال النهضة العلميَّة العصريَّة . لكنَّ سياساتِ الغرب الاستعماريةَ ماكانت تخطِّط لمثل هذا الانتعاش فى مسيرة اللغة العربيَّة - وقد أخذت تستوعبُ أسباب الحضارة ومتطلَّباتها العلمية بنجاح فى القاهرة وبيروت . فما أن ثبَّت الاجتياحُ البريطانى أقدامه فى مصرَ حتى عرقلَ هذه المسيرةَ - أولا بتحويل التدريس فى مدرسة الطبِّ إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧ (بعد سبعة عقود من الإنجازات ، ليس أقلَّها مصطلحيا قاموسُ الشذور الذهبية الذى تَرجم قاموسَ القواميس الطبيَّة الفرنسى لفابر - الشامل فى مجلداته الثمانية كامل مصطلحات العلوم الطبية المعروفة حينئذٍ ، ولا أقلَّها طبيا اكتشافُ أحد مدرسيها(١) جرثومةَ البلهارسيا) . ثُمَّ أكمل البريطانيون إجهاض المسيرة تلك ثانيا ، بقرار عامٍ عامَ ١٨٨٩ بأن تكون لغةُ التعليم فى مختلف المعاهد المصرية اللغةَ الإنكليزية . فأُغلِقت مدرسة الألسُن ، ونُفى رفاعة الطهطاوى ومؤيدوه إلى السُّودان ، ووُجِّهت البَعَثاتُ إلى إنكلترا (بدل فرنسا وإيطاليا) .

وما هو إلاَّ عامٌ أو بضعةٌ ، حتى حذا الأمريكيون فى الكلية السورية الإنجيلية حذو البريطانيين ، فتحوَّل التدريس فيها ، للأسف ، من العربية إلى الإنكليزية بدءًا من العام ١٨٩٠ (بعد حوالى ربع قرن من تدريس الطب والصيدلة والعلوم الطبيعيَّة الأخرى فيها باللغةِ العربية بمستوًى راقٍ مرموق) .

وهكذا حرمت اللغةُ العربيَّة من فرصتها الذهبيَّة وغُرِست بذور الشكِّ والرِّيبة فى نفوس أبناء العربيَّة بِلُغَتهم - بأهمِّ مقوِّمات أصالتهم وحضارتهم . وفى يقين الكثيرين ، ويقينى ، أنه لو استمرَّت جهود معاهد العلوم الطبيَّة والهندسيةِ والزراعيةِ وسواها فى القاهرة ، لتتضافر مع جهود العاملين فى الكلية السورية الإنجيليَّة بمختلف فروعها ، معزَّزةً بجهود الميامين من رجال المعهد الطبى فى دمشق الذين حولُوا ، بنجاح مشهود ، لغة التدريس فى ذلك المعهد من التركيَّة إلى العربيَّة عام ١٩١٩ ، أقول : لو تمَّ لهذه الجهود أن تتضافر لكان حالُ العربية اليومَ غيرَ ما هو عليه اليوم ، ولكنَّنا تجاوزنا منذ أجيالٍ تلك الحلقة المفرغة التى مازلنا فيها نحُومُ وندُور .

---

(١) الطبيب الألمانى تيودور بلهارس عام ١٨٥١

خِيارُ تعليم العلوم بلُغة أجنبيَّةٍ ماكان خَيَرَةً عربيَّة ، لا فى مشرق العالم العربى ولا فى مَغربه . بل إنَّ رافضى هذا الخيار ، ما فتئوا يُعارضونه منذ تنفيذه . وانتفاضة الدكتور كرنيليوس فانديك ، أحد أركان مدرسة الطبِّ فى الكلية السورية الإنجيلية ، بالاستقالة ، ومتابعته تدريس فريق الطلاب الذى انسحبَ معه إثر تطبيق قرار التحوُّل ، أبلغُ دليل على ذلك ، حتى لدى المخلصين من الأجانب .

كذلك نذكر حملةَ فريق من طُلاَّب الكليَّةِ نفسها ومتخرجيها الغيورين عام ١٩٢٠ بهدف إرجاع لغة التدريس فى الكلية (الجامعة الأمريكية فى بيروت حينئذ) إلى العربية ، وتأييد العديد من الصحف وقادةِ الرأى البارزين فى المَشرق العربى لتلك الحملة(*) . فإثر نشوة الحماس العاطفىِّ والثقافى والقومى التى واكبت تحويل لغة التدريس من التركية إلى العربية فى المعهد الطبى بدمشق إثر انهيار الحُكم العثمانى ، قامت حملةُ الطلاب ومؤيديهم لتستمرَّ قُرابة ثلاث سنوات مردِّدَةً مطلب التعريب ، معتبرين أن الكلية (الجامعة) اغتصبت حقوق الشعوب العربيَّة بإحلال اللغة الإنكليزية محل العربية كلغة تدريس ، مما أدى إلى تخلف اللغة العربية ، فقلَّت فيها المؤلفات فى الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية بعد أن زهت فى العقد الثامن من القرن الماضى .

وقد شغل موضوعُ التعريب فى تلك الحِقْبَة الكثير من صفحات المجلاَّت المعروفة كالهلال والمقتطف والمشرق والنشرة الأسبوعية ومجلة الكلية وغيرها . وأُدرجُ فيما يَلى موجز مقال لكاتب معروف فى إحدى هذه المجلات حول موضوع « تدريس العلوم بالعربية » يُبيِّنُ أهداف حملة التعريب تلك ومبرِّراتها . يقول الكاتب :

١ - إن فى العَود إلى التعليم باللغة العربيَّة وهى لغة البلاد عود إلى الخُطة الطبيعيَّة والقاعدة العامة .

٢ - هذا العَود ضرورةٌ يدعو إليها التطور القومىُّ والسياسى الذى بلغته هذه البلاد ، وتقتضيه النهضةُ الأدبيةُ والعلمية العامة فى مصر وسوريا والعراق .

(*) من بينهم خليل مطران ومصطفى الرافعى ومحمد كرد على وجبران خليل جبران وعيسى المعلوف وأنطون الجميل وأمين واصف وغيرهم .

٣ - إنّه واجبٌ وطنيٌّ أيضا ؛ لأن تعميم التعليم باللغة العربيّة يمكّن روابط القومية بين أبنائها .

٤ - في العودة إلى التعليم باللغة العربية ثراء تزداد به اللغة العربيّة غنىً ونمواً .

٥ - التعريبُ يُسهّلُ تناول العلم ، ويُوسّعُ مجال التعليم والتأليف أمام أبناء هذه البلاد ، فيستفيد التلميذُ والأستاذ والمؤلّفُ والطابعُ والناشِر .

٦ - إن العقبات التى كان يُقالُ باعتراضها سبيل التعليم باللغة العربيّة ممكنٌ التغلّب عليها ؛ فقد تيسَّرَ ذلك للأتراك مع أن لغتهم أحدثُ عهداً بالعلوم من اللغة العربية ودونها فى غزارة المادة(١) .

ورداً على هذه الحملات ألقى الدكتور وليم فانديك ، من أساتذة الجامعة ، مُؤيّداً من عمدتها ، خطابا فى مُنتدى الكلية قال فيه : « إنّ تغيير لُغة التدريس إلى اللغة العربية صعبٌ ؛ ولكنّه ممكن » . وقد عدّدَ الدكتور فانْدَيك فى خطابه الأضرارَ التى يجلبها على الطلبة التعليم بالإنكليزيّة ، فكان منها « إنّك قلّما تجد طالباً فى الجامعة يتكلّم العربيّة دون أن يمزُج معظم كلامه بالألفاظ الإنكليزيّة » . ثم أتى حضرته على ذِكر الصعوبات التى ارتأى أنّه ينبغى التغلبُ عليها قبل تحقيق تغيير التدريس إلى العربيّة ، فكان أهمُّها التالية :

١ - صعوبةُ ترجمة الألفاظ والمصطلحات العلمية إلى اللغة العربية .

٢ - قلة الكتب والمؤلفات فى اللغة العربيّة بحيثُ يتعذّر على الطالب المطالعة والتوسع والوقوف على الاختبارات الحديثة .

٣ - صعوبة اللغة العربيّة على الأمريكيين وعدم إمكانهم إتقانُها بوقتٍ قصير ، وقلّة وجود الوطنيين الأكفاء ليقوموا بأعباء وظائفهم .

هذا يا سادتى موقف جامعةِ اللغةُ القوميّةُ لعُمدتها وغالبية أساتذتها هى اللغة الأجنبية . تعريبُ العلوم وتعريبُ تعليم العلوم ضروريٌ ومُمكن فى أعلى مستوياته . والصعوبات التى يحدِّدها الناطق بلسان تلك الجامعة ماعاد معظمُها يؤلّف عائقاً بالقدر الذى كان يصِحُّ فيه ، فى حينه ، قبل سبعين عاماً .

(١) انظر هذا المقال فى الملحق الثانى فى هذا البحث .

فماذا ياتُرى يقول ، فى تحدِّى هذه الصعوبات ، عُمداءُ وعُمَدُ جامعاتنا السبعين اليوم ، ومعظمها يدرس مواد العلوم المختلفة ، وحتى مواد العلوم الإنسانيَّة فى بعضها ، بغير العربيَّة ؟ فى حين تنص دساتير معظم هذه الجامعات على أن لغة التدريس هى العربية إلا فى حالات معينة استثناءً ؛ وفى حين تؤكد كل مؤتمرات خبراء التعليم والمجامع ومؤتمرات الوزراء المسئولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى ضرورةَ الخروج من الحلقة المفْرَغة والبدء بتنفيذ التعريب فى مختلف ميادين العلوم وعلى كلِّ المستويات .

اللغة العربية باعتراف العالم أجمعَ ، هى اللغة الرسمية الدولية السادسة - إنْ كان فى مجلس الأمن أو فى المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم أو فى هيئة الأمم المتحدة ومختلِف وكالاتها . لكنها للأسف فى وطنها - فى غالبيَّة معاهد التعليم العالى بخاصةٍ ، فى أقطارنا العربية ، هى اللغة الرسميَّة اسمًا والدُّونُ فعلا ، فى أهم مجالٍ حياتىٍّ حضارىٍّ لدينا .

كيف لا والطالب عندنا يرى المواد الرئيسية فى مختلف العلوم وفروع الرياضيات تدرس باللغة الأجنبيَّة ، وأنَّه يتقدَّم للامتحانات الحاسمة فى مصيره باللغة الأجنبية ، وأن مستقبله العلمى والمهْنى والاجتماعى مرتبط باللغة الأجنبية . الواقع أن هذا الموقف لا يقتصرُ على الطالب وحده ، فهو إلى حدٍّ تأصَّل فى لاوعى الأهل - ولا نبرِّئُ أنفسنا - وأحيانا حتى فى لا وعى الأساتذة وإدارات التعليم فى الكثير من القطاعات .

أليس مؤسفا ومُذِلاً أن الأكثر من عشرين بلداً من بلاد العرب ، مفردةً ومجتمعةً ، تتعاجز عن تجاوز صعوبات موهومةٍ فى معظمها - فى حين نجح فى تجاوزها قُرابةَ المئتى بلدٍ فى عالمنا اليوم - عدد سكان الكثير منها لا يتجاوز بضعة ملايين ؟

يقولون إن التعليمَ باللغة العربية سيكون على حساب العلم والمستوى العلمى - والبعضُ يصدقونهم .

قالوا هكذا عن تعليم العلوم باللغة العربية فى المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . ثم طُبِّق تعريب هذه المواد فى مختلف هذه المراحل فى غالبيَّة أقطار الوطن العربى ، ولم ينخفض مستوى تعليم العلوم بسبب ذلك ، لا فى مصر وسوريا والعراق ولا فى تونس

والجزائر . الثابت أنه فى محاولة تعريب العلوم فى الجامعات الأردنية التى رعاها مجمعُ اللغة العربية الأردنى ، أظهرت امتحانات الطلبة أن نسبة الرُّسوب ، بين طلبة السنة الجامعية الأولى ، الذين درسوا كتاب علم الأحياء (البيولوجية) بالإنكليزية ، انخفضت من ٢٦٪ إلى ٤٪ بين طلبة السنة الجامعية الأولى التالية الذين درسوا الكتاب نفسه بالعربيَّة - مغطِّين مادة أوسعَ وبصورةٍ أعمقَ وأدق . وأن تحصيل الطلبة العلمىَّ فى مادة الكهرومغناطيسية ارتفع بين دارسى المادة بالعربية إلى ٨٧٪ ، بينما لم يكن يتجاوز ٥٠٪ عندما كانت المادة تُدرَّسُ باللغة الإنكليزية(١) .

وأذكر أنه فى حركة تعريب العلوم فى المرحلة الإعدادية التى طبَّقتها مدارس جمعية المقاصد الإسلامية فى لبنان أثبتت الاختبارات أن الطلاب الذين تحولوا إلى الإنكليزية فى المرحلة الثانوية كانوا أكثر إلماما بشكل ملحوظ بالمفاهيم العلمية والرياضية من سواهم(٢) ، كما أن مشكلة التعبير باللغة الأجنبية ومتابعة الدروس بتلك المواد فيها ، فى أيامهم الأولى ، لم تؤثِّر على مستوى أولئك الطلبة واستيعابهم . حتى إن الإدارة لحظت أن الأسبوع الذى خُصِّص لتمهيد ذلك بدراسة نصوص فى اللغة الأجنبية من العلوم والرياضيات لم تكن الحاجة له مُلحَّة(٣) .

وقالوا إن تدريس العلوم والرياضيات فى المرحلة الثانوية باللغة العربية يُعيقُ الدارس لاحقا عن متابعة الدراسة بلغة أجنبية .

وقد ثبت بطلان ذلك منذ بضعة عقود فى دراسةٍ حول خلفية الطلاب المتميزين فى السنتين الأوليَين فى الجامعة الأمريكية على مدى نصف قرن ، فقد كشفت الدراسة تفوُّقا عاما ملحوظا للطلاب من بلد عربى ما كانت مدارسه الثانوية فى غالبيتها تعتمد اللغة الإنكليزية كلغة التدريس فى مواد العلوم والرياضيات . واللافتُ أن مستوى أولئك الطلبة فى اللغة الإنكليزية كان أفضل عموما من مستوى القادمين من مدارس تعتمد

---

(١) د . عبد الكريم خليفة - اللغة العربية والتعريب ، ص ١٤٧ - ١٧٠ تجربة مجمع اللغة العربية الأردنى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى .

(٢) محاضرة مدير مركز إعداد المعلمين لجمعية المقاصد الخيرية فى بيروت الأستاذ كامل شاهين .

(٣) المصدر نفسه .

الإنكليزية أو الفرنسية فى تدريس تلك المواد[1] .

كذلك ثبت بطلان هذه المقولة فى إنجازات الأطباء السُّوريِّين الذين يتابعون دراساتهم فى الخارج ، وفى المؤتمرات التى يعقدُها هؤلاء الأطباء (المقيمون منهم والمُغتَربون) فى دمشق دوريًا كلَّ عام .

إن الدراسة العلمية باللغة القومية ، ماكانت أبدا عقبةً أمام متابعة التخصص الجامعى - وإلا كيف نفسر إنجازات الطلاب الألمان أو الطليان أو الصينيين أو المجريين أو سواهم ممن يتابعون دراساتهم فى أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا ! ؛ حتى الذين يجهلون اللغة - لغة التخصص ، فإن إعدادهم لذلك لا يستغرق عادة أكثر من سنة .

ويقولون فى معارضة تعريب العلوم إن تدريس العلوم بلغة أجنبية ضروريٌّ لرفع مستوى أولئكم الطلبة[2] فيها . ويحتجُّون بأن التعريب يَحرِم الطالب من التواصل المستمر مع مصادر تخصصه . وهذا مردود . فالتعريب لا يعنى بحال من الأحوال إهمالَ اللغة الأجنبية ؛ بل على العكس ، التعريب ، وبخاصة تعريب العلوم ، يفترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب ، كما على الأساتذة . فمهما قلنا فى ثراء العربية وطاقاتها وإمكاناتها الهائلة ، فلا أحد يجهل أو يُغفِل البَون الشاسع بين ما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة وتِقاناتها ، وما حققنا نحن أو عرَّبناهُ حتى اليوم من هذه العلوم . إن تعزيز اللغات الأجنبيَّة فى مراحل التعليم المختلفة ، الثانوية والعالية ، وإتقانَ العالِم العربى لغة أجنبيَّةً واحدةً ، على الأقلَّ ، من اللغات العالمية بمستوى رفيع ضرورةٌ يقتضيها ويفرضها تعريب العلوم . إن إتقان العالِم لغة عالميَّةً أخرى إلى جانب لغته ، حتى فى بلدان العالم المتطوِّرة ، يكاد يكون هو القاعدة . فلا أعتقد أنك تجد عالما فرنسيًا أو ألمانيًا أو روسيًا أو يابانيا فى الفيزياء مثلاً ، يجهلُ الإنكليزية . إن كل عالم من هؤلاء يدرس اختصاصه بلغته ، لكنَّ اللغة الأجنبيَّة هى سبيله إلى التواصل

---

(١) كاتب هذه السطور ينتمى إلى هذه الفئة من الطلاب .

(٢) وأعجب العجب أن لا مانع لديهم أن يطلب من خريجى جامعات غير انكليزية (فرنسية أو ألمانية أو ايطالية أو روسية الخ) التعليم بالانكليزية لرفع مستوى الطلاب فى تلك اللغة .

مع نظائره من العلماء ، وإلى متابعة دوريات العلم فى البُلدان المتطوِّرة فى مجال اختصاصه .

وخيراً فعلتْ اللجنة العليا للتعريب فى جامعة الخرطوم ، حسبما أخبرَنا رئيسُها الدكتور عبد العزيز إبراهيم ، حين عزَّزت التحول من التدريس باللغة الإنكليزية إلى العربية بتقوية ملكة الطلاب فى كلتا اللغتين بواقع ساعتين فى الأسبوع لكل لغة على مدار العام الدراسى ، وعلى مدى الأربعة الأعوام الأولى فى كل تخصص(١) .

القائلون بالتعريب ليسوا ضد تعزيز تعليم اللغة الأجنبية – إنما هم يعترضون بشدة على إحلال اللغة الأجنبية محلَّ العربية كلغة لتعليم العلوم . فكما يَفترض التعريبُ أن يمارس المهندس أو الطبيب أو الزراعى أو حتى الجيولوجى مهنَته على الناس ، وللناس باللغة القومية ، رابطتِه بهم ووسيلةِ تفاهمه معهم ، فإن نجاح مسيرة التعريب واستمراريتَها يتطلبان أن يكون هذا المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعى ضليعا بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الركب العلمى فى تخصصه والوقوف على آخر ماتوصل إليه زملاؤه العلماء فى العالم من حوله ، فلا تحصل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما يتمُّ بعد تخرجه كممارس .

إن الحاجة إلى إتقان لغة أجنبية عالمية معاصرة هى اليوم مطلب تربوى أساسى لكل مثقَّف عربى أو غير عربى، عالِم أو غير عالم . لكن هذا لا يفترض ولا يتطلَّب اعتماد اللغة الأجنبية تلك كلغة لمختلف دراساتهم الأساسية . اللغة الإنكليزية ، مثلا ، كما ألمحتُ سالفا ، هى اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسى والألمانى والروسى واليابانى والكورى وأى عالم من أى قومية كان ، فلماذا يا تُرى لم تُطرَح مسألة اعتماد اللغة الإنكليزية فى تدريس مواد العلوم فى أىٍّ من هذه البلاد ؟

ما أثبتته الدراسات التربوية واللسانية فى بُلدان العالم المتقدِّم يؤكد أن التحسين فى مستوى اللغة الأجنبية يرتبط وثيقا بكفاءة المعلمين وصلاحيَّة المناهج والوسائل التعليمية والمدرسية التى تتناول ذلك ، لا بتعليم العلوم أو تعليم الرياضيات بها .

---

(١) حديث حول مسيرة التعريب فى جامعة الخرطوم – للدكتور عبد العزيز الطيب إبراهيم فى ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربى وسبل إشاعة المصطلح الموحد» عمان (أيلول ١٩٩٣) .

ويحتجُّ معارضو تعريب العلوم أيضاً بعدم توافر الكتب والدوريات والمصطلحات العلمية وبضرورة توافر هذه المستلزمات قبل بدايات التعريب . وخبرةُ الأقوام كلِّهم ، وخِبرتُنا فى بدايات عصر النهضة ، تؤكد أن هذه كلَّها تأتى بالطريقة المثلى مزامنةً ومواكبة التعريب لا قبله . إذ لايمكن توافر الكتب والدوريات والمراجع العلمية العربية مادام تعليم العلوم يجرى بلغة أجنبية . اسألوا أعضاء مجلس كلية طب جامعة القاهرة أين أضحت كتب تعليم الطب التى وُضِعت بالعربية إثر العدوان الثلاثى على مصر للسنوات الأولى والثانية والثالثة ، فلم يُستَعملْ منها إلا كتب السنة الأولى لِفَترة لم تطُل . اسألوا مجمع اللغة العربية الأردنى ، وقد بذل جهوداً رصينة جبارة فى ترجمة وإعداد كتب علمية لم تجد من يُدرِّسها - رغم عرضها على مختلف جامعاتنا فى الوطن العربى ، اسألوا المركز الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية بالإسكندرية ، وقد أعدَّ كتبا قيمة فى الطب بإشراف نخبة من العلماء العرب ، فلم يتحمَّس ناشرٌ لإصدارها - وكلهم يتساءل معتذرا : « أنشرُها لمن ؟ » .

مشكلة الكتب والدوريات والمراجع ، والمصطلحات العلمية أيضا ، مشكلة واحدة مترابطة ؛ وهى فى الواقع مشكلة كل لغة وليست خاصة باللغة العربية . وإلا ماذا كان يقول الكورى والألبانى والبُلغارى واليوغسلافى والإيرانى والتركى والخمسون ثقافة التى كانت تؤلِّف الاتحاد السوفيتى - وكلُّهم طبقوا توطين العلوم واستنباتها بلغاتهم القومية بإمكانات لغوية ومادِّية وبشرية تتقزَّم أمام الإمكانات اللغوية والمادية والبشرية العربية .

تعريب العلوم صعب ، لكنه ممكن - ممكن إذا توافر له العزم والنوايا الصادقة والثِّقة بالنفس والهمم المؤمنة القعساء . هكذا تم تعريب العلوم من فيزياء وكيمياءَ ونبات وحيوان وطب وصيدلة فى مدرسة الطب فى (أبو زعبل) ثم فى قصر العينى بكتب ، يقول مقرر لجنة المعجم الطبى الموحد[1] ، تشهد بالمستوى العلمى الراقى الذى كان عليه ذلك التعليم ، والذى لم يكن ليَقِلَّ عن مثيله فى أى بلد من بلدان الغرب حينئذ .

أو كما توافرت فى الكلية السورية الإنجيلية حيث حققت كتب كرنيليوس فانديك

---

(١) الدكتور محمد هيثم الخياط ، فى محاضرة بعنوان « تعريب العلوم الطبية » ، الموسم الثقافى الثانى - منشورات مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٤

فى الكيمياء والطب والفيزياء وعلم الأمراض ، وكـتبُ يوحنا ورتبـات فى التـشـريح والفسيولوجية ، وكتب جورج پُوست فى النبات والجراحة والأقرباذين ، نجاحاً مرموقاً سبق أن أُلمِحَ إليه .

وطبعا لا ننْسى لَفْتَ المحتجِّين والمشككين إلى الإنجاز الرائع الحى المستمر الذى حققه ويحققه روادُ التعريب من أساتذة المعهد الطبى فى دمشق من أمثال مُرشِد خاطر وأحمد حمدى الخيَّاط وصلاح الدين الكواكبى وحسنى سبَح وخَلفِهم الأماجد ، فى تحدى صعوبات تعريب العلوم وتجاوزها .

وإذا أردنا العِبرة من خارج الوطن العربى ، فلنعتبر بما حققه اليابانيون ، وهم مزامنون لنا فى الصحوة الحضارية ، منذ انطلقت بعثاتهم إلى الغرب أواخرَ القرن الماضى (ولم تكن أمريكا تستقطب طالبى العلم حينئذ) فنقلوا العلم إلى اليابانية ، وحققوا بتوطينه واستنباته فى بيئتهم ، ما تعرفون من جبروت الحضارة اليابانية ، مع المحافظة على اللغة والتراث والكرامة .

وعذرا إن أنا استشهدت بالجامعة العبرية (وسائر الجامعات العبرية اليوم) التى راحت ، منذ بدأت ، تدرِّس مختلف مواد العلوم مُعَبْرَنَةً . عذراً لو قارنت إنجازات الجامعة العبرية فى القدس بشيلتها ، أعرَق جامعاتنا فى القاهرة ، التى قامت رسميا (بتسلم الدولة زمامها من مؤسسيها) فى الوقت نفسه تقريبا . وكم كنت أقمنى لو يطمَئنَنِّى أحد إلى أن إنجازات خريجى أعرق جامعاتنا هذه ، التى اتخذت (طوعاً أو كَرهاً) اللغةَ الإنكليزية لغةً لتدريس مختلف مواد العلوم منذ تأسيسها ، تُقارَن إيجابياً فى أى مجالٍ علمى أو تِقْنى أو طبى بإنجازات خريجى مزامنتها التى تدرس كل مواد العلوم والتُّقانات باللغة العبرية .

أيها الزملاء

مؤيدو تعريب العلوم لا ينكرون أن ما لدينا من مصطلحات ومن كتب ودوريات ومراجعَ علميةٍ قليلٌ ومحدود ، كما لا ينكرون أن المكتبة العربية بمجملها تشكو من نقص فى نتاج الفكر العالمى ، لا فى العلوم فقط ، بل فى شتى مجالات الثقافة . لكنهم يتساءلون ، أليس تقاعسنا عن عملية التعريب ومواكبة التطور العالمى المستمر ، وإغناءِ لغتنا بالترجمة

والتأليف ، أليس هذا التقاعس هو المسؤول عن هذا النقص ؟

الذين يطلبون توافر الكتب والمراجع والمصطلحات قبل التعريب يضعون العربة أمام الحصان ، ويقينى أنهم أدرى الناس بذلك .

لماذا إذن التقاعس عن تعريب العلوم ؟ بل لماذا التقاعس أمام تدريس العلوم معربة ؟ فالسؤالان فى الواقع مترابطان .

الأسباب الخفية لمعارضة حركة التعريب فى بعض العالم العربى تعود إلى عواملَ سياسيةٍ انتمائية - عِرقية أو طائفية الجذور ، لا مجال لإثارتها فى منتدى لغوى علمى ، لذا نتعرض فقط للأسباب الظاهرة العامة .

يُجمع العارفون ممن عايشوا محاولات التعريب أن السبب الأهم وراء فشل أو عرقلة إمكانية نجاح حركات تعريب العلوم كان ولا يزال موقف الهيئات التدريسية فى الجامعات العربية .

إن معظم جامعاتنا ومعاهدنا تعتمد فى إعداد هيئاتها التعليمية على خريجى الجامعات الأجنبية ، ممن تَبْتَعِثُهُم الدولة أو الجامعات ، أو الذين استطاعوا أو يستطيعون ذلك بوسائلهم الخاصة . وهؤلاء بحُكم القانون الطبيعى فى اختيار المسار الأسهل لايرحِّبون بالتعريب ، إن لم يعارضوه علنا ؛ لأن التدريس بالعربية سيتطلَّب منهم جهدا مضاعفا يتهيَّبونه . فالتعبير السليم باللغة العربية غير متَيسِّر لكثرتهم الكاثرة أولاً ، ثم إن التدريس بالعربية يقتضيهم جهداً إضافيا فى الإعداد والتفتيش عن المصطلحات أو وضعها ، وهم بهذا الجهد ضنينون !

وإلى مثل هؤلاء يشير الدكتور محمود السَّمرة نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى فى قوله : « ولو أنهم اقتداءً بالأشاوس ، رجال المعهد الطبى فى دمشق ، آمنوا أن التدريس بالعربية يعنى محافظة الأمة على شخصيتها وتراثها ، وأن أفراد الأمة لايمكن أن يبدعوا إلا من خلال لغتهم ، وأن الطالب لايمكن أن يستوعب المادة استيعاباً دقيقاً ، فى الوقت الأقل ، إلا من خلال لغته ، لهان عندهم أىُّ جهد يمكن أن يقدموه من أجل التعريب(١) .

ولا نستهين بسلبية موقف القلةٌ من أولئك الذين شُدِهوا بحضارة الغرب وتقنياته ، فتحول

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى - العدد المزدوج ١٥ ، ١٦ (١٩٨٢) .

انتماؤهم فكريا ، وربما عقائديا ، نحو الغرب . فإذا عُرِضت فكرة تعريب العلوم هزّوا رؤوسهم ونأوا بجانبهم غير مُكْتَرثين حينا ، وأحيانا ساخرين . هؤلاء تغرّبوا فنَسَوا مِشيتَهم ، وكنا نريدهم يتغربون ، لا كالغراب بل كالنحل يعودون إلى خلاياهم حاملين عسلا بما جَنَوا من رحيق تلك الثقافات .

يا سادتى هنالك ناحية ، ربما حَرِجة وجدلية ، لكنها أساسية فى موضوع العلوم تعريبا أو تغريبا ، يثيرها السؤال التالى :

هل إن مدرسى مختلف العلوم عندنا فى غالبيتهم ، وفى العالم العربى إجمالا ، يجيدون ، هم وطلابهم ، اللغةَ الأجنبية التى بها يُدَرِّسون ويَدرُسون ؟

أنا ، من خبرتى الشخصية ومطالعاتى ، أستطيع الإجابة عن هذا السؤال ، بالنسبة إلى اللغة الإنكليزية ، مع شئ من الجرأة والاعتذار ، بالنفى - على الأقل بالنسبة إلى الطلاب .

لقد اطّلعت خلال حياتى التعليمية وتجوالى فى بعض البلدان العربية على كتب طلاب (فى مراحل التعليم المختلفة) ممن يدرسون مواد تلك الكتب بالإنكليزية - من العلوم والرياضيات البسيطة حتى الطب والهندسة ، فوجدتها ، عند المجتهدين بخاصة ، تعجُّ بالمرادفات القاموسية العربية (غير الدقيقة أحيانا) بحيث تكاد تغطى أسطر الكتاب المطبوعة . والطالب المسكين لامناص له من ذلك إن اعتزم استيعاب مفاهيم تلك الأسطر . فالمفردة الواحدة إن جهل معناها ضاع مفهوم النص بكامله . هذا ، وليس خافيا أنه حتى لو عرَف الطالب كل المقابلات العربية لكل مفردات النص ، فإن عملية التعلم تظل تكتنفها الصعوبات - بالمقارنة مع عملية التعلُّم فيما لو كان الطالب يقرأ نصا بالعربية . وهذه الصعوبات تنعكس بالتالى نقصا فى قدرة الطالب على استيعاب مادة النص ؛ فلا يتيسرُ له التعبير عنها تعبيراً صحيحاً - لا بالإنكليزية ولا حتى بالعربية .

وقد اطلعتُ على نتائج دراسات أُجريَت فى جامعات بعض من الدول العربية ، حيث الانكليزية هى لغة التدريس ، تشير إلى أن خريجى الثانويات الذين يتقدمون إليها لايستطيعون ، على الأغلب ، متابعةَ دراساتِهم لأى موضوع بالإنكليزية ؛ وأن تحصيلهم فى اختبارات الكفاءة اللغوية لايؤهلهم لدخول

الجامعات الناطقة بالإنكليزية فى السنة الجامعية الأولى حيثُما كان .

وفى استفتاء للأساتذة فى إحدى جامعاتنا المشهورة حول تقييمهم لقدرات طلابهم فى مهارات اللغة الإنكليزية قيَّم ١٠٪ فقط منهم مقدرة طلابهم فى المحادثة بأنها جيدة أو جيدة جدا ، بينما قيَّم ١٤٪ منهم فقط مقدرة طلابهم الكتابية فى اللغة الإنكليزية بذلك المستوى . أما إن كان طلابهم قادرين على استيعاب مساقاتٍ باللغة الإنكليزية ، فقد اقتصرت نسبة ردود الأساتذة إيجاباً على ٥٣٪ فقط . وهذه جرأة مشكورة من الأساتذة فى جامعة ترى إدارتها فى استخدام الإنكليزية لغة تدريس ، مبعثاً للتفاخر والاعتزاز(١) .

هذا الوضع لعلَّه لايمثل كامل الصورة - فالجامعة التى أجريت فيها هذه الدراسة هى ذات مستوى جيدٍ عموماً . وقد خُطِّط لها حين أُسِّست أن تكون كمعهد مَسَّاشوستِس التِّقانى (MIT) فى الشرق الأوسط . فلاستكمال الصورة ، دعونى ألخص لكم حديثاً كان شافهنى به صاحبه ، ثم قرأته فى نص محاضرة له ألقاها فى مجمع اللغة العربية الأردنى بمناسبة موسمه الثقافى الثانى .

يقول سيادته :

« لقد دفعنى عملى الذى أضطلع به حالياً إلى الاطلاع عن كَثَب على تعليم الطب فى الجامعات المصرية (وسواها) فرأيت أستاذاً يستعمل لغة لايعرفها لينقُل العلم إلى طالب لايعرف هذه اللغة أيضا .

ويتابع حضرته :

« وأوراق الامتحانات التى اطَّلعتُ عليها فى بعض جامعاتنا التى تدرِّس بلغة أجنبية وينجح كاتبوها ، لو أنها كُتبت وصحِّحتْ فى البلد الأصلى لهذه اللغة الأجنبية ، لكان إعطاؤها واحدا على عشرة صَدَقة من الصدقات(٢) .

---

(١) يراجع فى هذا الصدد مبحث « لغة التعليم العالى فى الجامعات العربية ، دور الإنجليزية فى سياق التعرب » ، للدكتور محمد راجى الزغول والدكتور رياض فايز حسن ، مجلة مجمع اللغة العربى الأردنى العدد ٣٣ (١٩٨٧)

(٢) الدكتور محمد هيثم الخياط ، نائب مدير المكتب الإقليمى لشرق البحر المتوسط فى منظمة الصحة العالمية - « تعريب العلوم الطبية » ، الموسم الثقافى الثانى لمجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٤

وإلى مثل هذا أشار المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان فى سياق حديثه حول عودة كلية طب جامعة القاهرة عن التدريس بالعربية إلى التدريس باللغة الإنكليزية بقوله « وعادت الكتب الإنكليزية ، وعاد الأساتذة يلوُون ألسنتهم برطانة أعجمية لايفهم الطلاب أغلبها . والأدهى من ذلك أن كثيراً من المدرسين الجدد لايفهمون كثيراً منها أيضا ، ولكنهم يُلقونها على الطلاب كأنهم أجهزة تسجيل(١) .

ولا أزيد أكثر من أنى ألحق ببحثى هذا صورة عن مقدمة بالإنكليزية لقاموس إنكليزى - عربى فى علم الأجِنَّة لعالم ألف وعلم بالإنكليزية فى كليتى طب عريقتين على مدى ثلث قرن وأكثر . إن مستوى اللغة فى هذه المقدمة (وهى ليست كتابة مرتجلة طبعا) لايمكن أن يكون مؤهِّلا ، لا لمدرس ولا لطالب ، للتواصل والتفاهم بهذه اللغة . ولا أعتقد أن الدكتور الخياط أو الدكتور سليمان أراد التعبير عن أكثر من ذلك .

إنى لا أزعم أن مستوى الطلاب فى اللغة العربية ، فى مجالات التعليم العالى بخاصة (ولا أتعرض لمستوى الأساتذة) هو فى المستوى المؤهِّل لدراسة العلوم على اختلافها بالعربية . ولكنى مقتنع ولا أظنكم تخالفون ، أن مستواهم فيها يظل أعلى قدرا وأكثر تأهيلاً لاستيعاب مايدرسون بها ، منه باللغة الأجنبية .

تعريب العلوم ضرورة علمية ، وهو أيضا ضرورة حضارية تنموية للإنسان العربى وتفكيره تقتضى عَضْوَنَة العلم وتأصيله باللغة العربية فى الوطن العربى . وإلا كيف يصل العلم إلى الفلاح والنجار والبنَّاء والخباز والحداد والصانع والسمكرى وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع . كيف يصل العلم إلى هؤلاء إذا كانت كليات الزراعة والصناعة والهندسة والكيمياء والعلوم المختلفة تخرِّج لهم من لايستطيعون إيصالَ مايتعلمونه إليهم .

والتعريب كذلك ضرورة قومية - يقتضيها ترابُطنا أفقياً كأمةٍ أو على الأقل كشعوب على مدى الوطن العربى ، ويقتضيها ترابطنا عمودياً مع تاريخنا وجذورنا وتراثنا وعروبتنا . لقد نجح الاستعماريون ، والمنتدَبون من قِبَل أنفسهم ، فى تقسيم الوطن العربى سياسيا وإداريًا واقتصاديًا وحتى ثقافيًا ، ولكنهم رغم محاولاتهم المتعددة لم ينجحوا فى تمزيق اللغة العربية ؛ فظلت ذلك الرابطَ الحضارى القومى الروحى ؛ والتعريب هو تمتين لهذا الرابط .

---

(١) الدكتور محمد أحمد سليمان ، مداخلته فى الموسم الثقافى الثانى لمجمع اللغة العربى الأردنى ١٩٨٤

والتعريب حتى يتجاوز كل ذلك ، لأنه قضية كرامةٍ - كرامةِ لغةٍ وكرامةِ أمة .

اسمعوا ، أرجوكم ، حديث بنْ يهودا إن لم يكن قد أتاكم .

عند تولّي البريطانيين مسؤولية الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٠ أصدرت حكومة الانتداب عملةً نُقش عليها اسم فلسطين بالإنكليزية والعربية ولم تظهر اللغة العبرية عليها . فما كان من بن يهودا ، أحد بناة إسرائيل ، إلا أن كتب إلى المندوب السامي بحدّة (وكان إنكليزيا يهوديا) يقول : إنها لإهانة قومية أن تكون العبرية فى منزلة دون منزلة الإنكليزية والعربية . ولم يمض طويلُ وقتٍ حتى كان له ، ولهم ، ما أريد ، وظهرت العملة المجددة منقوشة باللغات الثلاث بشكل دائرى - لتأخذ العبرية منزلة مكافئة .

ولكن ماذا كتبوا ؟ لم يكتبوا « فلسطين » كما فى الإنكليزية والعربية ، بل سطّروها ، طوّبوها بالعبرية : ريتْس إيزرايل « أرض إسرائيل » ؛ فهل لأهل « وامعتصماه » أن يعتبروا !

إذا كنا حقا نؤمن أن التعريب ضرورة علمية وضرورة حضارية وضرورة قومية وقضية كرامة - الآنَ الآنَ وليس غدا ، فماذا ننتظر والوسائل غير مجهولة والسبيل بيِّنٌ . سلكه السلف أيام المأمون وبيت الحكمة فعربوا وأبدعوا ؛ طبّقه باراسيلزُوس - ثِيوفْراستُس بومباست - حين أحرق الكتب اللاتينية ، ومن ضِمنْها ترجمات القانون لابن سينا ، فى ميدان حاشد فى مدينة بال وحوله جمهرة من الطلبة يهتفون (فى ٢٤ من حزيران ١٥٢٧) . ثم راح هو ومحازبوه يحاضرون ويؤلفون بالألمانية ؛ وحذا الأوروبيون حذوه فى التعليم والتأليف بلغاتهم القومية وأبدعوا ، وكتب بها شكسبير للإمبراطورية البريطانية فشمخت وتعززت ؛ ثم زالت الإمبراطورية ، لكن ظلت إمبراطورية اللغة وإمبراطورية شكسبير !

ولو نجيل النظر حولنا ونعتبر

لرأينا العلوم تفرسنت فى إيران ،

والتتريك طال العلومَ فى تركيا - ولو تسألون كيف وبماذا ! .

إثر حملة تولاها ما سُمُّوا فيما بعدُ « الطلاب المجاهدين » وأيّدتها الصحافة والرأى العام ؛ فما كان من رئيس الشورى العسكرية أسعد باشا إلا أن استدعى ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أيُّها أجدى وأعود بالنفع على الأمة - التدريس بلغة أجنبية أم بلغتنا القومية ؟ فكان جوابهم : التدريس بالتركية طبعاً أجدى ؛ فكان التتريك

واللاحقُ ، كما يُخبِرُنا المرحومُ الدكتور حُسنى سبح ، أنّ تتريكَ الطبِّ كان فى الحقيقة شِبْهَ تعريبٍ ، اذ أنّ حوالى ٩٠٪ من مُصطلحاتِهم كان ألفاظًا عربيّة(١) .

والذين اغتصبوا أرضَنا ، ياسادتى ، ألم يُعَبْرِنوا العلومَ على اختلافها ، والأبحاثَ بمُختلفَ تِقاناتها ، بلُغةٍ مَوات ؟ - باللغة التى أقاموها من العَدم ، بعدَ دُثورٍ دامَ عشرين قَرناً. فجعلوا منها لا لُغَةَ التدريس فى شتّى العلوم والتقانات فقط ولا أداةً حضاريّةً تُقامُ بها الندواتُ العلميــــة فى علوم الذرةِ وتِقانة الإلكترونيات فحَسْب ، بل جعلوا منها أيضا وسيلةَ ترابُطٍ جامعةً أسهمَتْ فى خلق الكِيان الصهيونى وتوحيد شراذِمِ المُهاجرينَ إليه ، المُتَعدِّدى المشارب واللُّغَى !

وماذا بَعْدُ ! يَحْضُرنى قَولٌ للبِيرونى فى كتاب الصيدنة ، لعَلّه غيرُ بعيد المَتات عن لُبِّ مَوضوعنا . يَقولُ أبو الرَّيْحان :

« لو كانَ فى نواحِينا مِثْلُ دِيسْقُوريديس - مَن يَصْرِفُ جُهْدَه على تَعَرُّف ما فى جِبالِنا وبَوادِينا ، لكانَتْ تَصِيرُ حشائِشُنا كُلُّها أدْوِية » .

وأنا أستعيرُ التَّشبيه لأقول : لو كان فى نَواحِينا أمثالُ المأمون وباراسيلزوس وشكسبير وأسَعد باشا وبن يهُودا ، لما كانَتْ قضيّةٌ ، بلْ قضايا ، تعريبِ العلوم اليومَ ، من شَواغلنا .

شكراً لكُم !

احمد شفيق الخطيب
عضو المجمع المراسل
من فلسطين

---

(١) حديث للدكتور حُسنى سبَح فى مجمع اللغة العربية الأردنى أوردته مجلة اللسان العربى العدد 27 (عام ١٩٨٦) .

الملحق الأول (أ) و(ب)

الملحق الأول (أ)

نهاريات **تعلموا من المأمون!**

كلما دقَّ الكوز بالجرة ، يهدر بعض الأصوات مهدداً متوعداً : اوعا عروبة لبنان .

وعلى الطالع والنازل ، ومن دون سبب جوهري ، ينقزون الناس : الويل لكم إذا دق أحد بعروبة لبنان .

ما بها عروبة لبنان ؟

بل ماذا يقصدون بعروبة لبنان ؟

وإلى عروبة أي بلد من بلدان العرب يريدون انتساب هذا اللبنان ؟

وعلى أي أساس وفي أية مجالات ؟

تعالوا نتصارح ونتفاهم : من هم الداعون إلى العروبة والتعريب ، ومن هم المطلوب تعريبهم ، ومم الخوف على عروبة هذا البلد ؟

بالفعل ، القصة بدأت تشغل البال .

هل المطلوب تعريب اللغة اللبنانية ، واللبنانيون هم الذين صقلوا اللغة العربية ، وأبدعوا باللغة العربية، وبشروا باللغة العربية، وأطلقوا اللغة العربية إلى القارات الخمس ؟

أو المطلوب تعريب الأزياء ، وتعريب الأسماء ، وتعريب المأكل والعادات ؟

عروبة لبنان ....

فهمنا . أهي العروبة تصريح وتظاهرة وخطاب وبيان ؟

أم أنها تجارة يلجأ إليها من يضربه الإفلاس ، وقناع يرتديه من تحوم حوله الشبهات ؟

أمس وقبله سمعنا نواباً ومستنوبين يقيمون الدنيا ويقعدونها لأن بعض

المصطلحات والتعابير والأسماء يتعلمها تلاميذ المرحلة الابتدائية باللغة الأجنبية بلغتها الأم .

ياغيرة العروبة ، هذه مؤامرة على عروبة لبنان .

المقصود ، إذن ، تعريب الكتاب الأجنبى ، تعريب الرياضيات والعلوم ، ومنع الأجيال الطالعة من معرفة اللغات الأجنبية . يتلقنون مناهج التكنولوجيا المتطورة والمعقدة ، ومعها الذكاء الاصطناعى ، وفوقهما الهندسة الوراثية ... باللغة العربية !

ببساطة مطلوب ، وفق هذه الرغبة الغبية ، تخريج أجيال جاهلة ومتخلفة ، لا أمل لها فى التطور والمشاركة فى إبداعات العصر ، ولا مكان لها تحت الشمس .

هكذا ، ومتى ساد الجهل ، تتحقق عروبة لبنان ، ويطمئن خاطرها ويصلها حقها ؟

يخرب بيتكم الله .

مصرون على تشويه العروبة وتصويرها أنها لا يصلها حقها ولاتكتمل إلا بالجهل والتجهيل .

ماذا يضير العروبة إذا كان الشاب اللبنانى متمكناً من ثلاث أو أربع أو خمس لغات أجنبية ؟

وأين الغضاضة والخطر على عروبة لبنان ، إذا كان الشاب اللبنانى يتقن الفرنسية والإنكليزية والألمانية واليابانية والصينية وغيرها ؟

عندما أسس الخليفة المأمون « بيت الحكمة » للبحوث العلمية ، أوصى الكندى أن يستعين بعلماء من جهات الأرض الأربع ، وحرّصه أن يتعلم العلماء العرب لغة هؤلاء العلماء ، ليظلوا مواكبين حضارات الشعوب .

بمثل هذه الحكمة تكون اللهفة على العروبة ولغتها .

... اللغة العربية بألف خير من لبنان . فنحن أهلها وأهلّ العروبة .

« زيّان »

الملحق الأول (ب)

مع زيّان نكرّر المقولة « تعلموا من المأمون »

الأستاذ زيان فى نهاريات « النهار » العدد ١٨٧٥٥ (الأربعاء ٩ شباط ١٩٩٤) يربط قضية تعليم العلوم بالعربية - لا بلغة أجنبية - فى المراحل الابتدائية والمتوسطة (حتى الثانوية) - بقصة « كلما دق الكوز بالجرّة » و «عروبة لبنان » .

الواقع أن « عروبة لبنان » و « فضل لبنان على العربية ونهضتها الحديثة » و « موقع لبنان المميّز فى العالم العربى» أمور فى حكم المسلّمات . والإشارة إليها فى سياق تعليم العلوم فى المرحلة الابتدائية باللغة الأجنبية وما أثير حوله ، هى إخراج الموضوع من حيز النقاش والبحث العلمى والتربوى إلى حديث وسياسة هما حديث وسياسة « دق الكوز بالجرة » .

فالقضية فى الواقع تربوية علمية نفسية صرف ، ولايجوز تسييسها . فليس من مُرَبٍّ مخلص مهما كانت جنسيته أو لغته ، لو سألناه :

أيهما أفضل للولد ، تدريسُه العلومَ بلغته القومية أو بلغة أجنبية ؟ إلا ويجيب مؤيدا الخيار الأول . فعلماء التربية فى كل زمان ومكان نادوا بالقول، وأثبتوا بالاختبار ، أن الطالب (الناشئ خاصة) يستوعب المفاهيم العلمية والرياضية وسواها عموماً بلغته القومية أكثر بكثير وأيسر بكثير وأعمق بكثير مما يستوعبه منها بلغة أجنبية . ولا أظن الأستاذ زيّان من غير هذا الرأى .

وهكذا ، لن تجد فى أنحاء العالم قاطبة بلدا يُدَرَّسُ مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية إلا فى عالمنا العربى المسكين المهدَّد فى كل شيء . بل إنى لاأعرف بلداً تُدَرسُ فيه

مواد العلوم والرياضيات ، حتى فى معاهده العليا بغير اللغة القومية ، إلا معظم بلادنا العربية فى جامعاتها السبعين .

فُرِض تعليم العلوم والرياضيات ، وأحياناً الاجتماعيات باللُّغة الأجنبيَّة قهرا على الشعوب العربية أيام الاحتلال والاستعمار والانتداب فى شتى أرجاء الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه . وللأسف زال الاستعمار والانتداب والاحتلال واستمر الوضع فى كثير من المعاهد الابتدائية والمتوسطة وفى معظم معاهد التعليم العالى على ذلك ، ربما بقوة الاستمرار أو لأسباب تخفى علينا جميعاً . فما أن تنتعش حركات تعريب التعليم فى هذه المجالات وتكاد تعمّ فى قُطر حتى نجدها تنتكس ، كما الحال فى تونس والجزائر مغرباً ، وفى مصر والأردن مشرقاً .

خبِرتُ شخصياً دراسة العلوم والرياضيات وتدريسها باللغتين العربية ثم اللغة الإنكليزية ، وأذكر خلال تدريسى هذه المواد باللغة الأجنبية حينما كان يصعُب على طلابى استيعاب المفهوم الفيزيائى أوالكيميائى أو الأحيائى باللغة الأجنبية أننى أجدهم سرعان ما يتجاوزون هذه الصعوبة حين أعيد لهم شرح المفهوم باللغة العربية .

فى ترحالى وتجوالى بين البلاد العربية شاهدت كتباً فى العلوم والرياضيات لكثير من الفتيان ممن يدرسون هذه المواد بلغة أجنبية - الإنكليزية خاصة - فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة (وبعض هؤلاء الفتيان من أبناء أصدقائى أو من ذوى قُرباى ، أولاد إخوتى وأخواتى) ، وكنت أقرف جزعاً وأشفق تأسياً لما أرى فى تلك الكتب من اختلاط الكلام العربى المضاف ، بنظام وبغير نظام ، فيكاد يغطى النص الأجنبى .

كلنا باعتبارنا مُربّين معلم يقيناً أن اللغة القومية - اللغة الأم - هي وسيلة الولد السهلة المأخذ والطبيعية التفاعل إلى العلم والتقدم . وفيها تتكوّن وتَنْشأ وتتنامى حصيلته العلمية وكتلة التعلم لديه ، آنياً ومستقبلاً . ومن الظلم ، وأكاد أقول الإجرام ، إثقال كاهله وإرهاق فكره وإرباك ذاكرته بتضارب المفاهيم والمصطلحات باللغة الغريبة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ التربوي الوثيق نجد أن مدارس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية (وبقرار من المحكمة العليا فيها) تُدرّسُ أبناءَ الجاليات من الأقليات بلغتهم الأصليّة في المرحلة الابتدائية دون أن يُستثنى منها موادُ العلوم والرّياضيات (وهو مدار القضيّة التي نُعالجها هنا) - علماً أن اللغة المستقبليّة الرسميّة والعامة لأبناء هذه الجاليات جميعاً هي حتماً الإنكليزية . بمعنى أن القضية ليست جدليّة بل هي قضيّة حقّ أساسي للولد كإنسان. والمهم أن نعالج القضيّة من هذا المُنطلق !

إنه لمن الأمور المضلِّلة ربط قضية تعلّم اللغات الأجنبيّة بقضية تعليم العلوم والرياضيات بها . فنحن مع تعليم اللغات الأجنبيّة وإتقان واحدة منها على الأقل بمستوى رفيع يضمن تواصل المتعلّم لاحقاً بالعالم الخارجي علمياً وثقافياً واجتماعياً . لكن ذلك لايعني أنّا نُقِرّ مبدأ تدريس هذه المواد في مراحل التعليم الأولى خاصة ، بلغة أجنبية .

إن اللغة الإنكليزية اليوم تجتاح العالم، وهي تحتل المرتبة الأولى بين اللغات التي تدرّس كلغة ثانية في شتى بلاد العالم ، ولكنّا لانعرف بلداً واحداً (في غير العالم العربي) أقدم - أو حتى فكر أو عمل - على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية ، من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا وإسرائيل ، ولعله في بلاد الماو ماو أيضاً .

إن إتقان اللغة الأجنبية يتم بأساليب معروفة ، من أهمها رفع مستوى من يقومون بتدريسها (وهذه ناحية أتحدى أن تجدها بالمستوى المطلوب فى معظم مدارسنا فى شتى أرجاء الوطن العربى) ، وكذلك بتحسين وسائل تعليمها وزيادة حصص تدريس تلك اللغة وإسماعِها الطلابَ بالنطق الصحيح والسليم .

إن أهمية اللغة الأجنبية للطلاب ولدراساتهم اللاحقة مستقبلاً أمر لاخلافَ فيه ولا عليه ، لكن التركيز الذى يخلطه ويربطه بتعليم العلوم أمر آخر - لعلى أقول فيه « إنه قضية حق يراد بها باطل » .

إن النتائج التى سجلها الدارسون والمراقبون فى البلاد والمؤسسات[1] حيث تحول تعليم العلوم والرياضيات إلى اللغة العربية (من الأجنبية) أظهرت تحسناً ملموساً لا فى مستوى استيعاب مواد العلوم والرياضيات فقط ، بل فى مستوى اللغة الأجنبية أيضاً. لأن ذلك التحول رافقه تحسين فى مستوى تدريس اللغة الأجنبية .

وألفِت الأستاذ زيان ومن يشاركونه الرأى إلى خطر مركّب النقص القاتل الذى ينغرس فى نفسية الطالب الناشئ إذا ما أشرب بقصد أو غير قصد ، أن لغته القومية ناقصة وعاجزة عن أن تكون لغة يستوعب بها هو ورعيله مواد العلوم والرياضيات . إن كرامة الولد وشخصيته القومية حينئذ ناقصتان مهتزتان ذليلتان .

إنى أرى فى تدريس العلوم والرياضيات فى المراحل الابتدائية والمتوسطة اليوم (وفى المراحل الثانوية والعالية مستقبلاً) إذلالاً للغة وللشخصية وللكرامة القومية والوطنية .

وللعبرة فقط أورد الحادثة التالية :

أوائل العشرينيات من هذا القرن افتتحت الجمعية اليهودية الألمانية « معهد التخنكو » - التكنولوجية - فى حيفا ، وأنشأته بأموال وجهود من أعضائها وخبرائها الألمان . وارتأت الجمعية جعل الألمانية لغة التدريس فى المعهد لأن العبرية

---

(١) من هذه المؤسسات مدارس جمعية المقاصد فى بيروت والمدارس القومية فى تونس والجامعة الأردنية .

ليست متطورة إلى القدر الذى يسمح باستعمالها فى مجال تعليم العلوم والتكنولوجية ، فقامت الدنيا هناك بموجات الاحتجاج وإضراب المعلمين والتلاميذ وبمساندة الصحافة والرأى العام ، معتبرين ذلك إهانة قومية ، فاضطرت الجمعية إلى التراجع ، فكانت الدروس تترجم من الألمانية لتُلقَى على الطلاب بالعبرية ، وتم للمعتزين بلغتهم الواهنة ما أرادوا . ومنذ أعوام فقط ، عقدت فى هذا المعهد ندوة دولية فى شؤون الذرّة والنوويات ، وكانت العبريةُ لغةَ الندوة الوحيدة .

يا أستاذ زيّان

المأمون أوصى العلماء العرب بتعلم لغة العلماء الأجانب – وهذا ممتاز ، بل هذا بعض ما نستهدفه ، لكنك نسيت ، أو لعلك تناسيت ، أن المأمون نفسه أمر ونفذ وتابع تعريب الدواوين ومختلف نواحى الشؤون الاجتماعية والعلمية والفلسفية والرياضية والطبية ، ولعلك تذكر أن العالِمَ الذى كان يقدِّم إلى « بيت الحكمة » كتاباً قيماً من تأليفه أو ترجمته كان يتلقى مقدار وزنه ذهباً !

ياسيدى نحن نكرر معك مقولتك ونعتز بها : تعلموا من المأمون !

ولك تحياتى

أبو هانى

الملحق الثانى

تدريس العلوم بالعربية فى الجامعة الأمريكية

لسليمان بك أبى عز الدين

إن الاعتماد على لغة البلاد فى تلقين العلوم لكل أمة لها وحدة جنسية ولغة صالحة للتعليم أمر طبيعى وقاعدة عامة . فتلقِّينا العلوم بلغة أجنبية فيه شذوذ عن هذه القاعدة لا مبرر لهُ بل هو مُضرٌ بنا علميًا ومضعف للغتنا وقوميتنا .

فالعلم أسهل تناولاً على الطالب وأرسخ فى ذهنه إذا درسهُ بلغته التى رضعها مع اللبن مما لو درسهُ بلغةٍ أجنبية، وتفوق الكثيرين من مخرجى الجامعة فى عهدها الأول عهد التدريس باللغة العربية يؤيد ذلك .

أما العدول عن التدريس بلغتنا فإنهُ يضيق نطاق التأليف بها فيحرمها مؤلفات نفيسة تزداد بوجودها قيمة كما إنهُ يَحُول دون اقتباسها كثيراً من الاصطلاحات العلمية والفنية التى تساعد على نموها . فبالاقتباس نمت جميع اللغات الحية واللغة العربية نالت قسطاً وافراً من ذلك فى أثناء الفتح الإسلامى وامتزاج الأمة العربية بغيرها من الأمم ، وعندما نُقلت إليها علوم اليونان وغيرهم فى عهد العباسيين .

أما الضرر القومى من التعليم بلغة أجنبية فظاهرٌ كل الظهور فى جميع أنحاء سوريا حيث ترى القوم مختلفى المشارب والنزعات وقد تضعضعت أركان قوميتهم الأصلية دون أن يكتسبوا قومية الأمة التى تلقَّوا العلوم بلغتها ، وهذا من أهم أسباب ضعف مجموعنا رغماً عما هو مشهور عن قوَّة أفرادنا .

أما المصاعب التى يقال إنها اعترضت فى سبيل التعليم باللغة العربية فى ما مضى فهى :

١ - عدم وجود الكتب العربية اللازمة للتدريس .

٢ - عدم وجود مطولات ومجلات علمية تمكن طلاب العلم من التوسع فيها وتتّبع سير العلوم فى تقدمها المتواصل .

٣ - افتقار اللغة العربية للاصطلاحات العلمية الحديثة .

٤ - عدم وجود أساتذة أكفياء يقومون بتدريس العلوم باللغة العربية .

وقد قيل أخيراً بوجود عقبة خامسة وهو أن التدريس باللغة العربية يحرم كثيرين من الطلبة الأروام والأرمن تلقى العلوم فى الجامعة .

فهذه الاعتراضات مردود عليها ردّا إجماليًا بتمكّن الأتراك من تدريس العلوم بلغتهم ، واللغة العربية ، كما لا يخفى ، أغزر مادة من اللغة التركية وأرقى منها بدرجات وليس أهل العلم بينهم بأكثر عدداً وأرسخ قدماً فى العلوم من الناطقين باللغة العربية .

وفى ما يلى ردٌ تفصيلى على كل اعتراض على حدة :

١ - إن وجود كتب التدريس فى العربية يتوقف على وجود التدريس بهذه اللغة ؛ لأنها إذا وجدت ولم تستعمل للتدريس لا تصلح لأىّ غرض آخر فيذهب ما ينفق عليها من الوقت والمال سُدًى فقرِّروا التدريس باللغة العربية تنشأ الكتب اللازمة لها . فالمقدرة على التأليف موجودة ورواج الكتب مكفول لأن نطاق المعارف فى بلادنا آخذ فى الاتساع ومدارس دمشق والعراق لغتها العربية كما أن الحكومة المصرية قد شرعت فى تحول التدريس إلى اللغة العربية .

٢ - أما قلة عدد المطولات والمجلات العلمية فناشئٌ عن حصر التعليم بلغات أجنبية وهذا يجعل أهل العلم أكثر طلباً للتبحر فى العلوم فى كتب اللغة التى تلقوا دروسهم بها ، على أنهُ رغماً عن هذا قد أدّت النهضة العلمية الحديثة إلى تأليف بعض المُطولات وإنشاء مجلات علمية وفنية باللغة العربية كالمقتطف والمجلة الطبية المصرية والمجلة التجارية ومجلة المضمار التى تبحث فى مواضيع الرياضة الجسدية .

٣ - إذ صح الزعم أن اللغة العربية مفتقرة إلى الاصطلاحات العلمية الحديثة فهى تستوى فى ذلك بغيرها من اللغات ، فسائر اللغات الحديثة اقتبست ما افتقرت إليه من اللغات القديمة كاليونانيّة واللاتينية . واللغة العربية فى كل عصر كانت تقتبس من غيرها . كما أن غيرها اقتبس منها . فإليها نُقلت قبلاً علوم الأقدمين وفنونهم وفلسفتهم . ومنها نُقلت إلى اللغات الأوروبية وبها كان التدريس فى جميع الأقطار العربية حينما كانت بضاعة العلم رائجة فى العراق وسوريا ومصر والأندلس ، وبقيت كذلك حتى أواخر القرن الماضى فى مصر وسوريا ، وأهم أسباب العدول عن التدريس بها فى القطر المصرى سياسية لا فنية . وها الحكومة المصرية تنوى الرجوع إلى التدريس بها ودمشق والعراق معتمدتان عليها . فكل ما تقدم يسقط حجة القائلين بعدم صلاحيتها للتعليم لافتقارها إلى الاصطلاحات العلمية .

٤ - إن وجود عدد غير يسير من الأساتذة الوطنيين فى الجامعة الأمريكية وفى المكتب الطبى الإفرنسى فى بيروت وفى مدارس الحكومة فى دمشق وبغداد مما يدحض قول القائلين بعدم كفاية أساتذتنا لتدريس العلوم . والكفاية تتوقف على الاستعداد الفِطرى والاقتباس بالدرس والممارسة ، ولا أظن أن أحداً ينكر على السوريين حسن استعدادهم الفطرى لاسيما وأمر الدرس والممارسة ميسرٌ لمن شاءَ ومدارس أوروبا

وأميركا مفتوحة أبوابها لمن طلب التوسع والتخصص . والخطة الحكيمة التى اتخذتها الجامعة الأميركية بإيفاد أساتذتها إلى جامعات الولايات المتحدة مما يساعد على استيفاء شروط الكفاية . ونحن نسلم إنهُ لو كان المطلوب تحويل التعليم من الإنكليزية إلى العربية دفعة واحدة لشعرنا بالافتقار إلى أكفياء لتدريس بعض العلوم . أما وغرضنا التحويل التدريجى والشروع فيه من الصفوف الابتدائية والتدرج منها إلى الأعلى فالأعلى سنة فسنة ، فيتسع الوقت لاستعداد الأساتذة الأميركيين والشرقيين لتلقين العلوم التى يدرِّسونها بلغة هذه البلاد .

٥ - شاءت الأمة الأميركية السخية نشر العلم والمبادئ الحرة فى هذه البلاد فأنشأت هذه الجامعة للنفع المجرد . فالتشبث بعمل يضر السوريين مراعاةً لغيرهم لا يتفق مع الغاية التى أُنشئت من أجلها لاسيما وأن بعض الطلبة الأروام والأرمن يفدون إلى هذه الجامعة من بلاد عربية كمصر وحلب وغيرهما ، فهؤلاء يعتبرون كأبناء الأقطار العربية ، أما غير هؤلاء من الأروام والأرمن فسواءٌ عليهم كانوا فى سوريا أو فى سواها لأنهم حيثما ذهبوا إلى خارج وطنهم سيكونون غرباء فيمكنهم والحالة هذه أن يطلبوا العلم فى غير المدارس السورية أو أن يختاروا درس لغة البلاد وتلقى العلوم بها فيتنزلوا منا منزلة الإخوان ويحلوا بيننا على الرحب والسعة .

ولايخفى إنهُ إذا كان التعليم باللغة العربية سيحرم عدداً يسيراً من الأروام والأرمن دخول هذه الجامعة ، فإن بقاءَ التعليم باللغة الإنكليزية سيحرم عدداً أكبر منهُ من أبناء الأقطار العربية المختلفة طلبَ العلم فيها ، ويترك فى نفوسهم ونفوس مواطنيهم أسوأ تأثير .

فإلى عمدة الجامعة الموقرة نبسط الرجاء بأن ترمق هذا الاقتراح بعين الرضا وتنتخب لجنة خاصة لوضع خطة لتنفيذهِ واتخاذ التدابير اللازمة التى تكفل تذليل كل عقبة تعترض فى سبيله .

مجلة الكلية جـ ٨ ، عام ١٩٢٣

الملحق الثالث

PREFACE

When the Arabian Empire Extended from India in the East to the Atlantic in the West, the Caliphs of Baghdad, their capital, ruled supreme. Their grandeur, however, was lacking in what older, achieved. So Egyptian, Greek, Roman, and Persian knowledge was made accessible to the Arabs. Works of past philosophers, astronomers, biologists, physicians, etc. A new nomenclature has to be created, and terms from all languages were adapted and arabicized; which were more than necessary for that age, and during the thousand years to follow; but when modern science arose the Arabic language lagged far behind other European tongues.

In the last ten years as, the national spirit has revived, the U.A.R. is making an active and progressive encouragement for either publishing most of the academic text- books or translating many classical ones, all in Arabic, in order to match with the great advances acheived. Much more is expected in the years to come.

Shortly after the appearance of my seven text- books of Anatomy and Physiology in Arabic, I was begged by several of my colleagues to compile a vocabulary of Anatomical terms which I did with great pleasure.

Again after the text-book of Embry ology in English and its successor the text-book of Embryology, in Arabic has appeared, the same necessity called for a glossary for the Embryological terms which I am happily offering it to all my colleagues and beloved students as a present and a token for their kind appreciation and their good feelings, which they granted the author.

Prof. Dr. M.D,

Prof. of Anatomy, Medical Faculty,

شخصيات مجمعية

أولاً: الاستقبال:

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٢٥ من رجب سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٩٤ م أقام المجمع جلسة علنية لاستقبال ثلاثة أعضاء جدد هم :

١ - الأستاذ الدكتور **أحمد على سالم الصباغ .**

٢ - الأستاذ الدكتور **حسن محمود عبد اللطيف الشافعى .**

٣ - الأستاذ الدكتور **محمد السيد غلاب.**

وبعد أن افتتح الدكتور الرئيس الجلسة ألقى الأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح إبراهيم كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصبّاغ ، وأعقبه الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصبّاغ فألقى كلمة بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقى كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، وأعقبه الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى فألقى كلمة بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور سليمان حزين كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب ، وأعقبه الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب فألقى كلمة بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع وفيما يلى نص هذه الكلمات :

كلمة المجمع
فى استقبال العضو الجديد
الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصباغ
للأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح

السيد الأستاذ الدكتور **إبراهيم بيومى مدكور**

رئيس مجمع اللغةِ العربية .

السيد الأستاذ الدكتور **شوقى ضيف** نائب

رئيس المجمع

سَادتى العلماء الأفاضل . **أعضاء المجمع**

سيداتى وسادتى .

نستقبلُ اليومَ عالـمًا فاضلاً من خيرةِ عُلماءِ مصرَ ومهندسيها البارزينَ الذين أسهمُوا فى بِنَاءِ صَرحِ هندسةِ الإنتاج والموادِّ ، والتعليم الجامعىِّ والهندسىِّ فى مصرَ والعالمِ العربىِّ كُلّه .

وله فى مجالِ اللحامِ والمواد إنجازاتٌ واسعةٌ يُعْتَزُّ بها وسَتظلُّ شاهدة على علمِه وخبرتهِ الواسعة .

ذلكم هو الأستاذ الدكتور **أحمد على سالم الصبَّاغ** الأستاذُ المتفرغ بجامعة عين شمسِ ورئيسُ قسمِ هندسةِ الإنتاج السابق بها .

نستقبلهُ اليومَ عُضواً جديداً بمجمعِ الخالدينَ وأعتقدُ أيُّهَا الأخُ الكريم أنكَ سعيدٌ بهذهِ الثقةِ الغـاليـة التى منحَكَ إياهَا زُمـلاؤكَ الذين يقدرون علمَكَ ومكانتَكَ وخُلُقَكَ .

هذه الثقةُ التى نَسَجَتْ لكَ مكانًا فى هذا المجمعِ العظيم حِصن العربيةِ الحصين الذى حَملَ لواءَهَا أكثر من نصفِ قرنٍ من الزمانِ ولايزالُ يَحْمِلُ هذا اللّواءَ عاليًا شامخًا .

ويتضمنُ استمرار رفعِ هذا اللّواء الحفاظ على أصَالَةِ اللغةِ العربية . وسموِّهَا . وتجديد حيويتِهَا . وقُدْرَتِهَا الفائقة للاستجابةِ لمتطلباتِ كل العصور . ومُواكبة للاكتشافات العلميةِ المتسارعةِ . والتعبير بيسرٍ وسَلاسَةٍ عن أكثر النظرياتِ تعقيداً ، ولاغروَ فى ذلكَ ، فإنها لغةُ القرآنِ الكريم الذى أُنزلَ للناس كافةً فى كل مكانٍ وزمانٍ فهو محفوظ بإذن اللهِ إلى ما شاء الله .

إن هذا الشرف الذى تنعمُ به اليومَ أيُّها الأخُ العزيز وأنتَ به جدير لشرفٌ عظيمٌ حقًا ، طالما تاقت إليه قلوبٌ وتطلعت إليه آمالٌ فتهنئةٌ خالصةٌ لكم بهذا التقدير الرفيع الذى منحكَ إياهُ هذا المجمعُ العظيم ويتوازى هذا التقديرُ مع ما تحقَّقَ لكَ فى مجالِ العلمِ والبحثِ والتطوير . وصَعَدْتَ به فى مدارج الهندسةِ الرفيعة .

وُلِدَ الزميل الدكتور **احمد سالم الصباغ** فى السابعِ من سبتمبر عامَ ألف وتسعمائةٍ وأربع وعشرين فى مدينة بيلا - بمحافظة كفر الشيخ .

وتبلورت اتجاهاتُهُ الهندسية منذ مراحل حياتهِ المبكرة فتابَعَ الدراسةَ فى هذا المجال حيثُ حصلَ على دبلوم فى الهندسةِ الميكانيكية ثم البكالوريوس فى نفسِ التخصُّصِ من جامعةِ عين شمس عامَ ألفٍ وتسعمائةٍ وأربعٍ وخمسين . وبعد ذلك سَافرَ فى بعثةٍ علميةٍ إلى ألمانيا (الاتحادية-فى ذلك الحين .)، فحَصلَ على درجة الدكتوراه فى الهندسةِ فى جامعة آخن عام ألفٍ وتسعمائةٍ وواحدٍ وستين .. وفى أثناءَ دراستهِ للدكتوراه - وقد واكبتْ تلك الفترة قفزات فى سُرعةِ الطائراتِ- دَخَلَ العالمُ عصر السرعاتِ فوق الصوتية بما تحملُهُ من مشاكلِ ارتفاع درجة حرارة أجسامِ الطائراتِ نتيجة للاحتكاك بالهواء مما حَتَّمَ ضرورة صُنعِهَا من رقائقِ الصلبِ المقاوم للصدأِ (صلب نيكل كروم) لتتحمل تلك الدرجة وظهرت صعوبةُ لحامها . وكَانَ لزميلنا فضلُ ابتكار أشاباتٍ للَحام مكونة من النيكل والكروم والموليبد نيوم بحيث تكون يوتيكتك (تتحمل الأطوار عند درجة حرارة ثابتة) وهى خاصيةٌ ضرورية لإجراء اللحام بنجاح .. وقد كان هذا الابتكار جزءاً من رسالتهِ للدكتوراه والتى كانَ موضوعها الخواصُّ الميكانيكيةِ لوصلاتِ اللحام عند درجاتِ الحرارةِ العالية .

وكان لهذه البحوث قيمةٌ علميةٌ وتطبيقيةٌ في الصناعة وقد استفيد بنتائج هذا البحث وذلك الابتكار في لحام أجزاء الطائرات المصرية في الفترة من عام اثنين وستين إلى أربعة وستين ، أثناء عمله مديراً لمعاملِ المواد واختباراتها بمصانع الطائرات بحلوان .

وبعد عودتِه من الخارج عملَ بسلك التدريس بجامعتى عين شمس والقاهرة . وتدرج في وظائف الجامعةِ إلى أن شغلَ درجة الأستاذية ورئاسة قسم هندسة الإنتاج والمواد بجامعةِ عين شمسٍ وهو يَعملُ الآنَ أستاذاً متفرغًا بها . وقد ألزم زميلنا نفسه بالتدريس باللغة العربية منذُ بدءِ عمله بالجامعة إيمانًا منه بأن اللغة هى وعاءُ الفكر ، وأن اللغةُ الأم أقدر على نقلِ المعرفةِ وترسيخها وتأصيلها . وهى المحفزُ على ارتقاءِ الفكر . كما أن العربية من أكثر اللغات مرونةً فقدرتها على التعبير عن كل فروع العلمِ . لاحدود لها فهى محفوظة إلى ماشاءَ اللّه .

وقد تابع الدكتور الصباغ بحوثَهُ بلا انقطاع ولايزال .. وتتمثلُ مدرستُهُ العلمية في :

- اثنتين وعشرين رسالةً لدرجة الدكتوراه .
- ثلاث وثلاثين رسالةً لدرجة الماجستير .
- عشرين بحثًا علميًا منشوراً.
- عشرات الألوفِ من تلاميذه يحملون قبسًا من علمِهِ وخبرتِهِ . ينشرون النور في مصر والعالم العربىِّ ..

وقد حفلت حياتُهُ بالكثير من الإنجازات في مجال تخصُّصِهِ كما أسهم بعلمِهِ في تطوير

التعليم الهندسى والتعليم الفنى والتعليم العَام وتطوير التعليم الصناعىّ وتحديث معداته وتأهيل مدرسيه .

وقام سيادتُهُ بجانب هذا النشاط الغزير بتأليف أحَدَ عشر كتابا كلها باللغةِ العربيةِ فى هندسةِ الإنتاجِ والمواد..

كما ترجَمَ عشرةَ كتبٍ فنية من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية وستةِ أكواد لأصولِ التصميم والتنفيذ الهندسى لجمعية المهندسين المصرية بالاتفاقِ مع اتحاد المهندسين الألمان .

ويُستَفَادُ بهذهِ الأكواد فى دورات التعليم المستمر للمهندسين .

وراجَعَ معجم السباكة لجمعية المهندسين المصرية ..

وبالإضافة إلى ذلك قدَّم العديد من الابتكارات لتصنيع السخان الشمسى بتكنولوجيا مصرية ومواد محلية .

والدكتور الصباغ عضو بالعديد من الجمعيات العلمية والهندسية وأهمها : -

جمعيةُ المهندسين المصرية .

جمعية المهندسين الميكانيكيين المصرية .

جمعيتا اللحام الأمريكية والألمانية .

جمعيةُ السباكة المصرية .

لجنةُ الإنتاج بالمجالس القوميةِ المتخصصةِ .

لجنةُ البحوث لشركة الحديد والصلب المصرية .

رئاسةُ لجنةِ تدريب المهندسين بنقابةِ المهندسين المصرية

كما أنه عمل مستشاراً لوزير التعليم لشئون التعليم الفنى .

وعمل خبيراً بلجنة الهندسة بالمجمع لمدة تربو على عشرةِ أعوام .

السيد الرئيس : سادتى الزملاء :

هذه لمحةٌ عن حياةِ هذا الأستاذ الجليل الذى نستقبلُه اليومَ زميلا كريما وعضوا فاضلا بمجمع الخالدين وهى حياةٌ حافلةٌ بالإسهام المثمرِ البنَّاء ولاشك أنه سيكون خيرَ عون للمجمع فى رسالته السامية بقيادته الرشيدة وعلمائه الأعلام لرفعة اللغة والعلم والثقافة.

وفقه الله وسدد خطاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرازق عبد الفتاح

عضو المجمع

كلمة

الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصباغ

فى حفل استقباله عضوًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد العالم الجليل الدكتور **إبراهيم مدكور** رئيس مجمع اللغة العربية مجمع الخالدين :

السيد الأستاذ الدكتور **شوقى ضيف** نائب رئيس المجمع :

أيها السادة العلماء الأجلاء :

سيداتى . سادتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

كم أضرع إلى الله أن يمنحنى فى هذا الموقف شجاعة الوقوف أمام هذا الحشد من صفوة علماء هذا البلد بل البلاد العربية جمعاء صفوة المتقصين فى البيان والأدب واللغة والعلوم والفنون .

لقد شئتم أن أعاونكم فى عملكم خبيرا بالمجمع لنحو اثنى عشر عاما وشئتم أن أشارككم فيه عاملا معكم فى حصن اللغة والعلم الحصين فلكم الفضل كل الفضل أنكم نظرتم إلىّ بعين الرضا وأعليتم من قدرى . فشكرا لكم أيها الزملاء على ثقتكم التى منحتموها إياى وعلى ظنكم الحسن الجميل . وأرجو أن أكون عند حسن هذا الظن .

وأشكر صديقى الذى أحترمه وأُجِلّه كل الإجلال وأفخر بصداقته كل الفخر الأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح - على تفضله بتقديمى إليكم ، فشكرا لك أيها الأخ الكريم لما تفضلت فأطريتنى به من كلمات كريمة وددت لو أنى أستحقها .

أيها السادة :

شاء حظى أن أشغل موقعا كان لعملاق من عمالقة العلم والفكر واللغة

العربية ندر أن يكون له نظير . وقد يكون أول ما يخطر على البال فى هذا المقام ذكرى سلفى العظيم الأستاذ الدكتور عبد الحليم بدر منتصر رحمه الله وهى ذكرى كريمة وإن كانت تثير فى النفس مهابة وإجلالا . وأنّى لى أن أحدثكم بشىء لاتعرفونه عن سيرة الدكتور منتصر فأنتم أعلم به منى وأخبر إلا أنه لمما يشجى النفس أن تردد السير العطرة لشيوخ العلم .

والدكتور منتصر يجمع بين العديد من المزايا والنوازع والصفات وإنى سأظلمه بالضرورة إذ أتعمد إيجاز ذكر مزاياه وما حيلتى ولابد من ظلمه لأن وقت القول محدود .

الدكتور منتصر نبَتَ ودبت جذوره فى بيئة علمية وأدبية وترعرع وأيفع فى بيئة ريفية لها جمالها وبساطتها أثرت فى تكوينه الفكرى والوجداني وربما فى اختياره ليكون عالم نبات بعد تخرجه فى كلية العلوم عام ١٩٣١ متخصصا في علم النبات ومتتلمذا على علامة النبات الشهير أوليفر .

ولما كانت شخصية الدكتور منتصر تتسم بالطموح فقد قرر الاستزادة والبحث فى تخصصه . فبعد أن حصل على درجة الماجستير عام ١٩٣٣ بعث إلى المملكة المتحدة ثم سويسرا لمزيد من البحث والدراسة حيث تتلمذ هناك على مشاهير علماء النبات وفى مقدمتهم العالم سالزبورى وبعد عودته إلى الوطن حصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى النبات عام ١٩٣٥ ثم تدرج فى وظائف هيئة التدريس مدرسا وأستاذا مساعدا فى جامعة القاهرة ثم أستاذا وعميدا لكلية العلوم بجامعة عين شمس الوليدة حينذاك .

وقد حفلت حياته البحثية والعلمية خاصة فى البيئة النباتية التى نشأ فيها وترعرع فله بحوثه المبتكره فى بيئة بحيرة المنزلة قرب مسقط رأسه ، ثم التربة والنبات فى مريوط والبيئة النباتية

الصحراوية ، والعلاقة بين الكائنات الدقيقة والنباتات الراقية وأثر هذه الكائنات فى التربة على نمو النبات ، وتغذية النبات فى أرض غير مستصلحة، والمقاومة الأحيائية لبعض أمراض النبات.

ظلت هذه الشجرة المثمرة - كما تعلمون أيها السادة - تورف بظلالها وتثرى بثمارها وتعطر بأزهارها أجيالا بعد أجيال ونما على أغصانها رواد علميون وتفرع عليها بحاث متميزون أفذاذ فأصبحت مدرسة علمية راسخة الكيان تخرج فيها العشرات ممن حصلوا على درجتى الماجستير والدكتوراه بجانب المئات من حملة البكالوريوس فأصبح لعلم بيئة النبات فى مصر وجود متميز متأصل بفضله وبكفاحه .

وكانت أمنيته التى تحقق منها الكثير أن تتهيأ الظروف للغة العربية لتصبح لغة العلم فى هذا البلد العربى وكان يردد دائما هذه الأمنية الصادقة فى تعبيرات صادرة من أعماق قلبه واعتبر قضية اللغة العربية وإنماء ثروتها العلمية أمانة فى عنق العلماء .

وهكذا سار على درب الكفاح فى سبيل هذه القضية منذ نيف وستين عاما ويشهد على ذلك تصانيفه وتآليفه باللغة العربية لإثراء المكتبة العربية وتمهيد الطريق لجيل جديد يساير السعى المتواصل لتحقيق أمنيته القومية فتصبح اللغة العربية لغة العلم والتعليم فى الجامعة .

ولم يبخل العالم الجليل بتسجيل ما اكتسبه من علم وخبرة فأثرى مجال التأليف والترجمة فنشر باللغة العربية مؤلفا ضخما عن نباتات مصر وانفرد بمؤلفات عديدة أخرى تربو على الثلاثين ، منها على سبيل المثال حياة النبات ، والوراثة والجنس ، وأصول علم النبات ، صحارى مصر ، العلم فى حياتنا اليومية (جزءان) ، قادة العلم فى العصر الحديث

(جزءان) ، تاريخ العلم عند العرب ، فجر الحياة ، العلم الإغريقى ، العلم وأصل الكائنات ، الكشف والفتح ، العلم والإنسان الحديث ، الحياة على مر العصور - أصل الأنواع (جزءان) ، العلم المصنوع من حولنا ، الجنس البشرى يتطور . كلها باللغة العربية بجانب مترجماته تشريح النبات ، وبيئة النبات ، وهى تمثل - كما ترون - ثروة علمية جديرة بالاحترام والتبجيل .

لم تقتصر إنجازات الدكتور منتصر على ريادته فى تخصصه بل تجلّت أصالتُه وعراقته فى ريادته لنشر الثقافة والعلوم باللغة العربية إذ بدأ حملةً موفقة لتعريب وتدريس العلوم باللغة العربية فى الجامعة بعد أن كانت اللغة الإنجليزية هى لغة الدراسة فى كلية العلوم حينذاك ، وثابر فى حملته فى إصرار وعزيمة لاتكل ولاتمل ولاتلين على مدى يربو على أربعين عاما ، وفى هذا المضمار أنشأ فى مطلع الثلاثينيات جمعية أنصار اللغة العربية بكلية العلوم أفرزت ظهور مجلة رسالة العلم التى جمعت أبحاث العلماء منشورة باللغة العربية مع ترجمة للمصطلحات العلمية ، وكان الفقيد رئيسا لتحريرها ويكتب لعدة عقود مقالات تناول فيها موضوعات مهمة تواكب قضايا العصر تناولها بالتحليل والمناقشة بقريحته الوقّادة . مثال ذلك : ثورة العلم - تنظيم البحث العلمى فى مصر - العلم فى خدمة الاقتصاد القومى-البحث العلمى ومشروعات الإصلاح - التخطيط العلمى للوطن العربى - الموارد العربية فى البلاد العربية - تطوّر الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية - التعبئة العلمية - بعض اتجاهات البحث العلمى . كان ذلك منذ عدة عقود . أليست هذه القضايا أيها السادة هى التى ما زالت حية فى حاضرنا تعتلج فى وجداننا ؟

كما اضطلع الدكتور منتصر بالإشراف على نشر عديد من الكتب السنوية والمحاضرات والدراسات التى تنشرها الجمعيات والهيئات العلمية والاتحاد العلمى المصرى والعربى بقدر يفوق الثلاثين مجلدا بجانب عدد من الكتب العلمية المبسطة والمقالات الصحفية ، منها سلسلة اقرأ وتراث الإنسانية والثقافة والرسالة والعلوم والكتاب والعربى والقافلة وغيرها .

أمّا على صعيد النشاط فى مجمع اللغة العربية فقد كان حافلا بالإنجازات البارزة طوال عضويته لخمسة وثلاثين عاما وأهمها ترجمة عشرات ألوف المصطلحات العلمية ونشاطه فى عضوية اللجان العلمية المختلفة بالمجمع والمشاركة فى وضع قاموس يضم خمسة وثلاثين الف مصطلح أصدرته القوات المسلحة . هذا بجانب تحقيق كتاب الشفاء لابن سينا ومقالاته المبرزة التى تعالج المشاكل الحيوية مثل مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العلمية لحلها - التفكير العلمى والإسلامى - العلم وغزو الفضاء - حاجتنا إلى معجم علمى عربى ، وغيرها وغيرها .

وقد اختارته الكويت مديرا لجامعتها التى أرسى قواعدها عام ١٩٦٤ ثم عمل مستشارا لشئون الجامعات بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٧٥

وامتد نشاطه إلى الساحة الدولية فكان عضوا فى العديد من الجمعيات العلمية الدولية مثل جمعيتى البيئة النباتية البريطانية والأمريكية والجمعية الدولية للبيئة الصحراوية بالهند ، إلى جانب بعض الجمعيات العلمية المصرية ، وكان نقيبا للمهن العلمية ورئيسا لخريجى كلية العلوم ونال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٧

هذا إيجاز شديد لمسيرة الدكتور منتصر على درب البحث العلمي ونشر العلوم وحمل رسالة الحفاظ على اللغة العربية والعمل على رقيها ورفعة شأنها والعمل على تداولها فى حياتنا العلمية .

أيها السادة :

إننى حينما أفيق من موجة الغبطة والفرح بتشرفى بعضوية المجمع الموقر ، وبعد كبح جماح هذه النشوة التى تصيب المرء فى مثل تلك المناسبات أجدنى أمام مهمة عظيمة ورسالة مُقدسّة تحتاج إلى عمل شاق دءوب اقتداءً بما قام به الأسلاف العظام وإلى ترسم سيرهم وخطاهم وفى مقدمتهم سلفى العظيم الدكتور منتصر .

وإنى حين أُعبِّر عن سرورى لاختياركم لى عضواً عاملاً بالمجمع إنما ينبع ذلك من منطلقين : أولهما شخصى إرضاء للنفس وإسعاداً لها ، والثانى لغبطتى الشديدة لرؤيتكم الثاقبة الصائبة بإدخال العلوم الحديثة ومنها العلوم الهندسية والتكنولوجية التى لى شرف الانتماء إليها لتخدم اللغة العربية ، ولتخدمها اللغة العربية ولتثبت أنها قادرة على العطاء ومواكبة مستحدثات العصر بتوسّع أقيستها بالتوليد والاشتقاق والتجميع فلا يخرج على العالم مصطلح أو مفهوم علمى أو تقنى جديد إلا وجد ما يقابله ويعبر عنه باللغة العربية بدقة وصدق تامّين ، ولا يقتصر دور اللغة على كونها وسيلة تفاهم وكونها وعاء يحتوى فكرَ وتراث الأمة وحضارتها وثقافتها بل يمتد إلى اقتحامها للمستقبل تواكب تطوراته وتساير ابتكاراته ومستحدثاته .

وفى ظروف مجتمعنا العربي يمكن بواسطة نشر المفاهيم والمصطلحات العلمية والتكنولوجية الحديثة نقل هذه التكنولوجيا إلى الجماهير العريضة التى تعيش فى ضباب التخلف تتطلع إلى نور العلم وضياء المعرفة وبهذا السبيل يكون

القضاء على التخلف والتدنى الحضارى والذى كثيرا ما نوصم به ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال فى حديثه الشريف :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به » .

وفقنا الله لأداء الرسالة بنشر علم ينتفع به.

وقبل أن أختتم كلمتى أدعو الله أن يرعى بعنايته السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع وأن يسبغ عليه نعمة الشفاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد على سالم الصباغ

عضو المجمع

كلمة المجمع

فى استقبال العضو الجديد

الاستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى

للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقى

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس الجليل :

السادة أعضاء المجمع الموقر :

سيداتى ، سادتى :

يسعدنى أن أزفَّ إلى موكب الخالدين فى ثانى أيام عيد استقبال زملائنا الجدد علمًا من أعلام اللغة والفكر ، قد يسَّره الله للانضمام إلى الركب بما أنعم عليه من علم وفضل ، وما زوَّده به من خُلُق ودين ، وما أسبغ عليه من تقوى ورضوان - ذلكم هو الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، الذى زكيتم بعون الله ترشيحه والله يزكى من يشاء ، وأهديتموه للجنة الفلسفة خيراً وبركة على أعمالها فى استخلاص تعريفات مصطلحات الفلسفة الإسلامية العربية من كتب التراث التى له فى تحقيقها إسهاماته التى تشهد له بطول الباع فهو فى تأصيلها لايشق له غبار .

ولد الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى يوم التاسع عشر من ديسمبر سنة ثلاثين وتسعمائة وألف بقرية بنى ماضى مركز ببا محافظة بنى سويف- حيث تلقى تعليمه الأولى وأتم حفظ القرآن الكريم . ومن معهد القاهرة الدينى حصل على الابتدائية الأزهرية بتفوق عام ١٩٤٨ ، وعلى الشانوية الأزهرية عام ١٩٥٣ . وفى نفس العام الميمون (١٩٦٣) تسنَّم مرتبتى شرف الشهادة العالية من كلية أصول الدين جامعة الأزهر (فى العقيدة والفلسفة) وليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة

حيث عُيِّن معيداً بقسم الفلسفة بهذه الكلية . وبعد حصوله على الماجستير في الفلسفة الإسلامية (١٩٦٩) عُيِّن مدرساً مساعداً بالقسم (١٩٧٢) ثم أوفد إلى كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن - التي حصل منها على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية (١٩٧٧) وعُيِّن مدرسًا بالكلية ، وهناك تدرَّج في وظائف أستاذ مساعد (١٩٨٤) فأستاذ (١٩٨٩) فوكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث (بين عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٢) .

ولقد تهيأ للدكتور الشافعي منذ بَزغ فجرُ نبوغه كوكبةٌ من الشيوخ الأعلام الذين تتلمذ عليهم فانطبع بهم وسار على دربهم . فهو يزهو بأنه التحق بمعهد القاهرة الابتدائي عام ١٩٤٤ في عهد الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، ثم بالمعهد الثانوي (١٩٤٨) في عهد المجمعي الكبير العلامة الشيخ عبد الرحمن تاج ؛ ويعتزُّ بأن من شيوخه الذين تأثر بهم واقترب منهم في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية : فضيلة الشيخ أشهب القاضي أستاذ النحو بمعهد القاهرة ، وفضيلة الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد أستاذ المنطق - اللذين أرسيا في تكوينه قواعد توجُّهاته اللغوية والفكرية إلى جانب المنابع الثَّرَّة التي نهل منها في بيت أبيه العالم الأزهري أحد رجالات التعليم بوزارة المعارف ، ثم على يد فضيلتي الشيخين الجليلين عبد الرحيم فودة ومحمد كامل الفقي - الذي صار عميداً لكلية اللغة العربية .

ويذكُر الشافعي بالفضل أساتيذه الذين تعهدوا زغب جناحَي تحليقه في سماء اللغة والفكر بدار العلوم - لغوياً وأدبياً : الدكتور إبراهيم أنيس ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، الدكتور أحمد هيكل ، الدكتور علي الجندي ، والمجمعيين الأساتذة الدكتور عبد الرحمن السيد، الدكتور أمين السيد، والدكتور كمال بشر،

والدكتور بدوى طبانة وفكريًا وفلسفيًا : الأساتذة الدكتور محمود قاسم (العميد الأسبق الذى أشرف على بحثه للماجستير وعلى جزء من بحث الدكتوراه قبل سفره إلى لندن) ، الدكتور عثمان أمين ، الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، الدكتور على سامى النشار - الذين كانوا ينتدبون لتدريس الفلسفة بدار العلوم ، وكذا الدكتور يحيى هويدى أستاذ الفلسفة بمرحلة الليسانس بالكلية آنئذ .

أما عن شيوخه بكلية أصول الدين فى نفس فترة الطلب بدار العلوم فهو يذكر بالفضل فى توجيهه العلمى والروحى : الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود (الذى رعاه أكثر من خمسة عشر عاماً) ، الأستاذ الدكتور سليمان دنيا ، الإمام الشيخ عبد الرحمن بيصار ، الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون ، الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة - رحمة الله عليهم جميعاً - حتى فى جامعة لندن لايفوته أن ينتسب فى تحصيل العلم إلى المستشرقة العالمية رئيسة قسم الشرق الأوسط بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية الأستاذة لامبتون ، والأستاذ جونسون رئيس شعبة اللغة العربية بالقسم ، والأستاذ المصرى الدكتور عبد الحليم عبد الوهاب ، والأستاذ عضو المجمع المصرى داود كاون من نفس القسم أيضاً - الذين أفاد منهم فى الإشراف على دراسته للدكتوراه .

سيدى الرئيس ، السادة الزملاء :

للدكتور حسن الشافعى خمسة تآليف هى كتب المدخل إلى دراسة علم الكلام ، مقدمة فى الفلسفة العامة ، فصول فى التصوف ، فى فكرنا الحديث والمعاصر ، وآخرها (١٩٩٣) لمحات من الفكر الكلامى - عدا تآليف بالاشتراك فى المنطق ومناهج البحث ، إلى جانب تحقيقه ودراسته لكتابى « غاية المرام فى علم الكلام» و « المبين فى معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين» لسيف الدين الآمدى

- الذى زوّده بمقدمة ضافية عن المصطلح العلمى والكلامى بصفة خاصة فى التراث الإسلامى ، فصّل فيها القول عن المؤلفات العامة فى المصطلحات المستخدمة فى كافة العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية منذ « مفاتيح العلوم » للخوارزمى (٣٨٧ هـ) فالتعريفات للجرجانى (بما يتميز به من ترتيب هجائى من الألف إلى الياء وما عُنى به من مصطلحات فقهية وإن يكن بنزعة حنفية ، ومن مصطلحات صوفية بشرب يميل لصاحب الفتوحات المكية ..) حتى «الكليات» لأبى البقاء الحسينى الحنفى (المتوفى ١٠٩٤ هـ) ، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى (الذى فرغ من تأليفه عام ١١٥٨) وقال عنه محققه الدكتور لطفى عبد البديع إنه معلمة الثقافة الإسلامية بما استقصى فيه التهانوى من بحث المواضعات العلمية متدرجاً من الدلالات اللغوية إلى غيرها من الدلالات فى شتى العلوم نقلية وعقلية ..

ويستطرد مجمعيُّنا الشافعى فى إيراد مؤلفات إيرانية وهندية فى معرفة الضوابط والحدود ، ومقاليد العلوم فى الحدود والرسوم المنسوبة للسيوطى ، ودستور العلماء (جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون للقاضى الأحمد تكرى ومحققه قطب الدين الحيدر أبادى) ، ثم يتطرق بعد ذلك إلى مؤلفات خاصة فى المصطلحات الفلسفية والكلامية - كرسالة الكندى فى حدود الأشياء ورسومها ، وكتاب الحروف للفارابى ، ورسالة الحدود والرسوم لإخوان الصفا ، والحدود لابن سينا ، وكتاب الحدود للغزالى ، ورسالة فى معانى الحدود للآمدى .. إلى جانب ما وقع له هو شخصياً من مخطوطات مختصرات ورسائل مجهولة المصدر أو معلومة (لمُفتى مصر الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ أحمد الشرقاوى ..) التى تدل على مواصلة العناية بهذا الضرب من البحث كبداية للنهضة الحديثة التى يشير إلى ما ظهر من ثمارها كمعاجم فلسفية حديثة .

وعدا ما للدكتور الشافعى من ترجمتين عن الإنجليزية لكتابَى « تاريخ التشريع الإسلامى » لكولين ، و « تطور الفكر الفلسفى فى إيران » (بالاشتراك مع الدكتورين محمد السعيد جمال الدين ومحمد سراج على الترتيب) فإن له عشرة أبحاث - ثلاثة منها بالإنجليزية ، أُلقِى اثنان منها فى أكاديمية الشريعة وندوة الاقتصاديين المسلمين بإسلام أباد عن : « مبادئ علم أصول الفقه وكيف يفيد الاقتصاديون المسلمون منه » ، وعن « القاضى فى ظل الدولة الإسلامية » (١٩٨٨) - والأول منشور بمجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامى بجدة (١٩٨٤) فى نقد وتقويم كتاب تطور فقه الزكاة .

أما ثمانية البحوث بالعربية فهى منشورة بحوليات دار العلوم (عن : مشكلات تحقيق النصوص العربية) ، ومجلة الدراسات العربية والإسلامية بها (عن : إعداد الداعية المفتى) ، وضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٩٨٨ (عن : الغزالى - المنهج وبعض التطبيقات) ، أو ضمن أعمال ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها ، إسلام أباد ، ١٩٨٨ (عن : مشكلة المغالاة فى الولاء للقادة وقضية جماعة المسلمين - إلى جانب البحث المنشور مبكراً عام ١٩٨٠ بمجلة البنوك الإسلامية والاقتصاد الإسلامى بالقاهرة بعنوان : نحو تقسيم للعلوم الشرعية الإسلامية ، والبحث الذى أُلقِى مؤخراً بمؤتمر الحضارة الأندلسية المنعقد بكلية آداب القاهرة ١٩٩١ عن « ابن رشد الفقيه وكتابه : بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وعدا دراستَى النقد والتقويم لبحث الوقف الإسلامى والدور الذى لعبه فى النمو التعليمى والاجتماعى فى الإسلام - إسلام أباد ١٩٨٢ ، ولبحث « الحاجات الأساسية وتوفيرها فى الدولة الإسلامية » - المنشور بمجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامى بجدة ١٩٨٤ .

ولا يتوقف العطاء الثرُّ المتواصل للأستاذ الدكتور حسن الشافعى - فمن أبحاثه وترجماته وتحقيقاته تحت الطبع :

كتاب « الآمدى وآراؤه الكلامية ودوره فى تطوير علم الكلام » ، وتحقيقه لكتاب « عطف الألف المألوف على اللام المعطوف» لأبى الحسن الديلمى ، ثم ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية (بالاشتراك مع أستاذ اللغة العربية بجامعة برجن بالنرويج جوزيف بل) ، ودراسته بالإنجليزية لعلم الكلام الاثنى عشرى وتطوره حتى القرن السابع الهجرى (تجريد الاعتقاد) ، وتحقيقه كتاب « أساس الاقتباس » فى المنطق - بجزأيه .. كل ذلك فى جو من النشاط العلمى الدءوب الذى شمل - فيما اشتمل عليه - الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المصرية ، وجامعة البنجاب فى لاهور بباكستان ، والجامعة العالمية بإسلام أباد - التي شارك فى تأسيسها وإدارتها بكافة كلياتها وأقسامها ، كما يشارك فى تحرير (والإشراف العام على جمع مواد) دائرة المعارف الإسلامية (التى تصدرها بالقاهرة شركة سفير) ابتداء من العدد الثالث - حيث هو عضو الجمعية الفلسفية المصرية ، وجمعية التربية الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

سيدى الرئيس

سادتى الزملاء

بهذا الرصيد الجمّ من الفكر الأكاديمى التراثى الأصيل ، الذى شرّق به وغرّب - علمًا وتعليمًا ، وبحثًا ومحاضرة ، وتحقيقًا ودراسة وتأليفاً ، على طول العالَمين العربى والإسلامى وعَرضهما .. الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، فإننى - إذ أهنئه على اصطفاء الخالدين له عضوا عاملاً بمجلس المجمع ، أهنئ نفسى وزملائى خبراء لجنة الفلسفة بهذه العضوية ، التى ستفئ على أعمالها فى إعداد معجم الفلسفة العربية كل الخير والبركة ، بل أهنئ السابقين من آباء الفلسفة وشيوخها الذين أصدروا معجم الفلسفة قبل عشرين سنة بأنه قد لحق بهم على طريق الخلد مَن قد أهّله الله لخلافتهم واجتباه وهداه إلى استكمال جهودهم وحَمل رايتهم .

والله المسؤول أن يحقق على يديه الآمال ،

وأن يجعله خير خلف لخير سلف

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كمال محمد دسوقى

عضو المجمع

كلمة

الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى

فى حفل استقباله عضوًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الكبير الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس مجمع اللغة العربية .

السيد الأستاذ الكبير إبراهيم الترزى الأمين العام للمجمع .

سادتي الخالدين ، أعضاء المجمع الموقر

إخوانى وأخواتى :

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على محمد ﷺ وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وبعد :

فإن الله - تعالى - قد اختار العربية لسانًا لذكره الحكيم (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[1] فكان فى خلوده وحفظه حفظ لها وخلود (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2] . وقد قُدِّر للعربية فى صدر الإسلام الأول أن يحملها قومٌ إلى خارج الجزيرة كانوا بها معتزين ولها مخلصين ، مع سلامة الفطرة ، واستقامة الألسنة ، وقوة الدين .

وقد ساعد على هذا التوسع الأفقىّ للعربية أنها لم تعد لغةَ أدبٍ شعرى ونثرى فحسب ، يحفظه جيل بعد جيل بالرواية الشفهية ، بل غدت تحوى بنزول القرآن الكريم دينًا قيمًا ، ونظامًا للحياة متميزًا ، يعتنقه الناس عن طواعية ، ويدخلون فيه أفواجًا ، فيربطهم ذلك بالعربية لسان الوحى ، ويدعوهم إلى اتخاذها لغة لهم مع بقاء اللسان الأصلى على أفواههم ، وبعض تراثه فى ضمائرهم وعقولهم .

---

(١) الشعراء ١٩٢ - ١٩٥.

(٢) الحجر ٩ .

وتتقدم الحياة بالمسلمين والعرب ، وتمضى هذه الموجة الحضارية إلى غاياتها ، فتتأسس وتزدهر علوم دينية ولغوية ، على أساس من الكتاب الكريم ومن أجله ، وتقوم إلى جانبها علوم أخرى غير دينية وإن كان الدين يدعو إليها ويحضُّ عليها ، ويصطنع رجال هذه العلوم لغات فنية لهم فى إطار العربية وأحكامها ، ويمثل هذا التطور التوسعَ الرأسى للعربية باعتبارها لغة علم وحضارة ، بعد اتساعها الأفقى .

وقد انتفعت العربية فى كلتا المرحلتين بصبغتها القرآنية وصلتها المباركة بالوحى ، فحظيت فى ضمير الأمة بقداسة وإجلال ، حتى لقد تقرر أن معرفة المسلم ببعض من العربية وإحسان بعض المسلمين لها مطلب شرعى ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى فتاواه : « معلوم أن تعلُّم العربية وتعليمَ - العربية فرض على الكفاية ، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن ، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربى ، ونصلح الألسن المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة الاقتداء بالعرب فى خطابها ، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصًا وعيبًا »(١) .

وفى هذا يقول مجمعى معاصر : « إن حفظ البيان الذى لا يتحقق إلا بوضوح مصطلحاته ومفهوماته ، ودلالات ألفاظه ، وإدراك معهود اللغة التى نزل فيها الخطاب ، هو قسيم حفظ القرآن نفسه ، وإن أى تفريط بالمدلولات أو بالمصطلحات أو بالمفاهيم يعنى العبث والضلال الثقافى ، الذى يؤدى إلى الانتحال الباطل ، والتأويل الفاسد الجاهل »(٢) وكأنى به يشير إلى الحديث الحسن الذى رواه ابن عبد البر فى « جامع بيان العلم وفضله » عن النبى ﷺ : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٢ / ٢٥٢ . ط الرياض

(٢) إبراهيم السامرائى : فى شرف العربية : سلسلة « كتاب الأمة » قطر ، ١٩٩٤ م ، ص ١٠ .

سادتى سدنة العربية :

تعلمون أن عوامل الضعف ودواعى التقليد وكيد الأعداء قد أصابت العربية فى عهود لاحقة بما نجم عنه التحريف الغالى والانتحال الباطل والتأويل الفاسد ، وقد نهض لمقاومة ذلك صفوة كرام من أبناء هذه الأمة ، يحمون لسانها وبيانها ، ويدفعون عن هويتها وحضارتها ، ويؤكدون ذاتيتها وتميزها ، وأفضت تلك الجهود إلى مجمعكم الموقر فأخذ القوس باريها ، ووضع الأمر فى نصابه .

وإنى لأشعر - وأنا أصغركم شأنا وأقلكم علمًا - أن الأوضاع العالمية تتهيأ لدور جديد تقبل فيه شعوب كثيرة على العربية تتعلمها وتتخذها لسانًا ، وعلى القرآن الكريم تقيم عليه طريقة حياتها ، والكثير منها له بذلك عهد لم يطل ، لقد كانت العربية يتكلم بها فى الطرقات والأسواق فى بلاد ما وراء النهر إلى نحو ستين عامًا مضت ، وهم اليوم يقبلون عليها من جديد . لقد قُدِّر لى أن أتصل ببعض أبناء هذه الشعوب وما حولها من ديار الإسلام ، فما منهم من أحد إلا ويتمنى أن يتعلم العربية ويتكلمها ، وإن حالت دون ذلك حوائل تعرفونها ، يرجع بعضها إلينا ، وبعضها إليهم ، ويرجع بعض آخر إلى أطراف أخرى ، غير أن العربية اليوم تتهيأ لظروف شبيهة بالموجة الحضارية الأولى ، وإن احتوت ملامح من المرحلة الثانية . وإنا لنضرع إلى الله رب العالمين أن يبث روح النصح للعربية وكتابها فى نفوس أبناء هذه الأمة فيكونوا أهلا للنهوض بما يتطلبه ذلك الموقف من تبعات وخدمات ؛ فإن السدانة خدمة ورعاية وليست مجرد دفاع وحراسة ، وهو سبحانه خير مأمول وأكرم مسؤول .

سادتى :

إن أول واجب علىَّ فى مقامى هذا بين أيديكم أيها الخالدون أن أتوجه إليكم بالشكر الصادق على حسن ظنكم بى وتوسمكم الخير فىَّ، وإنى-على ما أعرفه

من نفسي من ضعف وقلة حيلة - لأضرع إلى الله - تعالى - أن يجعلني عند حسن ظنكم ، وأن يعينني على النهوض بأعبائه وتكاليفه ، كما أسعدني بكرامته وتشريفه ؛ فإن هذا الاختيار من أمثالكم إنما هو تكليف لا مجرد تشريف .

قد رشحوك لأمر لو فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

لقد بعث بي أبي - رحمه الله - وكان شيخًا أزهريا من بني هلال ، إلى رحاب الأزهر الشريف منذ خمسين عامًا كاملة ، فهل يحق لي أن أقول مقالة حفني ناصف :« .. فأخذت في تعلم المعارف ، في ظل الأزهر الوارف ، فحصلت منه ما قرت به عيناي ، وحمدت به عُقبى سُراى .. حتى سمعت بدار العلوم ، ذات الفضل المعلوم ، فوردت من منهلها الرائق ، فما سمِعَتْ أذني بأطيب مما قد رأى بصري ، فنظمت نظري في سلكها ، وأطربتني حمائم الفنون تغرد على أيكها . فلله من أنشأها في مصر عروسًا ، وأطلع تلاميذها في آفاق القطر شموسا ، على الهمة مبارك الطلعة ...»[1] ؟

إني مدين على أية حال لهذين المعهدين بمقامي هذا اليوم ، فحق على أن أشكر - بوجه خاص - رجالهما بما علموني ، وقوموا من لساني ، وعمروا من جناني ، فجزاهم الله بخير جزائه ، وأفاض عليهم من نعمه وآلائه ، وبخاصة المجمعيون منهم : الأستاذ الدكتور بدوي طبانة ، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد ، والأستاذ الدكتور أمين السيد ، والأستاذ الدكتور كمال بشر ، لقد جلست منهم مجلس التلميذ ، وسأظل لهم التلميذ المخلص الوفي إن شاء الله . ولا أنسى فضل شيخ الفلاسفة وكبير الخالدين الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع ، الذي ناقشني في رسالة

---

(١) مهدي علام وعبد الحميد حسن : نثر حفني ناصف ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٦ ، ٧ .

« الماجستير » ، وهأنذا اليوم أشرف بالعمل تحت لوائه ، فجزاه الله عنى خير جزائه ، وأمتعنا بعافيته وشفائه .

وشكراً خالصًا كذلك للأستاذين الجليلين اللذين تفضّلا علىّ بأول إشارة دخول إلى هذه الرحاب ، ورشحانى لهذا الأمر ، فاستوجبا الشكر كل الشكر ، الأستاذ الكبير الدكتور كمال بشر ، عميد دار العلوم الأسبق ، والأستاذ الأديب الشاعر ، إبراهيم الترزى الأمين العام للمجمع . فجزاهما الله عنى خير الجزاء .

أما الأستاذ الجليل الدكتور كمال الدسوقى فقد أفاض على من فضله ، ووصفنى بما هو أهله ، ورأى فىّ ما لا أراه لنفسى ، وحيانى أحسن تحية ، وأكرم وفادتى فى هذه المعية ، فهل أجد أحسن من تحيته لأجزيه ، وهل أملك مثل بيانه لأكافيه . إنه رجل حفظ القرآن وضمه بين جنبيه ، وهو ابن تسع سنين ، لتمضى به حياته التى نيفت الآن على السبعين إلى أركان الدنيا الأربعة ، محاضراً ومعلمًا ، وباحثًا ومنقبًا ، وجامعيًا بارزاً ، ومجمعيًا فارهًا ، والآن يؤوى إليه أخا صغيرا ، يشاركه الأمل والعمل فى خدمة العربية ، وتحرير مصطلحاتها العلمية ، فما أسعدها صحبة ، وما أنبله حاديا وهاديا ، لقد سجل تجاربه الزاهرة ، ومعارفه وتحقيقاته الفاخرة ، فى كتاب جامعٍ أسماه « الذخيرة » ، فكأنه ابن بسام هذا الزمان ، وإن لم يكتب عن محاسن الجزيرة ، بل عن علوم النفس ومصطلحاتها الكثيرة ، فضمَّن ذخيرته خمسة وعشرين ألف مصطلح علمى من الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، مع جذورها اللاتينية واليونانية ، فلله درُّه من همام ، وما أحراه أن يقرن بابن بسام – جزاه الله عنى خير الجزاء .

ولئن كان الثوب الذى ألبسنيه الدكتور الدسوقى من لطفه فضفاضًا ، يكاد يَخفَى فيه بدنى النحيل ، فإن الكرسى الموقر ، الذى شاء القدر أن أجلس فيه ،

هو أيضًا من السعة والكبر ، بحيث يخفى فيه كيانى القليل ؛ لقد شغله عن جدارة ، وأسبغ عليه هيبته ووقاره ، أستاذ جليل ، ودرعمى أصيل ، ومجمعى عريق نبيل ، هو المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام ، قامة فى العلوم سامقة ، وقمة فى العربية شاهقة ، فما أقلنى وأكثره ، وما أصغرنى وأكبره ، كيف أجلس فى مكانه ، أو أتحدث عن فكره وبيانه ، وهو شيخ شيوخى بلا كناية ، الذى أوفى فى الفضل على الغاية ، فأقول وأنا بالحياء مشمول وبالدعاء مشغول :

كان الدكتور المهدىُّ العلام شخصية ثرية متعددة المواهب فسيحة الأبعاد ، غنية بالفضائل ، سخية بالعطاء والجهاد؛ فهو الطالب المتفوق الذكى ، والوطنى المستمسك القوى ، لا يشغله هذا عن ذاك ، وهو المربى الفاضل ، والإدارى الناجح فى وقت معًا ، وقلما فى غيره اجتمعا . وهو المثقف نعم المثقف ، الجامع بين الأصالة والمعاصرة دون تحيز أو تحيف ، أستاذ اللغتين ؛ العربية والإنجليزية ، يعبر بهما فى طلاقة وارتجال ، ويعلمهما لأجيال بعد أجيال .

عانى أيام الاحتلال ، وشارك فى ثورة الاستقلال ، وأسهم فى بناء الدولة فى مجالى التعليم والثقافة ، فى العهدين الملكى والثورى ، وكان فى كل ذلك الوطنى الصادق ، والناصح الأمين ، لم يتغير هدفه ولم يخطئ طريقه . وهو رجل المؤسسات المصرية ، يخدمها فى همة قوية ، ويبث فيها من تجاريبه وخبرته ، ويترك فيها أثراً من إخلاصه وهمته ، وهى - على كثرتها الكاثرة - فى اهتمامه ورعايته على سواء . وهو المجمعى العريق عضواً فأمينًا فنائبًا للرئيس ، وهو بعدُ المؤلف المتمكن والكاتب ذو الفكر العميق والأسلوب الرشيق .

وقبل أن نعرض لبعض هذه الجوانب بشىء من البيان والتفصيل نقول : إن أبرز القسمات فى شخصيته هى كونه أستاذاً معلمًا أيًا كانت صيغة التعليم أو مجال الأستاذية ، فى مؤسسة تربوية أو فى منشأة إدارية . والغريب أنه كان ينكر - من فرط تواضعه - على نفسه وصف الأستاذية ؛ يلقاه أحد تلاميذه الذى أصبح عميداً لكلية أصول الدين بالأزهر الشريف ، فيقول له فى ولاء : ألا تعرفنى ؟ لقد كنتَ أستاذى أنت والأستاذ زكى المهندس ، فيقول له : لست أستاذك وإن درَّست لك ،أما أستاذى وأستاذك فهو زكى المهندس -رحمه الله .

وأما عاطفته القوية السائدة فهى - فيما أزعم - محبته لدار العلوم التى جسد فكرتها شخصُه ، وأعطى نموذجًا حيًا لرسالتها الحضارية ، ومهمتها التربوية ، ولست أقصد بدار العلوم المبنى أوساكنيه ، بل المعنى بما يتضمنه ويحويه ، من خدمة الدين والعربية ، والذود عن حياضهما فى سماحة قوية ، وإثراء علومهما بالمعارف الجديدة والوسائل المنهجية . على أنه ما أغفل حقوق الدار وساكنيها ؛ يكتب عن أبنائها من شيوخه الأجلاء كحفنى ناصف وتلاميذه النجباء كالشاعر محمود حسن إسماعيل ، ويدرِّس فى حلقاتها حتى تؤثر به الغير على نفسها ، ويظل وفيًا لها سواء كان فى ربوع الغرب أو أحضان الشرق ، يروى تاريخها ، ويحيى ذكرى رجالها ، ويشارك فى مجلس إدارتها أمداً طويلاً .

ومن الأمور ذات المغزى فى هذا الصدد ، التى تدل على ثبات الجوهر وإن تغير العرض ، ما بعث به من أوربا فى أوائل العشرينيات وقد استبدل بالعمامة القبعة ، ينسج على منوال أستاذيه الجارم وزكى المهندس :

فإن تك غيرت منى الليالى

وحال البعد دونكمو ودونى

فهذا رسم صاحبكم ، ولكن

(متى أضع العمامة تعرفونى)

وإذا وجب على أن ألم بأطوار حياته ، وجوانبها المتعددة التى ألمحت إليها آنفاً ، فإنى أبدأ بمثل ما بدأ به حديثه عن أستاذه زكى المهندس :

١ - فى أعرق أحياء القاهرة المعزية ، وفى حارة الروم ، ومع بداية القرن العشرين ، ولد مهدى علام ، وفى ظل الاحتلال البريطانى أتم دراسته الابتدائية والثانوية فى سن السابعة عشرة ، ليلتحق بدار العلوم ، فكان الأول بين المقبولين فيها ، ثم تخرج فيها فكان الأول بين زملائه سنة ١٩٢٢ م . ولكن هذا التفوق الدراسى لا يحول دون مشاركة الشاب الذى يتفجر حمية وطنية ، فى الثورة المصرية عام ١٩١٩ م ، ممثلاً لدار العلوم فى لجنة الشباب التى تضم ممثلى المعاهد والمدارس العليا بالعاصمة ، وكان هو ، مع المرحوم عبد العزيز عز العرب ممثل مدرسة المهندسخانة حينذاك ، يترددان - فى ملابس باعة الجرائد - على المرحوم عبد الرحمن بك فهمى سكرتير لجنة الوفد المركزية أثناء الثورة ، فى داره بشارع القصر العينى التى تشغلها دار الأدباء الآن ، ويبلغان توجيهات الزعيم سعد زغلول إلى قواعد الثورة ، ويصدران مع زملائهما المنشورات والمجلات السرية ، التى حفظت جذوة الثورة متقدة ، حتى كان ما نعلمه من أمرها .

ويحتسب الرجل دوره فى ذات الله ، ولا يذكره إلا خشية ضياع جزء عزيز من تاريخ أمته .

وواقعة أخرى أذكرها من هذه المرحلة الأولى ، تؤكد أن العمل الوطنى لم يكن على حساب طلبه للعلم ؛ فقد طلبه

بشغف وإخلاص نادرين ، يقول : « ... فى سنة ١٩١٨ ، وأنا طالب بدار العلوم ، تاقت نفسى إلى قراءة كتاب باللغة الإنجليزية غير الكتب المدرسية التى كانت قراءتها لزامًا علينا، فاسترشدت بأستاذ اللغة الإنجليزية ، فأرشدنى إلى كتاب (العادات والأخلاق فى مصر الحديثة) لمؤلفه إدواردلين .. »(١) ثم يذكر لنا أثر الكتاب فى نفسه حين قرأه وحين سافر إلى إنجلترا بعد أربعة أعوام أو خمسة ، وقارن بين عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وأحوالنا فى مصر . فأىُّ وعى مبكر ، وأى كفاية وجدّ فى البحث عن المعرفة لدى طلاب ذلك الزمان؟ ! .

٢ - ويقدَّر لهذا القاهرى العريق والدرعمى الأصيل الذى لم تشغله الوطنية عن العلم أن يسافر إلى إنجلترا ليستكمل دراساته العليا فى جامعات أكستر ، ولندن ، ومانشستر ، فيحصل منها على دبلومات فى الأدب الإنجليزى ، واللغتين العبرية والفارسية ، وفى اللغة الألمانية ، وفى علم النفس ، يتوجها بالحصول على درجة « الدكتوراه» ليعود إلى مصر فيعمل بتدريس فلسفة الأخلاق والتربية بدار العلوم ويسهم فى التوجيه الفنى للتعليم بوزارة المعارف خلال هذه الأعوام الثمانية المباركة التى ربما كان من أبرز إنجازاته فيها :

١ - إصداره كتبه الأنيقة المحققة ذات الطابعين الأدبى الفلسفى ، وهى على صغر حجمها ، تتناول مشكلات ومسائل أخلاقية بروح تربوية ، وأهمها ثلاثة :

(أ) فلسفة العقوبة :

وهو بحث فى فلسفة الأخلاق بمدخل نفسى ، يتناول دور الجزاء والعقاب فى الحياة بوجه عام ، ولذا فهو يمتد إلى مشارف فلسفة القانون أيضًا ،

---

(١) فلسفة العقوبة للدكتور مهدى علام ، ط المكتبة السلفية سنة ١٩٣٢ ، ص ٣ .

. وفيه يشرح فكرته عن « العوالم النفسية » أو الأجواء الثقافية والاجتماعية التى تعيش فيها الأمم والجماعات والأفراد ، وفى إطارها تتشكل قيمهم الخلقية . ومسالكهم العملية[١] . ويقارن - كدأبه فى سائر كتبه - بين ما يقرره علماء الغرب وما تقرره الفلسفة الأخلاقية الإسلامية بشأن الإرادة والنية ودورهما فى الحياة الخلقية [٢] ويفصح من خلال ذلك عن اتصال وثيق بالمصادر الشرعية الإسلامية كصحيح مسلم ، وتفسير الرازى ، وإحياء الغزالى[٣] ، واطلاع واسع على المصادر الغربية الفلسفية والأدبية أيضا [٤]. ويحس القارئ إلى جانب ذلك أمرين : أولهما حس المؤلف اللغوى الذى يتوسل به إلى بيان المعانى والدلالات الفنية [٥] ، والثانى أنه ينبه على جوانب الضعف فى ثقافة الغربيين وحياتهم كما ينبه على نواحى القوة ، فهو يشدد النكير على « معاملة الأمريكيين للزنوج ، والتنكيل بهم على الطريقة المشهورة ، واحتقار الأوربيين لغيرهم من الأجناس » [٦].

(ب) فلسفة الكذب :

وفيه يتناول بحث تلك الرذيلة الخلقية بمنهج نفسى ، وهو المنهج الذى غلب على دراساته الأدبية واللغوية أيضًا ، ويعرض بالتحليل لألوان الكذب وصوره المختلفة :

---

(١) فلسفة العقوبة له ، ط المكتبة السلفية سنة ١٩٣٢ ، ص ١٤ ، ١٧

(٢) السابق ١٣ ، ٢١ - ٢٥

(٣) السابق ٢٥ ، ٤٤ ، ٤٦

(٤) السابق ٣٤ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٢

(٥) السابق ٣١ - ٣٢ ، ٨٦

(٦) السابق ١٥ - ١٦

كالكذب فى العمل والقول [١] ، والكذب الصامت ، والكذب الشبيه بالصدق [٢] ، والكذب المباح [٣] ، كما يبين معايير الصدق والكذب فى المستويات المختلفة [٤] . ويبدو فى الكتاب حرصه على عرض آراء العلماء والمفكرين المسلمين [٥] ، والاستشهاد الدقيق بنصوص الكتاب والسنة ، وتكاد تكون أمثلته وشواهده فى هذا الكتاب - بما لا يقل عن ثمانين فى بالمئة - مستمدة من هذين المصدرين [٦] ، ولكنه يعرض فى الوقت نفسه آراء الفلاسفة الغربيين ؛ القدماء منهم كأرسطو وأفلاطون[٧] والمحدثين كروسو وغيره [٨] ، ولايغفل - أيضًا - نصوص التوراة والإنجيل [٩] .

ولايسع القارئ لهذا الكتاب إلا أن يلاحظ أمرين : التوثيق العلمى الدقيق لكل ما يرد فيه ، بذكر المراجع دومًا مشفوعة ببيانات نشرها الكاملة ، وهذه سمة لم تكن شائعة فى هذا الوقت الباكر ، بل تفتقدها بعض المؤلفات المعاصرة . والأمر الثانى هو جمال الأسلوب وضوحًا وسلاسة ، فى تماسك نسج وإحكام بنية ، برغم الطابع الفلسفى للكتاب .

(جـ) فلسفة العفو فى القرآن :

وقد كان به حفيًا ، ويؤسفنى أنى لم أجده فى عدة مكتبات وثيقة الصلة بالفقيد ، مما يحمل على التفكير فى إصدار الأعمال الكاملة لهذا الرائد العظيم .

---

(١) فلسفة الكذب ، ط جماعة دار العلوم ١٩٣٦ ، ص ١٧
(٢) السابق ١٦
(٣) السابق ٢ ، ٥٠ - ٧٢
(٤) السابق ٢٤ ، ٧٣- ٨٦ ، ٨٩ - ٩٢
(٥) السابق ١٥
(٦) السابق انظر مثلاً ص ٢٥ - ٣١ ، ٤٠ ، ٤٩
(٧) السابق ٧٢ ، ٨٧
(٨) السابق ٩٦ - ١٠٧
(٩) السابق ٣٩ - ٤١

لقد ذكر عن نفسه أنه كان من رجال الرعيل الثالث الذى اشتغل بعلوم النفس والتربية فى مصر وتابع تطبيقاتهما العملية ، الذى يضم شيخه المهندس والأستاذ عبد الحميد حسن والأستاذ محمد على مصطفى من أبناء دار العلوم كما يضم الأستاذين الكبيرين إسماعيل القبانى وأمين مرسل قنديل ، ثم وسد الأمر بعد ذلك إلى خريجى معاهد التربية ، بينما كان الفوجان السابقان : الأول (حسن العدل ، ومحمد شريف) والثانى (على الجارم ، ومصطفى أمين، وأحمد عبده خير الدين) خالصين لأبناء دار العلوم ، وهذه أمور لم يذكرها للمباهاة بل لأنها جزء من التاريخ العلمى والتطور الثقافى لمصر الحديثة .

ومن إنجازاته أيضا فى هذه المرحلة الثانية من حياته اشتراكه فى المكتب الفنى لوزارة المعارف عضواً فمديراً ، وإسهامه القوى فى هذه الفترة فى إصدار « تقرير التعليم الثانوى » سنة ١٩٣٦ م .

ومنها قيامه - بناء على انتداب من وزارة المعارف سنة ١٩٣٠ م بطلب من السراى الملكية - بتعليم الأمير فاروق ولى العهد الملكى آنذاك ، لمدة عام أو تزيد قليلا ، مع أربعة أساتذة آخرين ، اثنان منهما للفرنسية والإنجليزية ، والآخران للرياضة والرسم ، ولركوب الخيل ، أما سائر المواد فكان يقوم هو بتدريسها ، وكانت أفكاره التربوية الحرة ورفضه تزييف التاريخ سببًا فى التعجيل بإنهاء انتدابه لهذه المهمة التى تمثل - كما يقول - تجربة نادرة فى حياته [١] ، وهى برهان صدق على أمانته وإخلاصه ، وإيثاره الحق على ما يطمع فيه بعض الناس من مطامع الدنيا .

وكان آخر إنتاج له فى هذه الفترة بحثًا من نوع آخر عن (فلسفة المتنبى من شعره) كانت نواته محاضرة عامة ألقيت بقاعة المحاضرات بدار العلوم عام ١٩٣٦ م ، وأذيعت من إذاعة القاهرة فى

---

(١) المجمعيون فى خمسين عاماً ٣٢٧ - ٣٢٨

العام نفسه ، ونشرت بصحيفة دار العلوم فى العدد الأول من عامها الثالث ، ويبدو أنه ثمرة العمل الجديد الذى انتقل إليه بقسم اللغة العربية بدار العلوم . وسنعرض لهذا البحث ضمن كتابه « دراسات أدبية » الذى نشره فى السبعينيات جامعاً لأهم بحوثه الأدبية .

٣ - ثم شاء الله - تعالى - أن يسافر الرجل إلى خارج وطنه ، منتدباً للتدريس فى جامعة « مانشستر » من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٨ م ، يعلم العربية والعلوم الإسلامية ، و« يلقى محاضرات فى أنحاء الجزيرة البريطانية عن الآداب العربية ، والفلسفة الإسلامية ، والحياة المصرية » (١)

ومن ثمار هذه الفترة بعض الأعمال التى نشرها فى مصر فيما بعد ، ولعل منها دراسته عن فن المقصورة فى الأدب العربى التى نشرت فى حوليات كلية الآداب بجامعة إبراهيم باشا (عين شمس لاحقًا) سنة ١٩٥١ م ، وضمَّنها كتابه « دراسات أدبية » .

ومن ثمارها أيضًا ما تضمنه كتاب « إسلاميات » الذى أصدرته مؤسسة « مودى جرافيك » للنشر ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٩٠ م ، ويتضمن مجموعة أحاديث كانت أذيعت من المحطة العربية لإذاعة لندن أثناء مقامه هناك ، وقد اختار الرجل أن يذيع من هذا المنبر المؤثر فضائل الإسلام ويجلى حقائقه من خلال كتابات عدد من المفكرين الإنجليز الذين امتازوا على سواهم - كما يقول - « بتوفرهم على البحوث الإسلامية وبإخلاصهم للعلم فى ذاته ، وبتنزههم عن الغرض الذى يضل بالكاتب عن سواء السبيل ، ولم أدخل فى هذه السلسلة من غير المستشرقين .. إلا توماس كارليل ، وذلك لميزة امتاز بها ؛ وهى أنه كان أسبق الكتاب الإنجليز إلى إنصاف نبينا عليه الصلاة والسلام وديننا الحنيف .. » (٢)

ثم يعرض فى إيجاز واضح وبأسلوب مشرق ، مع تعليقات ذكية ، وإلماحات نفاذة ، آراء السيد توماس آرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) تلك الدعوة التى ذاعت فى

---

(١) محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم ص ٢٥٠
(٢) دراسات ١٤٧

مناطق عديدة من آسيا وإفريقيا فى فترة الضعف السياسى للأمة الإسلامية ، مما يرد التهمة التى أطلقها بعض خصوم الإسلام من انتشار دعوته بالسيف .

والأستاذ جب فى كتابه (وجهة الإسلام) الذى يقرر فيه أن اقتباس البلاد الإسلامية لبعض جوانب الحضارة الغربية المعاصرة لا ينافى (أن العوامل الفعالة للإسلام من حيث هو عقيدة ، ومن حيث هو قانون للحياة ، ومن حيث هو نظام أخلاقى لسلوك البشر ، ما زالت قائمة على أساسها) (١) .

ثم يتناول بطريقته المتميزة الكتاب الذى أشرف عليه روزنتال عن الحضارة الإسلامية بعنوان (تراث الإسلام) ، وما حواه من فتوح المسلمين الحضارية ، فى العلوم الطبيعية والطب ، والرياضيات والفلك ، والجغرافيا والتجارة (٢) .

ثم يختتم تلك الأحاديث بالموقف النبيل الذى سجله كارليل فى كتابه (الأبطال) إذ عمد إلى إنصاف المصطفى ﷺ ، وإبطال المزاعم والأكاذيب التى أُلصقت جهلاً وتعصبًا بشخصه الشريف ﷺ وبدينه الحنيف (٣) .

ويبدو أنه لانشغاله بأعباء التدريس هناك ، ونظراً لظروف الحرب التى أثرت على كلٍّ من إنجلترا ومصر ، لم ينشر الكثير فى هذه الفترة القلقة ، وهى السبب فى قلة مؤلفاته نسبيًا بوجه عام بالنسبة لرجل على هذا القدر من الثقافة الموسوعية والاهتمامات العلمية ، لكن هذه الفترة على كل حال زادته معرفة بالفكر الغربى ، وأتاحت له أن يمتلك زمام اللغة الإنجليزية ، الأمر الذى ظهر أثره فى نشاطه بمصر عقب عودته سنة ١٩٤٨ م .

ومن أنشطته خلال هذه الفترة أنه فى سنة ١٩٤٥ مثل الحكومة السعودية - منتدباً من الحكومة المصرية - فى أول اجتماع للأمم المتحدة فى لندن لتأليف هيئة اليونسكو(٤) .

---

(١) السابق ١٥٣ - ١٥٤

(٢) راجع السابق ١٤٧ - ١٥٤

(٣) السابق ١٥٨ - ١٦٢

(٤) المجمعيون فى خمسين عاماً .

٤ - عاد الرجل إلى وطنه الحبيب على شوق ولهفة بعد غياب طويل ، وعمل لدى وصوله بوزارة المعارف كبيراً لمفتشي اللغة العربية قرابة عامين ، وانتقل في سنة ١٩٥٠ إلى العمل الجامعي الذي ظل هو عمله الأساسي حتى انتقل إلى جوار ربه ، وإن لم يمنعه ذلك من النهوض - منتدباً من الجامعة - بأعمال فنية وإدارية تطول أو تقصر ، يعود بعدها الى رحاب الجامعة ، وتعتبر هذه الفترة التي امتدت أكثر من أربعين عامًا أخصب فترات حياته بالعطاء ، وإن كانت مؤلفاته المطبوعة باسمه قليلة ، فقد أسهم في أنشطة عديدة ، وكان الكثير من جهوده الفكرية تقارير فنية ، أو مراجعات لبعض الترجمات ، أو ترجمةً منه لأعمال الآخرين ، أو فحصًا لأعمال علمية ، أو إشرافًا على رسائل جامعية ، أو تدريسًا لطلاب الدراسات العليا .. ويبدو أنه كان عازفًا حينئذ أن ينسب لنفسه عملاً يضيفه إلى رصيده الشخصي ، مؤثرًا على ذلك أن يتقاسم المعرفة مع الآخرين ، ويمارس معهم جهداً مشتركًا غايته في النهاية خدمة وطنه بإعداد شبابه وصقل ملكاتهم .

ومن أهم أعماله التي نشرها في هذه الفترة :

١ - كتاب « دراسات أدبية » : الذي جمع فيه خمسة بحوث أدبية : أشرنا إلى واحد منها من قبل وهو بحثه عن « فلسفة المتنبي من شعره » [(١)] ، وهو يجمع فيه بين المنهج التاريخي الاجتماعي والمنهج النفسي في دراسة النصوص الأدبية ، ويكشف البحث عن اهتمام مبكر بالمتنبي لم يتوقف بل استمر حتى نشر بمجلة المجمع ، سنة ١٩٦٣ م ، بحثا آخر عن « المتنبي بين نفسيته وشاعريته » ، يحاول فيه التوغل في نفسية أبي الطيب وعالمه الخارجي الذي يتسم بالتوتر والتعقيد ، ويقارن بينه وبين بعض المفكرين الغربيين ، وأحسب أن منهجه التحليلي

---

(١) دراسات أدبيه ، ط القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣- ٦٤

فى هذا البحث أكثر نضجاً وأقرب إلى الطابع النفسى [١] ، ويضم الكتاب أيضاً النصّ المحَقق لمقصورة حازم القرطاجنى مسبوقاً بمقدمة عن فن المقصورة تكشف عن حقائق هامة فى هذا الفن ، وفى التحقيق جهد كبير واقتراح لبعض الرموز والأدوات التى نعتقد أنه أخذها عن تحقيقات المستشرقين الذين يستخدمون هذه الرموز[٢] ، ويختم الكتاب بما أشرنا إليه آنفاً من البحث فى شعر محمود حسن إسماعيل .

٢ - كتاب « نثر حفنى ناصف » الذى يغلب عليه الطابع التحقيقى التسجيلى ، وقد شاركه فى إصداره الأستاذ عبد الحميد حسن ، وكيل دار العلوم الأسبق ، وصدراه بمقدمة موجزة عن شخصه وحياته ، أتبعاها بمقدمة ضافية عن حياته وفنه كتبها ابنه مجد الدين حفنى ناصف [٣] .

ثم كانت إسهاماته العديدة فى المؤسسات المصرية المختلفة حتى أسميناه « رجل المؤسسات » ؛ وذلك :

١ - أنه فى سنة ١٩٥٠ عُيِّن أستاذاً بجامعة إبراهيم (عين شمس الآن) فأسهم فى إنشاء كلية الآداب ، وشغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها ، وكرسى الأستاذية للغة الإنجليزية وآدابها أيضاً ، وظل - حتى بعد تقاعده - يدرس لأبنائها أستاذاً غير متفرغ حتى لحق بجوار ربه ، وذلك هو عمله الأساسى الذى استغرق الكثير من طاقته الزاخرة .

وقد كان شعوره نحو هذه الكلية التى أسهم فى إنشائها وتولى عمادتها هو شعور المرء نحو ولده ، بينما كان شعوره نحو دار العلوم قريباً من شعور الولد نحو أمه .

---

(١) السابق ٢١١ - ٢٤٢ (٢) السابق ١٠٠ - ٢١٠

(٣) نثر حفنى ناصف ، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، ص ز - ذ .

ومن الهيئات التى شارك فيها عضواً مؤسِّسًا « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب » منذ إنشائه عام ١٩٥٦ م ، وكان مقرراً فيه للجنة الدراسات الأدبية ، فلما طور إلى المجلس الأعلى للثقافة عين فيه عضواً ومقرراً لشعبة الآداب .

٣ - ومنها كذلك مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، فكان عضواً مؤسسًا به منذ بدايته سنة ١٩٦١ م حتى وفاته .

٤ - وعمل بكلية الدراسات الإنسانية بالأزهر مشرفًا على شعبة اللغة الإنجليزية بقسم الدراسات العليا من سنة ١٩٦٢ م إلى سنة ١٩٨٣ م .

٥ - وكان عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٦ - وعضواً بالمجالس القومية المتخصصة (مجلس الثقافة والأدب والإعلام) .

٧ - وعمل مستشاراً للمؤتمر الإسلامى بالقاهرة من سنة ١٩٥٦ م إلى سنة ١٩٦٢ م .

٨ - وكان عضواً باللجنة العليا للبعثات لفترة طويلة . ويقتضينى الواجب أن أذكر فضله علىَّ شخصيًا إذ عرضت عليه حالتى وأنا فى إنجلترا - كما روى لى أستاذى الدكتور أمين السيد - وحاجتى إلى بعض الوقت للحصول على درجة « الدكتوراه » ، فعمل بكل همة ، وكان عضواً بمجلس كلية دار العلوم ، على إنهاء الموضوع ، ولم أعلم بذلك إلا بعد عودتى وحصولى على هذه الدرجة

٩ - وعُيِّن رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر لمدة عامين من سنة ١٩٦٣ م حتى سنة ١٩٦٤ م ، وعين بعدها مستشاراً لوزارة الإرشاد القومى (وزارة الثقافة الآن) .

١٠ - وظل عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية (دار الوثائق القومية فيما بعد) لأكثر من عشرين عامًا .

١١ - ورأس بالانتداب قسم اللغة الإنجليزية بمدرسة الألسن بعد إعادة افتتاحها سنة ١٩٥١ م حتى سنة ١٩٦٣ م .

١٢ - واشترك لأكثر من عشرين عامًا فى عضوية لجان الترقية للأساتذة والأساتذة المساعدين فى اللغة العربية و اللغة الإنجليزية ،

وظل حتى وفاته عضو لجنة ترقية الأساتذة للغة الإنجليزية بجامعة الأزهر .

١٣ - وكان عضواً بالمجمع العلمى المصرى .

١٤ - وتولى رياسة تحرير مجلة (حوليات كلية الآداب) بجامعة عين شمس من سنة ١٩٥٠م حتى سنة ١٩٦١م ، كما كان قبل ذلك نائب رئيس التحرير « لصحيفة دار العلوم » خلال المدة من ١٩٣٤م حتى ١٩٣٧ م .

١٥- وأما آخر مناصبه وأجلُّها فهو اختياره نائبا لرئيس مجمع اللغة العربية فى سنة ١٩٨٣ الذى شغله حتى وفاته - رحمه الله وكان قد اختير أمينًا عامًا له سنة ١٩٧٧م وعضواً به سنة ١٩٦١م .

ويعجب المرء كيف استطاع الرجل تحمُّلَ هذه الأعباء جميعًا ، ولولا قدرته على التنظيم ومحبته لخدمة وطنه ، وجَلَده على العمل ، لما نهض بذلك كله - رحمه الله .

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت فى مرادها الأجسام

ولقد شاءت إرادة الله عزَّ وجلَّ أن يكون آخر حفل عام يشارك فيه فقيدنا الكبير هو العيد المئوى لكليته الأثيرة « دار العلوم » ؛ إذ حضره ممثلاً للخريجين باعتباره أكبرهم سنًا حينذاك ، وتحدث فى لباقة معهودة فيه عن « دار العلوم بين مباركيْن » ، وحين أهل بشيخوخته المهيبة على المنصة ، تفضل السيد رئيس الجمهورية بالقيام له وأخذ بيده ، وتخلَّى له وزير التعليم عن مكانه ليجلس إلى جانب الرئيس ، فكان ذلك الموقف الإنسانى الرائع من السيد الرئيس تكريمًا معنويًا ، فجَّر أجمل المشاعر وأنبلها لدى الحاضرين فى تلك الليلة المشهودة - رحمه الله .

كلمة أخيرة أرجو أن تأذنوا لى بها أيها الأساتذة الأعضاء :

لا أقترح على الخالدين ؛ فليست مشاكلنا اللغوية ومسئولياتنا الثقافية بخافية عليهم ، لكن لى مشاركة ما فى مجالات التحقيق ، والترجمة ، والمصطلحات الإسلامية ، وتعليم العربية لغير أبنائها .

(أ) وأبدأ بهذا المجال الأخير ، فإن الواجب يتطلب من علماء العرب - وفى مقدمتهم رجال مجمع القاهرة - أن يُعِدوا من الوسائل ما يتيح للعربية أن تتجلى بمضامينها الثقافية على ألسنة الشعوب الراغبة فى تعلُّمها بآسيا وإفريقيا ، وقد سبق للمجمع أن تعرَّض لهذا الأمر فى منتصف الثمانينيات ، وفى هذا الصدد فإن من أمسِّ الحاجات إعدادَ الكتب المناسبة لتقديم العربية إلى غير العرب - أسوة بما يفعله أهل اللغات الأخرى - فى تقديم لغاتهم لغير أبنائها بطرق ميسرة ، ومنها المعجم الذى تردد الحديث عنه فى هذه القاعة ، على أن يكون قوامه الألفاظ القرآنية استثماراً للرصيد اللغوى المتاح لدى كثير من أبناء هذه الشعوب غير العربية . وأهم من ذلك إعداد المدرس المؤهل علميًا لهذه المهمة التى يقوم بها الهواة الآن ، ولا يوجد معهد عربى بمصر يعد مثل هذا المدرس المنشود .

(ب) أما عن المصطلحات العلمية : فينبغى أن نقدِّم تحية خالصة للجهد العظيم المثمر الذى يقوم به المجمع فى هذا الصدد ، وما على مثلى إلا أن ينضم إلى ركب العاملين فى هذا المجال ، ولكن أرجو أن يسمح لى بالإشارة إلى أن معجماً مفرداً لمصطلحات الفقه الإسلامى ، ليس على طريقة الموسوعات الفقهية التى يجرى العمل فيها فى العالم العربى ، بل على طريقة المجمع الموجزة المحررة المعتمدة على استخدامات أولى الشأن ، وهم هنا الفقهاء المسلمون ، دون مقابلة هذه المصطلحات أول الأمر بمقابلاتها القانونية فى العربية الحديثة أو فى غيرها من اللغات ، لتنبثق المفاهيم الفنية من مواضعات الفقهاء وحدهم - فمثل هذا المعجم مطلوب على نحو مُلِحٍّ أيها السادة ..

(جـ) إن الترجمة من العربية وإليها سبيل إلى إثراء اللغة ودعم حيويتها ، وقد سمعنا عن أهمية الترجمة فى الأسبوع الماضى ما يتقاصر عنه بيانى العاجز ، وأذكر أن شيخ المجمعيين الدكتور إبراهيم بيومى مدكور وجَّه كلمة إلى الندوة الفلسفية التى عقدت فى رحاب جامعة الأزهر سنة ١٩٩٠ م ينبه على التفاوت الشديد بين الجهود الدائبة فى

مجال الترجمة وخاصة إلى العربية فى النصف الأول من القرن الحالى ، والتهاون الشديد فى هذا الواجب الثقافى واللغوى فى النصف الثانى منه ، وهى ظاهرة مقلقة من الناحية الحضارية ، والأمل معقود على المجمع فى مقدمة هيئاتنا العلمية لمواجهتها . وكل ما أرجوه فى هذا الشأن أن تشمل الجهود ، التى نرجو أن تنطلق من عقالها فى هذا المجال ، ما يكتب فى إفريقية وآسيا فى الدراسات الإسلامية والعربية بلغات أوروبية - أهمها الإنجليزية - وبلغات أخرى فى هاتين القارتين ؛ فإن اطلاع أبناء العربية على هذا الإنتاج الغزير الوثيق الصلة بنا وبمشكلاتنا أمر مفيد حقًا . بيد أن ذلك لا ينبغى أن يكون على حساب الترجمة عن الفكر الغربى فى ميادينه المختلفة .

(د) وأخيراً فإن هيئات عديدة فى مصر - وعلى رأسها معهد إحياء المخطوطات بدار الكتب المصرية - تشارك فى تحقيق النصوص العربية القديمة وإصدارها ، ولكن الجهود المبذولة غير كافية والثمار غير مرضية ، وربما كانت أضعف حلقات السلسة فى هذه الجهود ما يتعلق بإعداد المحقق الجيد القادر أن يعقد صلة حميمة مع النص القديم ، ليبعث طاقاته من جديد ، فتثرى به حياتنا المعاصرة ، وهو المفهوم الحقيقى للإحياء كما لا يخفى على حضراتكم ، وآمل أن يكون للمجمع دور تنسيقى بين هيئات النشر ومؤسسات التحقيق في مصر .

حفظكم الله ، أيها السادة الخالدون ، وبارك على جهودكم ، وتقبل منكم ، وجزاكم عنى وعن إخوانى الذين شرفوا بثقتكم خير الجزاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حسن الشافعى

عضو المجمع

★ ★ ★

كلمة المجمع
فى استقبال العضو الجديد
الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب
للأستاذ الدكتور سليمان حزين

عرَف المجمعُ الدكتور محمد السيد غلاب منذ ثلاثين عاماً ، أو ما يقرب من ذلك ، عرفه خبيراً فى مجمع اللغة العربية ، وكنا جميعًا نفاخر بما أضافه إلى اللغة من إضافات قيمة تتوارثها الأجيال .

وكان عمله فى لجنة الجغرافيا ، والتى يعمل بها حتى الآن ، ثم انضمامه عضواً ، وكان عمله غير مقتصر على لجنة الجغرافيا ، واخترناه ليمثلنا فى واحدة من أكبر لجان المجمع، اللغوية ، وهى لجنة المعجم الكبير ، فكان فارسًا بها . ولعل الأمر يتسع له فى المستقبل كى يكون سبيلنا إلى اللجان الأخرى ، وليس لجنة الجغرافيا فقط .

وخلف محمد السيد غلاب فى المجمع موقع صديق عزيز هو المرحوم محمد شوقى أمين ، عرفته منذ أن كنت مديراً عامًا للثقافة ، وعرفت أعضاء هذه الإدارة ، وعرفت بينهم واحداً يشغل وظيفة بسيطة فى أول السلم ، وسرعان ما لمست بشىء من الفراسة التى يتميز بها أساتذة الجامعات شخصية فذّة وأصيلة من أصلاء اللغة العربية ، على الرغم من حصوله على أولى الشهادات العلمية ، وأسنِد إليه عمل فى إدارة الثقافة ، وذهبت إلى الدكتور طه حسين قُلت له : إن لدىَّ واحداً من العاملين يستحق أن يأخذ مركزاً خاصًا ، ويكون مسؤولاً عن الإدارة الأولى للتعبير عن الثقافة والفكر وهى اللغة العربية ، لغة البلاد ، والقرآن الكريم ، وقلت له إنه شوقى أمين .

وعرفه طه حسين بأعماله ، واستمر على السماع أكثر من الرؤية وهكذا رقى شوقى أمين فوراً إلى درجة مرموقة فى الإدارة العامة للثقافة .

وعرفت كيف أدافع عن مركزى ، واشترط على طه حسين ، عند انتقاله من جامعة الإسكندرية إلى وزارة المعارف ، ألا أرقى ، إلا إذا انتقلت إلى وزارة التربية والتعليم أيضاً فضحك طه حسين ، وقال : إن كثيراً غيرك يأبى أن يخرج من الجامعة إلا إذا رقى .

وعلى هذا الأساس أعطانى كل الصدق ، فكنت أتصل به ، كما أتصل بوكلاء الوزارة ، وكنت على ثقة به فى ميدان غير اللغة العربية وحاول نقلى من قسم الجغرافيا إلى قسم اللغة العربية ، ولكنى كنت أعتذر .

وهذه هى الطريقة التى كنت أدعو تلاميذى إليها دائماً ، وكان أولها الصياد ، ومحمد السيد غلاب ، وخير الأسماء ما حُمِّد وما عُبِّد .

هكذا بدأت الصلة بينى وبين الطالب النجيب ، وشاء الله أن تكون حياة طويلة .

هكذا دخل بعد حصوله على شهادة الليسانس فى الجغرافيا سنة ١٩٤٢ ، منذ أكثر من نصف قرن ، لقد شاخ فى الجغرافيا بعد أن دخلها شاباً يافعاً خدم الجغرافيا خدمة تجمع بين العلم واللغة العربية .

وليس أشرف ولا أنبل من العلم لدى الإنسان فى حياته وكذلك ولغة الأمة ولغة التاريخ ، اللغة التى اختارها الله لتكون لغة القرآن . اللغة التى إذا نظرنا إليها فى التاريخ فإننا نجد أنها أقدم اللغات الحية استمراراً ، وتاريخها يرجع إلى أربعة عشر قرناً منذ أن بدأ العرب يكتبون بها . ومنذ كتابتهم للشعر الذى طربنا له من موسيقى ، وتصوير .

ولو ذهب إنسان إلى فرنسا وقرأ فى الشعر الفرنسى الذى مضى عليه ألف عام لما استطاع أن يفهم كثيراً منه ، ولاستغرب من هذه اللغة . وأيضاً فى اللغة الإنجليزية نجد الشعر لايفهمه القارىء العادى هذا فضلاً على تذوقه .

والحقيقة لاتكاد لغة تدانى اللغة العربية غير لغة أهل الصين الذين يتذوقون ماضيهم اللغوى ويفتخرون به .

إننا فى بلد لها ماضٍ عريق ، ومجمع اللغة العربية له مكانته المتميزة ؛ لذا نستطيع أن ندرك مدى السعادة عندما رأيت هذا الطالب الحصيف خبيراً به منذ ثلاثين عاما ، ثم عضواً به الآن .

هذه حياة تستحق أن تحيا ، مستقبل يربطنا بالماضى ، ونحن أشخاص زائلون ، وبقاؤنا يكون عن طريق هذه اللغة ، لغة القرآن الكريم .

حصل محمد السيد غلاب على درجة الماجستير على يدى فى جامعة إنجلترا ، ثم حصل على الدكتوراه من مصر ، لأنه أراد أن تكون درجة الدكتوراه فى وطن عربى ، وأرض عربية ، وليس فى الجغرافيا فقط ، بل فى اللغة العربية العلمية ، واللغة الجغرافية ، وأنه رد إلى الفكر العربى ، وحدته بين العلم والأدب ، وبين التعبير العلمى واللغوى ، وبين العصبية وليس التعصب . وهذا الذى جعل اللغة العربية تميزت بأنها أقدم اللغات .

عرف محمد السيد غلاب الجغرافيا التاريخية ، ثم تحولنا إلى الجغرافيا الحضارية التى تدرس الطبيعة والبيئة التى ترسى حضارة الإنسان والبيئة والنمو بينهما .

ومبلغ سعادتى أن أرى معى التلميذ النجيب ، والأستاذ الحصيف المتقدم معى فى هذا الميدان . إننى قبل أن أهنئه ، أهنىء نفسى به ، وقبل أن أرجو له امتداد الحياة والصحة فى العمل ، أرجو أن يهيىء الله لنا الأسباب فى هذا المجمع للتعاون مع أهل اللغة والعلم وهم السائرون فى درس المعرفة . وهذا آخر ما أحب أن أضيفه من كلمات . وأدعو الله أن يصون المجمع ، يصون لنا هذا الصرح الذى تبنيه متكاتفين ، علماء ولغويين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سليمان حزين
عضو المجمع

★ ★ ★

كلمة
الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب
فى حفل استقباله عضواً بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

أستاذى رئيس مجمع اللغة العربية ، أساتذتى وزملائى أعضاء المجمع المبجلين . أحمد الله إليكم أن انتخبتمونى لعضوية هذا المجمع الجليل ، لأكون زميلا لكم . نعمل فى خدمة العلوم والفنون التى نتخصص فيها من خلال خدمة اللغة العربية ، التى شرّفها الله سبحانه وتعالى ، فأنزل كتابَه الكريم بها ، وبذلك كُتِب لها الخلودُ ، فهى بإذنه باقية شامخة تليدة متجددة مشرقة أبدا ، ما دامت السماوات والأرض .

وإنه لشرف عظيم أن اشترك فى أعمال هذا المجمع ، وفى وضع المصطلح العربى لما جدّ فى حياتنا العقلية من علوم وفنون ، وفى حياتنا العامة من مصطلحات الحضارة الحديثة ، ولا أخالكم إلا عالمين أن وضع المصطلح والتعريف فى العلم هو قمة الإلمام به والتعمُّق فى فهمه ومعرفة دقائقه ، وهذا مصداق قول ربنا فى كتابه الكريم « وعلّم آدم الأسماء كلها » فنحن إذ نجهد فى طلب العلم ، إنما نجهد لاستجلاء هذه الأسماء .

وتزخر علوم الجغرافيا بفيض هائل من المصطلحات ، يأتيها من طبيعة هذه العلوم نفسها ، فهى من ناحية تتصل بالبيئة والأرض ، بصخورها وتربتها وما يُغَطِّيها من نبات ويعيش من حيوان ، وما يلفها من غلاف جوى ، باضطرابه ، وما يحمله من سحب ، وما يسقطه من مطر أو ثلج ، كما أنها من ناحية أخرى تدرس الإنسان وتتصل بمجموعة العلوم الإنسانية ، فتدرس النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى إطارها الطبيعى ، فالجغرافيا هى العلم الذى يدرس الأرض

بوصفها وطناً للإنسان ، الجغرافيا هى علم المكان ، وهذا المكان له زمان ، وهو ليس فى حالة سكون ، بل هو فى حالة حركة باستمرار ، يتطور خلال الزمن ، فهو علم ذو أبعاد ثلاثة ، بُعْد مكانى وبُعْد إنسانى وبُعْد تاريخى ، وهو العلم الذى يربط العلوم الفيزيائية والحيوية بالعلوم الإنسانية .

ولحضارتنا تراث تالد فى الجغرافيا ، فقد رسمت أول خريطة فى العالم لجزء من أرض مصر ، هى مناجم الذهب فى جبال البحر الأحمر منذ خمسة آلاف سنة ، وعثر على خريطة لبابل فى غضون الألف الثانية قبل الميلاد . واستطاع إيراتو ستين العالم السكندرى أن يقيس محيط الكرة الأرضية فى القرن الثالث قبل الميلاد . كما أن جغرافيًا مصريًا آخر كان أول من رسم خريطة للعالم فى هذا الحين . وازدهرت المدرسة الجغرافية العربية الإسلامية ، إبان ازدهار حضارة الإسلام . وإذا كان العالم يتجه بشدة نحو العالمية ، فإن الجغرافيا لَقَمِينَةٌ أن تقوم بدور فعال فى التعريف بهذا الكوكب ، ودراسة علاقاته المتشابكة ، التى تربط شعوبه بعضهم بالبعض .

أيها السادة أعضاء المجمع :

إننى فى هذا المقام لأذكر بالفضل والامتنان أساتذتى الذين أوصلونى لهذا المكان ؛ فلقد تهيأت له منذ ما يزيد على خمسين عاما إذ نشأت شأن أترابى فى ذلك الحين فى مناخ من الحرية الفكرية كان يسود الحياة الثقافية فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن . كنا شبابا ننهل الثقافة من مجلات الرسالة والثقافة والهلال والمقتطف ، نترنم بشعر شوقى وحافظ ، نتابع حديث الأربعاء لطه حسين ، نطرب لما يدبجه قلم الرافعى ، نفكر فى ما يكتبه العقاد وهيكل ولطفى السيد ، نستمتع بروايات المازنى ومسرحيات توفيق الحكيم . هذه هى المدرسة الكبيرة التى تَنَسَّم فيها جيلنا رياح الحرية الفكرية ، وتعلم فيها أدب العربية الفصحى .

وقد كنت محظوظا إذ تلقيت العلم فى كلية الآداب على أيدى كوكبة من العلماء الأفذاذ ، منهم إبراهيم بيومى مدكور ، ومحمد شفيق غربال ، وفى هذا الوقت وقعت فى أسر أستاذ كبير ، كان فى ذلك الحين آخر

الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات فى مطلع شبابه ، سحرنى بيانه فى تقديم علم الجغرافيا فى المدرج الكبير بكلية الآداب ، هذا الأستاذ الكبير هو معلمى وأستاذى ورائدى سليمان حزين ، فخرجت من المدرج إلى قسم الجغرافيا على النيل لا ألوى على شيء ، وانتظمت فى هذا القسم ، ومنذ ذلك الحين عام ١٩٣٨ ظللت أنهل من فضل علمه ، وظل هو يوجهنى ويرشدنى جزاه الله خيراً بقدر ما أحسن إلىّ وإلى أبناء جيلى كلهم ، ومدّ الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية .

وفى هذا القسم العتيد أخذت العلم أيضا على يد مصطفى عامر بتفكيره المرتب الدقيق ، وعلى محمد عوض محمد بأدبه الرفيع وبتجواله الفكرى الواسع ، ومحمد متولى بحرفيته الشديدة وتدقيقه الأشد ، وغيرهم .

وكان من توفيق الله أننى خرجت ضمن أول بعثة تسافر إلى إنجلترا بعد نهاية الحرب العظمى الثانية مباشرة ، واتصلت اتصالا مباشرا بالفكر الأوربى ، ونهلت من منابعه ، ولا أنسى فضل أستاذى والتر فتزجيرالد ، فقد أخذنى بالشدة والصرامة كما كان يفعل زميله محمد عوض فى مصر ، ومن ثم كان طلب العلم بالنسبة لنا مكابدةً وجهداً ونَصَبًا ، فكنا ننشد الكمال ما وسعنا الجهد ونتوخى الإتقان ما وجدنا للإتقان سبيلا . وعدت لأدرس فى الجامعة . وفيها تعلمت الكثير من مخالطة زملائى ، وتعلمت أكثر من تلاميذى ، فإليهم يرجع الفضل الأكبر لما وصلت إليه ، فمن أجل أبناء وطنى من الطلاب أقرأ وأبحث وأنتج ؛ عسى أن أرد بعض الجميل لهم . فأهلهم قد هيئوا لى سبيل العلم ، ومن كدهم أنفقت الدولة على تعليمى فى مصر والخارج .

وقد قمت فى الخارج بدراسة أقطار غير بلدى ، فوليت وجهى قبل المشرق العربى ، أرض الجذور الثقافية العربية ، فدرست الجغرافيا التاريخية لفلسطين ثم استكملتها فى مصر بدراسة الجغرافيا التاريخية لسوريا ولبنان .

وفى الخارج أيضاً استهوانى علم جديد نما تحت ظروف الحاجة لتعمير ما خربته الحرب العالمية الثانية ، وهو علم تخطيط المدن ،

وعملت على إدخال جغرافية العمران فى جامعة الإسكندرية ، وفى الخارج أيضاً بدأ اهتمامى بدراسة السكان ، وعندما عدت إلى جامعة الإسكندرية عملت على تأصيل جغرافية السكان .

وقد منحتنى جامعة القاهرة فرصة العمل فى معهد الدراسات الإفريقية ، فنهضت بهذه المهمة منذ ثلاثين عاماً ، حتى تطور وأصبح معهداً متخصصًا مستقلًا ، فإلى هذا المعهد أدين بكثير من الفضل .

ولم يكتمل إعدادى جغرافيًا إلا بالرحلات العديدة التى هيأها لى مكانى فى جامعة القاهرة ، بحضور أكثر من عشرة مؤتمرات دولية، كنت أتعلم منها الكثير ، فعاينت آثار الجليد فوق جبل مان بإقليم البحيرات بإنجلترا ، وشهدت شمس منتصف الليل بمدينة لييننجراد (بترزبرج) ، ووقفت على شواطىء البحر البلطى فى ميناء ريجا . ورأيت صف السفن الداخلة إلى قناة بنما ، وبهرتنى شلالات نياجرا الهادرة ، وهبطت إلى بحيرة ناكورد القابعة فى قاع الأخدود الإفريقى العظيم ، وتسلقت أحد البراكين الهامدة فى كينيا ، واخترقت مسارح الحيوان الوحشى فى ضواحى نيروبى ، وتقابلت مع قبائل الماساى والجالا فى كينيا وإثيوبيا ، وزرت المكتبة الإسلامية فى طشقند ، وشارفت الغابة الصنوبرية الموحشة فى ضواحى موسكو ، وعانيت الظمأ الشديد فى سهوب كردفان .

أيها السادة أعضاء المجمع :

لى كبير الشرف أن أُختار فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد شوقى أمين ، الذى سبق ميلاده مولدى بعشرة أعوام ، والذى أشترك معه فى الأصل الصعيدى والأرومة العربية ، وأشترك معه أيضا فى أننى عملت طويلاً فى المجمع خبيرا قبل أن أنتخب عضواً فى العمل .

كان المرحوم الأستاذ محمد شوقى أمين من رجال الأزهر الشريف ، ترك دراسته النظامية مبكرا وتفرغ للبحث والدراسة فى علوم اللغة والأدب والشريعة ، ملازما لدار الكتب والخزانة الزكية بقبة الغورى .

ونشط قلمه للكتابة ، وتولى عام ١٩٣٠ تحرير مجلة الشاعر ، وعين محرراً بالمجمع منذ الدروة الأولى لانعقاده عام ١٩٣٤ وعمل محرراً لثلاثة من فطاحل الفكر واللغة العربية ، هم : محمد توفيق رفعت ، وأحمد لطفى السيد - وطه حسين .

وكان يحرر بابًا ثابتا فى مجلة الهلال واشترك فى تحقيق ديوان بشار بن برد بأجزائه الأربعة ، كما تولى تحقيق ديوان السيدة عائشة التيمورية ، وتولى إخراج كثير من مؤلفات أحمد تيمور ، واختاره معهد الدراسات العربية ومعهد الدراسات الإسلامية للمحاضرة فيهما فى موضوع اللغة العربية وقضاياها .

وانتخب لعضوية المجمع عام ١٩٧٤

تغمده الله بواسع رحمته .

أيها السادة .

ما كان لى أن أصل إلى هذا المكان إلا بفضل الله ، إذ أنشأنى فى أسرة عملت بدأب وإصرار وصبر على تربيتى أحسن تربية ، فهى التى غرست فىَّ حب القراءة ، كما غرست فىَّ مبادىء الأخلاق والمثل العليا والصلابة فى الحق والاعتداد بالنفس ، فإلى والدَىَّ أتقدم بالشكر والعرفان ، فعسى أن تقر روحاهما الطاهرتان رضًا عنى ، تغمدهما الله بسابغ رحمته . إنه سميع الدعاء .

وفى النهاية لا يفوتنى أن أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى رفيقة دربى التى أحاطتنى بكل أسباب الرعاية والتشجيع منذ كنت طالباً بالبعثة . جزاها الله خير الجزاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد السيد غلاب

عضو المجمع

★ ★ ★

ثانياً - التأبين :

★تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

★تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر

★تأبين المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات

كلمة المجمع
فى تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام
للأستاذ الدكتور شوقى ضيف
الأمين العام للمجمع

السيد الرئيس – السادة الزملاء – السيدات والسادة :

الدنيا ليست بدار قرار ؛ إنما هى دار كون وفساد ، وجسر ممتد إلى طريق الموت ، فكل حىٍّ إلى فناء ، مهما طال به البقاء ، لا مفرَّ منه ولا ملجأ ولانجاة ، فالكل راحل وكل شخص ينتظر دوره ليرتحل عن دنياه رحلة لا أوبة منها ولاعودة . وتلك سنة الله فى خلقه ؛ إذ أمر الحياة كلّه يعود إليه ، و هو يصرِّفه كما يشاء . وكما قدر لنا الحياة قدر لنا الموت ؛ فلكل إنسان أجل محتوم وعمر محدود لا يعدوه ، و لايستطيع أحد أن يرد عنه عادىَ الموت وما كتب له فى ألواح القدر من انقضاء الأجل فذلك قضاء الله ولا معقِّبَ لقضائه ولارادَّ لقدره . وعجيب شأن الناس يشيِّع بعضُهم بعضًا إلى الدار الباقية ، و يحزنون ويلتاعون ويعودون فيتعلقون بالدنيا ومآربها وكأنما ينسون الموت وهو يدقُّ الأبواب من حولهم وأطيافه وأشباحه تحفُّ بهم من كل جانب . وهل الخلق إلا ودائعُ له يستردها وديعة بعد وديعة ، ولابد يوما أن ترد الودائع ، وقد استرد من أعضاء المجمع هذا العام سبعة من أعلامه فى فترات من الزمن متعاقبة متقاربة ، و كان من بينهم العالم الحجة الجليل المغفور له نائب رئيس المجمع الدكتور محمد مهدى علام الذى أنفق فى محراب المجمع وخدمة لغة القرآن الكريم حقبة متميزة طوال ثلاثين عاما بل تزيد ، كان فيها مرموق المكانة واضح الأثر .

وكان دخوله المجمع تتويجا لحياة علمية خصبة قضاها فى دار العلوم وكلية الآداب بجامعة عين شمس . وسيعرض الزميل الدكتور كمال بشر هذا الجانب الجامعى الخصب فى حياته وما قبله ، أما كلمتى فسأحاول أن أعرض فيها بجهدى القاصر نشاط الدكتور محمد مهدى علام فى المجمع .

كان يتميز ببشاشته وسماحته وبشره وأنسه ولطفه وصفاء نفسه ، مما جعلنا نشعر بغير قليل من الأسى لحرماننا من لقائه ومن علمه العميق بالعربية ، وقد أعطى المجمعَ كلَّ وقته منذ دخله ، وكلَّ نشاطه وكل ما وسعه من آراء صائبة فى لجانه ومجلسه ومؤتمراته ، وقد خلَّف فى اللجان التى عمل بها ، وهى لجان المعجم الكبير ، والطب ، والهندسة ، ثروة لغوية قيمة ، وكان مقررا للجنة الأدب ، وكان يقترح فى كل سنة الموضوع الذى يتسابق فيه شباب الأدباء للحصول على جائزة المجمع ، ونوَّع موضوع تلك المسابقة ، فهو تارة قصة أو مسرحية أو ديوان لشاعر شاب أو ترجمة لعَلَم من أعلام الأدب أو المجمع ، وظل سنوات متصلة يعقد حفلا للفائزين فى هذه المسابقة ويلقى فى الحفل بحثا تحليليًا عن العمل الأدبى الذى ظفر بالجائزة ، وكم من أديب وباحث لمع اسمهما فى سماء الأدب المصرى والعربى لحصولهما على هذه الجائزة وكان مقررا للجنة التراث ، وسنويا كان يعلن عن جائزة لنص من نصوص التراث مُحقَّقٍ تحقيقا علميا سديداً ، وكان يفوز بالجائزة النصُّ الذى توفر له من جهد صاحبه العلمى ما كفل له عودته إلى صورته الأصلية الصحيحة السليمة ، وكثير من أعمال قيمة فى التراث أتيحت لمحققيها هذه الجائزة المجمعية ، وكان لها مثل أختها الأدبية أثرٌ كبير فى النشاط اللغوى والأدبى المعاصر .

ومن أعمال المرحوم الدكتور محمد مهدى علام المجمعية القيمة مراجعته لكثير من الكتب اللغوية التى نشرها المجمع فى الأعوام الثلاثين الماضية ، ومن ذلك الجزءان الثالث والسادس من كتاب التكملة والذيل والصلة للصاغانى ، والجزءان الأول والثانى من كتاب بنفس العنوان للزبيدى والجزء الثانى من كتاب الجيم للشيبانى ، وشرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى بقلم ابن برى العالم اللغوى المصرى ، وكتاب الأفعال للسرقسطى فى خمسة أجزاء ، وكتاب الشوارد للصاغانى ، وللدكتور محمد مهدى علام مقدمات قيمة لبعض هذه الكتب المحققة مثل مقدمته لكتاب الأفعال للسرقسطى ، وقد بدأها بقوله :

« الفعل فى كل لغة راقية على وجه الخصوص هو مصدر التعبير عن أفكار المتحدثين بهذه اللغة وهو اللفظ الذى يصور النشاط والحركة وكلّ ما تموج به حياة البشر من فكر ووجدان »

وتحدث عن الفعل فى الإنجليزية وتعدُّد معانيه بإضافة مكملات له ، وقال : « إن لغتنا العربية - بما لها من تطور عظيم - لها نصيبها من هذه الميزة وهى تعدد صيغ الفعل الثلاثى - بما يضاف إليه - لأداء معان متعددة » ، ويسوق أمثلة لضبط بِنية الفعل ، ثم يقول :

« وقد تنبه علماء العربية لأهمية الفعل فى بنائه ومصدره ومعناه كما صنع السرقسطى فى كتابه (الأفعال) الذى عرض فيه أكبر قدر من الأفعال فى خمسة مجلدات موضحا قياس تصاريفها والصحيح والمعتلّ منها ، والمجرد والمزيد والمتعدىَ واللازم ومصادر الفعل الثلاثى ومشتقاته » .

وبذلك ناقش الدكتور محمد مهدى علام موضوع كتاب الأفعال للسرقسطى وقرن الفعل فى العربية بالفعل فى الإنجليزية - وحاول أن يحيط بجهد السرقسطى العلمى فى كتابه الأفعال .

ويكتب مقدمة لكتاب الشوارد للصاغانى ، وهو كتاب يشتمل على شواذ العربية التى رواها عن العرب بعض أئمة اللغة ، وفى تقديمه له يقول :

« إن هذا الكتاب قد يعتبره بعض الناس متحفا للغة يضم المهجور منها ، ولو أنه كان كذلك لكان عملا عظيما جديرا بالدرس والتحقيق ، ولكنه يشتمل على كثير مما نحتاج إليه فى تعبيرنا اليوم ونحتال فى الوصول إلى ما نريد منه بتعبيرنا بالجملة وبالمرادف المقارب ، وقد استرعى نظرى وأنا أقرأ الكتاب - عدد من الألفاظ التى طالما تمنيت أن أجدها (فى العربية) لأضعها مقابلة لكلمات إنجليزية ، ويذكر طائفة من تلك الألفاظ المهجورة ومقابلها من الكلمات الإنجليزية .

وأسند المجمع إلى الفقيد مجلته فجعلها سوقا أدبية لمقالات رائعة لا لزملائه المجمعيين فحسب بل أيضا لصفوة اللغويين والأدباء من الأساتذة العرب والمصرّيين ، وقدَّم لبعض الأعداد مقدِّمات بديعة ، وضمنها أحيانا مقالات قيمة له ، من ذلك مقالته : « المتنبى

بين نفسيته وشاعريته » حلل فيها تحليلا نفسيا قصيدته المشهورة :

واحر قلباه ممن قلبه شَبِمُ

ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

وكان قد حسد المتنبى كثيرون من حاشية سيف الدولة لسمو منزلته منه فأخذوا يكيدون له ، وأحس المتنبى بكيدهم وأن سيف الدولة يستمع إليهم ، فأنشده هذه القصيدة يعاتبه فيها عتابًا مراً وكان قبل ذلك يمدحه مديح المعجب بل مديح المفتون بشجاعته لسحقه جيوش الدولة البيزنطية مرارا ، غير أن أناسا ظلوا يحاولون الوقيعة به عند سيف الدولة وهو يصغى إليهم فامتلأ المتنبى غضباً وأنشده تلك القصيدة وفى دخائله كما يقول الفقيد جدل نفسى خفى إذ يحاول أن يظهر الرضا عن سيف الدولة وهو فى حقيقته غاضب غضبا شديداً ، ويقول الفقيد إن المتنبى أقحم مديحه فى القصيدة بين صرختين ، ويصب على خصومه فى الصرخة الثانية هجاء يمزجه بزهو وفخر وصلف ، مُضْيفاً على نفسه كثيرا من المحامد ، والموقف موقف عتاب واعتذار لا فخار ، ويعود إلى سيف الدولة فيخاطبه بأبيات متنقلا فيها من التلميح إلى التصريح ومن التعريض إلى التقريع . ويقارن الفقيد بين هذا العتاب المعقَّد للمتنبى وصور أخرى من عتابه لسيف الدولة ليس فيها غضب ولا ثورة نفسية بل فيها رقة حس مع عزة النفس . وما يزال الفقيد يستخلص من القصيدة الكوامن النفسية فى دخيلة المتنبى أثناء نظمه للقصيدة مبينا كيف خضع لوجدانات متضاربة فى وقت واحد . وتعد دراسة الفقيد لهذه القصيدة نموذجا لدراسة الشعر العربى دراسة نفسية قيمة .

أيها السادة :

لقد كان الفقيد مُحبَّبًا إلى زملائه وأصدقائه وتلاميذه لوداعته ونبل خلقه وكان نعم الوفىُّ لمن يستقبلهم من أعضاء المجمع إذ يرسم حياتهم وجهودهم العلمية رسما دقيقا وكان نعم الوفى للراحلين منهم فأبَّن غير زميل مؤدِّيًا فيه الأمانة والشهادة الحقة وإذا كان قد خلف فراغا فى ميدان العربية وفى المجمع فقد خلف فراغًا أكبر فى قلوب زملائه وعارفى فضله . ألهمنا الله - وألهم أسرته الكريمة العزاءَ فيه ، وتغمده برحمته ورضوانه ، وجزاه جزاء العاملين المخلصين .

شوقى ضيف

الأمين العام للمجمع

كلمة أخرى للمجمع

فى تأبين الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

للأستاذ الدكتور كمال محمد بشر

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

السادة الكرامُ زملاءَ الفقيد وأبناءه

السادة المواسُون المواسَوْن

ما كنْتُ أتوقع أنّ قدَرى يدفع بى إلى الوقوف هذا الموقفَ الشديدَ الصعب على النفس . ولكنه أمر الله وقضاؤه الذى لا رادّ له . إن فقيدنا الراحلَ الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام أمةٌ وحده ، تَجلُّ سيرتُه عن أن يُلمّ بطرف منها عشراتُ الرجال ، لنُدرة مثالِها وعمق جوانبها واتساع مناحيها . إنه من شيوخ الأساتيذ الذين يقع منهم موقع الرائد والمعلم والوالدِ والأخ والصديق . فهو واسطةُ العِقد الذى لا انتظام لحبّاته بفَقْدها ، ولا ائتلاف لجنباته بغيابها . ولكنى مع ذلك أقول - تأساء وتعزية - إن غاب عنا الجسد فقد بقى لنا الفكر والمبدأ والأثر .

دفنوا جسمك فى التراب ولم

يستطيعوا لشذى فضلك دَفْنا

كان السابقَ المرتاد والقائدَ المحنّكَ البصير ، له فى كل موقع أثر وفى كل مكان خير . تلمس ذلك كلّه فى مسيرة حياته العطِرة ، الزاخرَة بجليل الآثار والأعمال . فهو فى شبابه فتى نجيبٌ مرجوُ الغد وفى كهولته علمٌ رفيع القدر ، وفيما بين ذلك وفى كل ذلك مثال فريد للإنسان الكامل فضلا وعلما وثقافة وخبرة وتجارب .

كان الأولَ فى كثير من الأشياء ، فى دراسته وفى معارفه وثقافته ، وفى قيادة مسؤولياته ، وفى صُنع الرجال من التلامذة والأخلاف . شرّق وغرّب ، وجمَع بين ثقافتين متقابلتين ، قيل يوماً إنهما لا تلتقيان . ولكنهما التقتا عنده واستقرتا لديه بعد أن

عجَم عودَهما ببصيرة نافذة وفكر مستنير ، فكان محصولُه منهما غطا فريدا من المعارف والثقافات . ذلكم النمط هو صانعه وهو صاحبه ، جمع فيه بين الحسنيين : الشرقِ فى عبقريته وأصالته والغربِ فى جدّته وطرافته .

وكان ما كان . أخذ الراحل الكريم بيد وليده الجديد ، ورعَاه وربّاه ، حتى استَقر له الأمر بالجلوس على قمّة الهيئات المسؤولة عن هذه المعارف والثقافات المتقابلات نظرا ، والمجتمعات لدية إنجازا وعملاً . يتمثل ذلك فى رياسته لقسمى اللغة العربية واللغة الإنجليزية بآداب عين شمس فى وقت واحد لفترة غير قصيرة من الزمان .

وقد قادته معارفه الواسعة إلى اتخاذ منهج جديد فى التفكير والبحث ، يسوغ لنا أن ننعته بالمنهج العقلانى . ذلك هو المنهج الذى ينظر فى الأمور وحقائق العلم بالتأمل فيها والحوار معها بتقليبها على وجوهها المختلفة ، حتى يصل إلى نتائجه الموضوعية . يظهر ذلك فى حقول من المعرفة كثيرة ، منها على ضربٍ من التمثيل - رأيُه فى ترجمة القرآن الكريم . فقد كان من أوائل المنادين باستحالة ترجمة كتاب الله بألفاظه ومعانيه ، وإنما الجائز ترجمة تفسيره . ومنها كذلك موازناتُه بين الفلسفات ، حيث يقدم لنا نظريةَ الوسط فى الفضيلة بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين ، ويقرر فيما يقرر أن فلاسفة المسلمين قد تأثّروا بآراء أرسطو فى ذلك ، ولكن جملة ما أتى به القبيلان فى هذا الشأن لها أصول مقررة فى القرآن الكريم والحديث الشريف .

إن أستاذنا رحمه الله كان المعلمَ وكان القائد إلى آفاق من العلم والثقافة واسعة . وهو صانع الرجال ليكونوا خير خلف لخير سلف .

وفى إيجاز موجز نقول : كلما نظرتَ فى سيرته وقلّبتَ وجوهَها وجدْتَ جديدا يستوقفك ويدعوك إلى إعمال الفكر والنظر .

إننا بفقْدِه كمن ضل طريقَه ، وأعوزه النورُ الذى يستضىء به ويهتدى بهديه .

كنا كأنجم ليل بينها قمرٌ
يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر

فليس لنا برحيله من حيلة أو ملاذ إلا أن نقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

أيها السادة : من حق الفقيد العظيم على مجمعنا الموقَّر وعلى زملائه وأصدقائه وتلاميذه أن يتدارسوا سيرته ففيها العبرة والخبرة ، وأن يقلِّبوا أوراق تاريخه ففيها أصالة الرأى وعبقرية الفكر . وليس بمقدورنا فى هذا المقام أن نَفِىَ الرجلَ بحقه أو بشىء منه يسير . ونحن إن حاولنا ذلك ، فما يعدو ما نقوله أن يكون لمحاتٍ أو إشاراتٍ ، هى بمثابة حبّات الضوء الكاشفةِ لجنبات عالَمٍ واسع عريض ، يرشِّح نفسَه لجهود جمهرة من الدارسين والباحثين .

ولد الأستاذ الدكتو محمد مهدى علاّم فى الثالث من أكتوبر عام ألفٍ وتسعمئة ، بمدينة القاهرة ، وتربّى فى أسرة كريمة صالحة ، يشتغل سيدها بالتجارة ، يوم أن كانت التجارة خدمةً وطنية وفنًا شريفا يرتكز جوهرُه على الصدق والإخلاص فى التعامل مع الناس . ومن ثمّ شبّ الفقيد فى جوّ من النقاء والطّهر ، مسّتْ نسماتُه قلبَه واستقرت فى نفسه ، وتعمّقتْ فى كيانه طَوالَ حياته ، حتى غدا مهدى علام مثلاً أعلى فى كرم الطويّة وصفاء السريرة وامتياز التعامل مع الحياة وحسن العِشرة مع مخالطيه أينما كانوا .

تلقّى دراسته الابتدائية بمدرسة « جوهر اللّالـه » والدراسة الثانوية بمدرسة عثمان باشا ماهر . ثم تقدّم لامتحان المسابقة للقبول بدار العلوم سنة ستَّ عشرةَ وتسعمئةٍ وألف وكان أول الناجحين ، وتخرج فى عام اثنين وعشرين وتسعمئة وألف .

ثم أرسل بعدُ فى بَعْثة إلى إنجلترا ، فاستكمل دراسته العليا فى جامعات إكستر ولندن ومانشستر . وقد شملت دراسته العليا : الادبَ الإنجليزى واللغة العبرية واللغة الفارسية واللغة الألمانية وعِلمَ النفس والتربية . وحصل فى هذه الدراسات على دبلومات عالية وعلى درجة الدكتوراه .

ولما عاد متوّجا بدرجاته العلمية قام بالتدريس فى دار العلوم وفى قسم التخصص بالأزهر ، كما تولّى مسؤولية التفتيش بوزارة المعارف . وكان ذلك فى الفترة من سنة ثمان وعشرين وتسعمئة وألف إلى ست وثلاثين وتسعمئة وألف . وفى هذه الأثناء طُلب إليه

أن ينظر فى مناهج الدراسة وخططها بالمرحلة الثانوية ، حيث كان الأمر هناك يشوبه شىء من الاضطراب وعدم التوازن بين المواد كمًّا وكيفًا . فنظر الرجل وقدّر وعدّل ، وبخاصة فيما يتعلق باللغات ودروسها . وكان من جملة جهوده المشكورة فى هذا الشأن أن أخذتْ اللغةُ العربية حقّها المسلوب ، بوضعها فى مكانها المناسب اهتمامًا ومواقيتَ ، بعد أن كانت تابعةً للغة الإنجليزية فى ذلك .

وصاحبه اهتمامُه وحبُّه للغة العربية عندما اختير للعمل أستاذا للغة العربية وآدابها فى جامعة مانشستر . وفى السنوات الاثنتىْ عشرةً التى قضاها هناك ، لقيت هذه اللغةُ على يديه خيرَ عناية ورعاية ، إذ بذل جهدا خارقًا فى تطوير مناهج دراستها ، وتيسير قواعدها وأصولها ، وتقديم أدبها فى صورة تكشف عن نواحى عمق هذا الأدب وأصالته ، وأفرغ كل ذلك - بحكمة وبراعة - فى عقول نخبة من شباب الإنجليز ، الذين حفزهم الشيخ العظيم إلى طلب المزيد من المعرفة والتعمق فى هذا التراث الفذّ ومايتنظمه من أسرار وخبرة وثقافة

وعند عودته من هناك عُيّن عميداً لمفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف ، من عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف إلى عام خمسين وتسعمئة وألف . ثم انصرف الفقيد الكريم بعُد إلى مهمته الكبرى ومسئولياته الخطيرة ذاتِ الأثر البالغ فى الحياة العلمية الجامعية فى مصرَ والعالم العربى على إطلاقه . بدأ مشواره المبارك فى هذا الحقل بالإسهام فى إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ . ولم يفُتْه - وهو المحب للغة العربية وراعيها - أن ينشىء قسمًا مستقلا لهذه اللغة وآدابها . وقد تُوِّج عملُه فى ذلك بتولّيه رياسة هذا القسم ، ثم انضمتْ إليه رياسة قسم اللغة الإنجليزية بعد رحيل رئيسه الإنجليزى ، فأصبح ذا الرياستين لثقافتين متقابلتين لا يقدر على الجمع بينهما والنهوض بأعبائهما إلّا عباقرةُ الرجال . وجاءت رياسةُ الرياسات المتمثلةُ فى تعيينه عميدا للكلية سنة أربع وخمسين وتسعمئة وألف لمدة سبع سنوات .

وفى هذا الحقل الخصب استطاع الرجل بحُنكته واتساع معارفه وخبراته - أن ينُبتَ

زروعه ويرعى أعوادها حتى تؤتى ثمارها ، كما قدّرتْها آماله المرجّوة . عقد صداقةً قويّة بين القسمين والدارسين فيهما وَوَفّق بين العمل فى الميدانين فكانت البحوث مشتركةً فى موادّ الدراسات العليا ورسائل الماجستير والدكتوراه ، فشكّل بذلك مدرسةً فكرية جديدة تأخذ من مواد القسمين كليهما بنصيب . اجتذبت هذه المدرسة الجديدة - بعمق مبادئها وغزارة مواردها وجدّة منهجها - جمعا حاشدا من نبهاء التلاميذ وشباب الباحثين صنعتهم هذه المدرسة أو صنعهم صاحبها ، وصاروا من بعدُ أعلاما يقودون المسيرة « المهدية » فى الجامعات والهيئات المصرية والعربية على سواء .

استمر على هذا المنوال والإشراف عليه سنواتٍ طوالا ، حتى أوجد صلةً وثيقة بين الأدبين العربى ، والإنجليزى ، فأزال جفوةً بينهما مزعومة ، وضيّق من شُقّة الخُلف بين رجال الحقلين . وأكّد هذا المنهج باشتراكه بنفسه فى التدريس فى القسمين معًا ، متّبعا فى ذلك طريقا لم يُسبق إليه . ويبدو أن همّه الأكبرَ كان منصرفًا إلى إعداد الرجال ، كما هى عادة الروّاد الكبار ، لقد كان منهجه فى التدريس أن يُشرك طلابه فى الأخذ بنصيب فى إعداد المادة وتدريسها ، حتى يمرنوا على الاستقلال وتحمّل المسؤولية فى النظر والبحث ، استعداداً لمستقبلٍ ينتظرهم فى مواقعهم المأمولة . ولم يقتصر هذا المنهج « المهدى » على آداب عين شمس ، بل امتدّ أثرُه إلى آفاق جامعية أخرى ، عند توليه رياسة قسم اللغة الإنجليزية بمدرسة الألسن عند إعادة افتتاحها من عام واحد وخمسين إلى عام ثلاثة وستين وتسعمئة وألف ، وعند قيامه بالتدريس بالدراسات العليا لشعبة اللغة الإنجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر (١٩٦٢ - ١٩٨٣)

فإذا ما درجنا إلى إنتاجه وآثاره العلمية الأكاديمية ، حار المرء فى عدّها وتسجيلها والإفصاح عن مواضيعها . ويكفى أن نشير هنا إلى أهم آثاره الأكاديمية غير المجمعية (فتلك قد تكفّل بها أستاذنا الدكتور شوقى ضيف) . من بينها :

محمود حسن إسماعيل - شاعر الريف .

فلسفة العقوبة .

فلسفة الكذب .

فلسفة المتنبى .

العفو فى القرآن (نظرية جديدة بالعربية والإنجليزية) .

نظرية فى نشأة فن المقصورة في الأدب العربى .

تربية الشباب فى الإسلام (بالعربية والانجليزية) .

الصدقة فى الإسلام (نظرية جديدة فى غير الزكاة ، بالعربية والإنجليزية) .

نظرية الوسط فى الفضيلة بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين .

جوزيف لندن سميث - الرجل والفنان (بالعربية والإنجليزية)

الروح الثورية لبرناردشو (بالإنجليزية) .

ولنعد إلى عمل أواثنين من هذه الأعمال، لإبراز مناحى التفكير عندالفقيد وعبقريته فى البحث والتأصيل والتوثيق والابتكار ، وإنما كان ذلك منا لاعلى سبيل الاختيار ، بل قصدنا به إلى التمثيل لما يتمتع بة الراحل الكريم من شخصية نادرة المثال وثقافة واسعة تضرب بعيدا ، شرقا وغربا .

ففى بحثه (محمود حسن إسماعيل - شاعر الريف) ، " قدم من خلاله شاعرا واعدا من شعراء الطبيعة فى مصر ، أو فلنقُل من شعراء الرومانسية الذين رادوا بقصائدهم فى وصف طبيعة الريف المصرى ، طريقَ الشعر إلى التعبير الرومانسى فى صورته الصحيحة " . وقد وُفّق الرجل إلى بيان أن هذا الاتجاه عند الشاعر يدل على وعى فطرى بطبيعة الفن الرومانسىّ ، وأنه تعبير عن مكنون نفسه ، وليس منقولا عن الرومانسية الغربية أو متأثرا بها ، بدليل أن الشاعر لم يطلع على نتاج الشعراء الغربيين الذين كان هذا النغم الرومانسى يسيل فى قصائدهم سيلا . ولا حظ فقيدنا كيف كان الشاعر ينتزع لفنه ومعانيه وموضوعاته انتزاعا من بيئته الريفية ، الأمر الذى جعل منه بحق (شاعر الريف) كما سماه الدكتور مهدى علام .

وإذا كان هذا الذى قلنا ينتمى إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية ، فإننا نجد ما يعدله فكرا ورؤية صادقة فى حقل الدراسات الإسلامية . ففى بحثه (العفو فى القرآن) ، « نلمس نموذجا فذاً لهذا النوع من البحث الموضوعى القائم على جمع العناصر المتفرقة من الموضوع الواحد فى بناء متكامل ، يؤلف نظرية محددة ، تستوعب جزئيات هذا الموضوع فى صيغة تتصالح فيها عناصرهُ وتتواصل » .

وقد سار الباحث الكريم فى موضوعه هذا على منهج الإحصاء فى رصد الظواهر والأفكار المتفرقة ، الأمر الذى يدل على وعيٍ بأهمية الإحصاء فى تفسير القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا ، وتنظيريا بصفة خاصة . وقد انتهى إلى أن « العفو ليس أصلا فى المعاملة بين الناس ، لأنه قَدْر زائد على العدالة و أنه ظلم يوقعه المرء على نفسه بالتجاوز عن حقه . ومن أجل ذلك ، لم يفرضْه الله تعالى ، بل رغّب فيه وندب إليه بوسائلَ شتى ، وجمع بينه وبين مشروعية العقوبة فى كثير من الأيات . يريد بذلك إلقاءَ الطمأنينة فى قلوب العباد على أن مصالحهم مرعية وأن عفوهم إذ ذاك سماحة خالصة لاطاعةٌ مزيفة .

ومن أهم مالاحظه الأستاذ العظيم من عناصر نظريته هذه فى العفو ، أن الدعوة إلى إيثار العفو على العقوبة لاتقتصر على معاملة المسلمين بعضهم مع بعض ، بل تمتد إلى معاملاتهم مع غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى ، و هى ميزة للإسلام فى تعاليمه وفى تاريخه » .

أيها السادة : إن الكلام فى هذا المجال يطول ويأخذ منا أياما وليالىَ فى البحث والدرس والتحليل ، و بخاصة إذا ما انتقلنا الى آثارة العلمية الأخرى ذات السمة الثقافية العامة و الخاصة . فله من المقالات والبحوث المنشورة فى المجلات و الدوريات ما يربو على المئة ، وله مئات من الأحاديث واللقاءات الاذاعية بالعربية و الإنجليزية ، بالإضافة إلى شعره وإلى ترجماته الشعرية من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس .

ولم تقف جهودُ الرجلِ العلميةُ والثقافيةُ عند هذا الحد . فقد كان الفقيد علمًا يُقتدى

بـه ، ترفرف نسماتهُ على الأجواء العربية والعالمية فى صورة مؤتمرات ولقاءات علمية ، بالإضافة إلى عضويته فى جمع غفير من الهيئات العلمية والثقافية فى مصر وخارجها .

وعصِيٌّ علينا حصْر جوانب تلك الجهود فى وقتنا هذا القصير ، وهذه أمثلة منها للكشف عن موقع الرجل فى دنيا العلم والثقافة والخبرة والمعرفة فى أرجاء المعمورة على اتساعها .

فقد كان رحمه الله :

رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

عضوا بالمجلس الأعلى لدار الكتب لأكثر من عشرين عاماً .

عضوا مؤسسا لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

عضوا مؤسسا للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضوَ المجلس القومى المتخصص للثقافة والآداب والإعلام .

عضوا بالمجمع العلمى المصرى .

كما كان رئيسا لوفود مصرَ فى عدة مؤتمراتٍ ولقاءات علمية وسياسية . من بينها : المؤتمرات التى عُقِدتْ لحركة التضامن الإفريقى الأسيوى وحركة عدم الانحياز فى مختلف أنحاء العالم ، ورئيسا لوفد مصر فى مؤتمر حقوق التأليف المنعقد فى تونس سنة ١٩٧٦م ، ومؤتمر الأدباء العرب فى الكويت والعراق ، والندوة الإسلامية العالمية التى عقدت فى «لاهور» سنة ١٩٥٨ ، حيث كان المتحدِّثَ الرسميَّ باسم مصر .

وفى سنة ١٩٤٥ مثَّل الحكومة السعودية ، منتدبا من الحكومة المصرية ، فى أول اجتماع للأمم المتحدة فى لندن لتأليف هيئة اليونسكو .

سيداتى سادتى : ما سجلناه هنا أشبهُ بحُسوة طائر من بحر عميق ، تلمس جوانبَ مضيئةً من حياة حافلة بجليل الأعمال وعظيم المسؤوليات . بدأ رحلتها شابًا وطنيًا، شجاعا فى الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، حيث كان ممثلا لطلبة دار العلوم فى لجنة المدارس العليا

إبان ثورة ١٩ ، واشترك فى تحرير المنشورات السِّرِّيَّة وتوزيعها ، وواصل السيرَ فى رحلته من بعدُ مدرسةً فكرية متنقلة تُلقى بضوئها وشعاعها النافذ على كل أرجاء الوطن العربِّى شرقه وغربه .

أما موقعه فى مجمعنا الموقَّر وفى المجامع العربية فى عمومها ، فذلك أمر له شأن آخر ، رواه لنا شيخ من زملائه الكرام ، هو أستاذنا الدكتور شوقى ضيف .

ولم يكن بدعًا ولا مجاملةً أن تفى الدولة بشىء من حقه فى التكريم والتقدير . فقد حاز وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة سنة ١٩٥٦ ، ونال الجائزة التقديرية فى الآداب سنة ١٩٧٦ ، كما حاز وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٧٧ ، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٩٣ .

أما بعد ، فقد مضى شيخُنا ورحل عَلَمُنا ، ولكن بقيتْ سيرته وآثاره خالدةً على مرّ الزمان . لقد كان « مهدى علام » العالمَ الكبيرَ القلب ، الطاهرَ النفس ، والمثلَ الأعلى للرجال الصادقين المخلصين لمسؤولياتهم ووطنهم ، والناصحَ الأمينَ لتلامذته وأخلاقه .

وإنى باسم المجمع الموقَّر وباسمى ، أقدِّم خالص العزاء إلى أسرة الفقيد الراحل ولزملائه وأصدقائه ، وإلى كلٍّ من يعرف للعلماء أقدارَهم ، وجميع من يرون لصاحب الخُلُق الرفيع وزنًا لا يعلوه ميزان ، ومكانًا ما فوقه من مكان . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كمال بشر

عضو المجمع

★ ★ ★

النجم الذى هوى

فى وداع الفقيد

مرثية للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

إلى روح الأستاذ الكبير والمجمعى العريق
المغفور له الدكتور محمد مهدى علام .

هوى نجم الفصاحة والصِّحاحِ
فخلّى الأفق مُنطمِسَ النواحى

نعَوا شيخَ الشيوخ غداة يومٍ
حزينِ الفجر مكتئب الصباحِ

تحجَّرت الدموع بجفن عينى
وما يجدى بكائى أو نواحى ؟!

دعوت الشعر يسعفنى بمعنىً
يليق بصاحب الدُّرَرِ الفِصاح

* * *

أمهدى ، كنت فى الرُّوَّاد نجمًا
وقد كنت الزعيم بكل نادِ

ففى الثوار كنتَ فتى شُجاعًا
وكم أنكرتَ ذاتَك فى الجهادِ

وكنت مُعلمًا فذًا قديراً
وكم حقَّقتَ خيراً للبلادِ

رئيسَ المعهدين كفاك فخراً
*
بأن قد حُزتَ ذلك بانفرادِ

* * *

أمهدى ، كنت للإسلام ذُخراً
وقمتَ على مبادئه أمينا

وكم لك فى مسائله بحوثٌ
شرحتَ أصولَها دُنيا ودِينا

وما ألَّفت فيه من تُراثٍ
سيبقى منهلاً للدارسينا

وفضلك فيه مرموق بذكرٍ
سيعلو دائما أبد السنينا

* * *

وكان الفقيد رئيسا لقسمى اللغة العربية واللغة الإنجليزية بجامعة عين شمس فى وقت واحد .

أمهدى ، فى الفصيحة كنت بحراً
وكان عطاك فيها لا يُبارَى
محيطًا بالتراث وبالطريف
وكنت لكل مدرسةٍ منارا
وكم لك من فتاوَى حاسماتٍ
هديتَ بها تلامذةً حَيارى
وهم صاروا أساتذةً كبارا
ومن روضاتِكم جَنَوا الثمارا

أمهدى ، عشت ممتشقًا يراعا
ذببتَ به عن القِيَم الرُّعاعا
عقدتَ له مع القِرطاس حِلفًا
فقام به التزاما واضطلاعا
فكم صاغ الروائع مشرقاتٍ
فأتحفنا وأمتعنا متاعا
وفى الأدب المترجَم كم تحدَّى
فبزَّ به مؤلِّفَهُ الصُّناعا

* * *

أمهدى ، كنت فى نقدٍ عتيداً
وقالوا : كان معتسفًا شديدا
حميتَ الضَّادَ من عطبٍ ووهنٍ
دعمت لعزها الصَّرحِ الوطيدا
وفى فن القريض نظمت دُراً
وإن أقللتَ ؛ كنتَ به مُجيدا
ولولا ضيق وقتك من نضالٍ
وأشغالٍ لصرت به لَبيدا

أمهدى ، كنت طَوداً مجمعيا
غزير العلم فذاً عبقريًا
بمجمعنا أمينًا أو وكيلا
نشاطك كان جَمًّا أريحيًّا
لك الصَّولاتُ والجَولاتُ فيه
ثلاثةَ أعقُدٍ نجمًا سَنيًّا
كفى التأريخ للخمسينَ عامًا
صعِدتَ به إلى أَوْجِ الثريا

* * *

عهدتُك دائمًا ذا كِبرياءٍ
ومُـعـتـَـدًا بـنـفـسـك دون تِـيـهِ
وملتزمًا بجدٍّ وانضباطٍ
وأسـلـوبُ الخَـنـا لا تـرتـضـيـهِ
وحتى إن مزحتَ ففى وقارٍ
بمضـمـونٍ رَواحُ الـقـلـبِ فـيـه
وتعبيرٍ عفيفِ اللفظِ راقٍ
ومـعـنـىً رائـقٍ عـذبٍ نـزيـه

* * *

أيا شيخَ الدراعمة الكرام
ويـا رمـزًا عـظـيـمـا لـلـعِـظـامِ
ويا دار العلوم فتاكِ جَلّى
وحَـلَّ بـعـلـمـه أعـلـى مَـقـام
وقد حضر احتفالكِ رغم عُمرٍ
عَـدا الـتـسـعـيـنَ ، بـالـالتزام !
فبادره الرئيس إليه يسعى
وحلّـى الـصـدر مـنـهُ بـالـوسـام *

* * *

أيا مهدى ، فِراقك فَتَّ منا
قـلـوبًـا قـد تـفـانـت فـيـكَ حُـبًّـا
سَقَى غادى الغمامِ ثراكَ غيثًا
وأنـبـت فـوقـه نَـوْرًا وعُـشـبـا
ويا مهدى ، إلى جنَّاتِ خُلدٍ
كُسيتَ بها من الرِّضوان ثوبا
وفزت بها مع الأبرار دارًا
فـقـد أرضـيـتَ قـبـل الخـلـق ربًّـا

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

★ ★ ★

---

* فى العيد المئوى لكلية دار العلوم .

مرثية أخرى فى تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

للأستاذ الدكتور حسن على إبراهيم

يا عين جودى فإن المجمع انهمرت ... شهاب علامَ قد طالَتْ إنارته

عيناه دمعا وإن القلب مضطرب ... يعطى من النور ما لم تعطنا الشهب

قد مات علامٌ فالفصحى تُوبِّنُه ... وهْوَ المقيم بقلبى ليس يبرحه

والعلم يبكيه والأخلاق والأدب ... فالحب يجمعنا والشعر لا النسب

فى الشرق يُنْعَى وفى غرب البلاد بُكًا ... كان الحَفِيُّ بَشِخْصِى بين مجمعكم

ولا غرابة إنّا كلنا عرب ... فما شَعَرْتُ بأنى فيه مُغْتَرب

أرسى الفَخَار لنا علِماً ومعرفةً ... أضحى بعَيداً وإنْ كنّا نُلازمُهُ

كما تُشَدُّ لنا الأوتاد والطُّنُبُ ... فما تغيبُ له ذكرى وتحتجبُ

رأيته والردى لاحت نواجذه ... قد فَلْسَفَ الكذبة النكراء مُقْتَدِراً

وقد تدهور منه الساق والعصب ... قولٌ أمينٌ فلا مينٌ ولا كذب

قد جاء يُحْمَل كى يوفى بواجبه ... ونصف قَرْنٍ من اهل المجمع انتظموا

والبهر يرهقه والسِّنُّ والوَصَبُ ... فى سفره الخلد مهما مَرَّت الحقب

كان الشهابَ لأهل الضاد كُلِّهِمُ

والشهب تلمع حينا ثم تحتجب

قد حلل المتنبى جدٌّ مقتدر   لاقى الإله سليما قلبُه : فلقد

والعلم رائده فانتحلت الأرَب   أدى لمصر وللأعراب ما يجب

قد خَطَّ خمسين عاما من تجاربه   عليه رحمةُ ربّي سوف تكلؤه

فيها الطرافة والتاريخ يَنْسرِب   فيها المثوبة والفِرْدَوس والحَدَب

قد جاءه هادم اللذات يطلبه   **حسن على إبراهيم**

والكُلُّ ذائقُه للموت مرتقب   عضو المجمع

★ ★ ★

كلمة الأسرة
للأستاذة الدكتورة ثريا محمد مهدى علام
كريمة الفقيد

سيدى الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور ،

سادتى أعضاء المجمع الموقر ، سيداتى ، سادتى : يَنْتَابُنى خليطٌ من المشاعر وأنا ماثل أمامكُم اليوم ، فى المكان الذى أمضى فيه والدى المرحوم الدكتور مهدى علام ، اثنين وثلاثين عاما من عمره ، ما بين عُضْوٍ وأمِينٍ عام ونائبٍ لرئيس المجمع ، وأنا لا أقصد بالمكانِ ، هذا المبنى فقط ، فمجمع اللغة العربية أينما وُجِدَ مصْدرُ إشعاعٍ للغة القرآن الكريم . والمشاعرُ التى أشعر بها مشاعرُ الأسى والحزن العميق على فراق والدنا الحبيب مَمْزُوجة بمشاعر الفخر والاعتزاز لانتمائنا لأبٍ عملاق فى العلم والأخلاق ، وإنى أكادُ أشعر برُوحهِ تُرفرِف علينا اليوم .

كان المرحوم مهدى علام شخصيةً متُفرِّدةً فى علمِه وأخلاقِهِ . وكان الإخلاص من أهم صفاته ، الإخلاص فى أداء أىِّ عملٍ يقومُ به ، والإخلاصُ للوطن ، والإخلاصُ لأصدقائه ، والإخلاصُ لأساتذته وتلاميذه . وكان أبًا مثاليًا وزوجا مثاليا ، فكان يعاملُنا منذ صغرنا بحنانٍ واحترام ، ويناقشنا فى كل أمُورِنا ، كان والدا ومعُلما ، ومُربيًا ، وصديقا كان مَثَلَنا الأعلى ، غَرَس فينا منذ الصغر القيِمَ الدينية ، والحب للوطن .

أما علاقتُهُ بشريكة حياتهِ ورفيقَةِ عمرِهِ ، فكانت علاقةً نادرةً وساميةً ، ليس لها نظير . فلم أرَ حبًا واحترامًا وتقديرا ووفاءً متبادلاً بين زوجين مثلما كان بينهُما ، وقد أثّر رحيلُ والدَتِنا الحبيبة عليه تأثيرا قويا ، ولكنه استمرّ فى أداء أعماله بإيمان وصبر ، محاولا إخفاءَ حُزنِه حتى لا يزيد من أحزاننا .

ورغم أنّ والدَنَا المرحوم مهدى علام كان يلْتزم بالأخلاقِ السامية ، فإنه كان يلتمس الأعذار للذين يُخْطئون ، فكان متفهما لظروف الآخرين ، وكان إلى جانب عِلْمِه الغزيرِ وثقافتِهِ الواسعة ، ذا شخصيةٍ جذابة لا تفارقه روحُ الفكاهةِ التى تَسُرُّ ولا تُجَرِّح وتَنْقُد ولكن لا تَسْخر . فقد كان حريصًا على مشاعرِ الآخرين

وقد كان لمعرفته الواسعة للغة الإنجليزية وآدابها أثرهُ فى أن يقدم للغة العربية وآدابها خدماتٍ عظيمةً ، أكاديميةً وأدبيةً : فقد كان رئيسا لقِسْمَىْ اللغة الإنجليزية والعربية فى كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وترجم إلى اللغة الإنجليزية كثيراً من روائع الأدب العربى والفكر الإسلامى كما نقل إلى اللغة العربية كثيرا من روائع الأدب الإنجليزى . وجهودُه فى الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغتين العربية والإنجليزية معروفة للمتخصصين ، وقد قام فى عام ١٩٥٧ بالترجمة الفورية من العربية إلى الإنجليزية ، ومن الإنجليزية إلى العربية للأبحاث التى قُدِّمَت فى المؤتمر الإسلامى بلاهور فى الباكستان .

وكان رَحمَهُ الله يُحبُّ تلاميذَه ، ويقول لنا إن من نعيم الله عليه ، كثرةُ تلاميذِه ، ووفاؤُهم له . وكان يبتهج كلما اتصل به واحد منهم ليحييه ويسأل عن صحتِه . ويقول : هذه نعمة من نعم الله أن يكون لى كل هؤلاء التلاميذ .

وسوف أستشهد هنا بأقوال بعض تلاميذه ومريديه عنه وهى أقوال تشهد بالحب المتبادل بين الأستاذ والتلميذ :

١ - قال عنه تلميذهُ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن « إن سلوكَه العلمى قد امتزج بسلوكِهِ الإنسانى ليصبحا شيئا واحدا . وهو باختصار سلوكُ إنسانٍ متحضرٍ ومثقَّفٍ ، يتسعُ عَقْلُهُ للتفكير المتجدد ، وقلبهُ للحب الذى لا ينْضَب ماؤُه ، ولا تجف عواطفهُ ، فلم أرهُ يوما إلا ساعيا فى الخير ، ومنشغلا بالعلم . لغتُهُ هى الأخرى صورة لهذا التحضُّر الذى يحكم سلوكَهُ العلمى والإنسانى ؛ فلم أسمعْهُ يوما ينطقُ كلمةً غير كريمةٍ ، ولم أره يوما يَغْضَبُ لغيرِ حقٍّ أو يسعى فى غير العلم والخير » .

٢ - وقال عنه صديقُهُ الأستاذ إبراهيم أحمد : « لقد لمستُ فيه خلقا كريمًا وأدبا جَمًّا وأحببتُهُ لتواضعِهِ فلا يترك زائرا حتى يودعَهُ عند باب مكتبِهِ أو بابِ منزلِهِ ، أحببتُهُ لوفائه لشريكة عمرِهِ ، أحببتُهُ لشموخِهِ واحترامِهِ لنفسِهِ » .

٣ - وقال عنه صديقُهُ الأستاذ أحمد عوض حماد . « دُمْتَ أيها السيد المهدى للأدب جميعه ، الأدب اللغوى والأدب الخلقى القرآنى ، بل دمْتَ للآداب جميعها ففيك التقت الحضارات وتآخت الفلسفات » .

٤ - وقال عنه صديقُهُ المرحوم الدكتور مجدى وهبة . « أستاذى راعٍ وشيخٌ يقود طلابَهُ دائما نحو يقين العلم ونورِ المعرفة . وكان بالثقافتين العربية والإنجليزية بمثابة قاضٍ ومحامٍ فى آن واحد . » .

٥ - قال عنه تلميذُهُ الدكتور محمود الجريدلى « إنه كان يَبْذُلُ لزكاة العلم . وإن أبُوّتَهُ السَمْحة كانت تَمنحُ بلا حدودٍ وبلا مقابل ، وإن الأبوةَ لا تَنْصبُّ قط على عطائه العلمى . بل كانت تتجلى فى تعاملاته اليومية وإلى جانب هذه الصفة تجدعفّةَ اللسان والنبلِ وتواضُعَ العلماءِ » .

٦ - وقالت عنه الدكتورة چيهان إبراهيم تلميذتُه الوفية : « إن من صفاته الكريمة علْمَ الأستاذِ ، وتواضعَ العالم ، وسعةَ صدر الأبِ ، وحكمةَ المربى ، فضلا عن عطاءٍ بدون حدودٍ وإيمانٍ يحيط بكل ذلك ، ويملأ قلبَه بالخير لكل مَنْ حوله . » .

لقد ترك رحيلُ والدنا الحبيب فراغا كبيرا ولكنه يعيشُ فى قلوبِنا ووجدانِنا كما يعيشُ فى قلوب ووجدانِ كل الذين أحبوه واحترموه . وأعمالُه من العلمِ النافع سوف تعيشُ أبَدَ الدهر تُعلِّمُ وتُثقِّف وتنيرُ طريقَ الخير والبرِّ .

أشكركُم جميعا باسم الأسرة على حُضوركم هذا الحفل : الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع والأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، والأستاذ الدكتور كمال بشر ، كما أشكر الدكتور حسن إبراهيم والدكتور محمد يوسف حسن وأدعو الله أن يتغمَّد فقيدَنا المرحوم الدكتور مهدى علام برحمتِهِ ، فقيدَ العلمِ والمجمع والجامعةِ والإنسانية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

★ ★ ★

ثريا محمد مهدى علام

كلمة المجمع

فى تأبين الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

العالم الأجل رئيس مجمع اللغة العربية وشيخ المجمعيين

العلماء الأجلاء سيداتى وسادتى :

درج مجمع اللغة العربية منذ نشأته على أن يكرم ذكرى أعضائه الذين مضوا إلى رحاب الخالدين وأن ينشر صفحاتٍ ناصعةً وضّاءة من تاريخهم المجيد وإنجازاتهم الرائدة وأن يبرز جهودهم فى بناء النهضة العلمية والأدبية واللغوية لنستوحى منها الحكمة ونستشف من خلالها العلم والمعرفة ونرى فيها على مر الزمن المثل الرفيع والقدوة الصالحة .

وإذا كان المجمع قد جرى على هذا السنن الحميد فإنه بذلك يضرب أروع الأمثال فى الوفاء فى زمن عز فيه الوفاء - وهم وإن مضوا إلى جوار ربهم فإن أعمالهم وحياتهم ستبقى شاخصة بين ظهرانينا بارزة فى أفئدتنا نستلهم منها الرأى السديد والبصيرة النافذة وستظل نبراسا مضيئا يهدينا سواء السبيل ويذكى فى نفوسنا جذوة العلم والعرفان .

ونحن اليوم نكرم ذكرى عالم كبير هو المغفور له الأستاذ الدكتور عبد الحليم بدر منتصر عضو المجمع رحل عنا وكان بالأمس القريب بيننا فى هذا المحراب عقلا راجحا وفكرا ثاقبا ولكن هذه سنة الحياة .

سيدى الرئيس ، سيداتى وسادتى :

لست فى حاجة إلى القول أن مصر فقدت برحيل هذا العالم الجليل قمة من قممنا الشامخة وواحدا من جيل العمالقة فى مجال العلم والفكر والثقافة قلَّ أن يكون له ضريب بين العلميين المعاصرين وقد أسهم فى بناء النهضة العلمية فى مصر وإرساء قواعدها ودفع حركتها خطوات فسيحة إلى الأمام على مدى أكثر من نصف قرن وستظل بحوثه ودراساته وأعماله ومقالاته التى جاوزت الأربعمئة فى

مجال العلم والثقافة واللغة شاهدا على عمق فكره وسعة أفقه كتبها بلغة يملك ناصيتها ودبجها يراعه فى مكنة واقتدار ولعله فى ذلك أيضا كان نسيج وحده بين العلميين .

وغير خاف أن الفقيد العزيز بذل الكثير من نور عينيه ليضىء لوطنه وبنيه مصابيح الحياة وأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا فى رحاب الجامعة وعنى بتنشئة أجيال منهم تزهو بهم مصر اليوم وتعلو وقد مضى يحقق هذا الهدف وما كان ليميل عنه أصبعا إلا ليميل إليه ميلا .

عرفت الفقيد العزيز منذ عام ألف وتسعمئة واثنين وعشرين أى منذ سبعين سنة حين جمعتنا مدرسة فارسكور الابتدائية وامتدت صلاتنا العلمية والأخوية فى رحاب الجامعة والجمعيات العلمية والثقافية وفى هذا المحراب حتى قبيل رحيله .

ولد الراحل الكريم فى ٢ سبتمبر عام ١٩٠٨ فى قرية الغوابيين بالقرب من فارسكور بمحافظة دمياط من عائلة لها مركز الصدارة فى هذه القرية ولها أرضها وزراعتها ونشأ فى بيت من بيوت العلم والأدب والعرفان وقضى بهذه القرية طفولته بين مروجها الخضراء وظلالها الوارفة وعطرها وأريجها - وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه فى صباه وشبابه وما أن أتم دراسته الثانوية فى مدرسة المنصورة الثانوية ومدرسة الجيزة الثانوية حتى التحق بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) ليتخرج فيها عام ١٩٣١ متخصصا فى علم النبات متتلمذا على عالم النبات الشهير أوليفر وكأن الفقيد بدراسته لهذا العلم وشغفه به قد استجاب تلقائيا لما كان قد احتشد فى خلفيته الأولى واختزنه فى وجدانه من حب لتلك البيئة النباتية التى نشأ فيها وعاش بين ظلالها ومروجها - وبعد ذلك تابع الدكتور منتصر دراسته العالية فى علم النبات ليحصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٣٣ ثم أوفد فى بعثة إلى إنجلترا وسويسرا ليستزيد من العلم فى مجال تخصصه لدى بعض العلماء البارزين فى علم النبات ومنهم العالم سالزبورى - ثم يعود ليحصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى علم النبات عام ١٩٣٥ - وكان أول من حصل على هذه الدرجة من الجامعة المصرية - عُيِّن بعدها مدرسا

بكلية العلوم بجامعة القاهرة ثم أستاذا مساعدا ثم تلقفته جامعة إبراهيم (عين شمس حاليا) أستاذا لعلم النبات بكلية العلوم بها عند إنشائها عام ١٩٥٠ ثم عميدا لهذه الكلية عام ١٩٥٤ .

وإبان حياته العلمية واصل الدكتور منتصر بحوثه فى مجال علم النبات وأنشأ مدرسة علمية رائدة فى البيئة النباتية تخرج فيها العشرات من الحاصلين تحت إشرافه على درجتى الماجستير والدكتوراه والمئات من حملة البكالوريوس فى علم النبات - وقد تناولت بحوثه دراسات حول البيئة النباتية فى مصر وبخاصة البيئة الصحراوية وعلاقة النبات بالتربة والعلاقة بين الكائنات الدقيقة والنباتات الراقية - ومن بين بحوثه المبتكرة بيئة بحيرة المنزلة ، التربة والنبات فى مريوط ، العلاقة بين عوامل التربة ونمو الجذور ، أثر الكائنات المجهرية فى التربة على نمو النبات ، تغذية النبات فى أرض غير مستصلحة ، المقاومة الأحيائية لبعض الأمراض النباتية . كما نشر مع أحد زملائه مؤلفا ضخما عن نباتات مصر ، ومن مؤلفاته أيضا : حياة النبات ، الوراثة والجنس - أصول علم النبات ، صحارى مصر . ومن ترجماته فى مجال تخصصه : تشريح النبات ، بيئة النبات .

ويعتبر الدكتور منتصر بحق رائد علم البيئة النباتية فى مصر ومن طلبته فى هذا المجال علماء بارزون وأساتذة كبار فى الجامعات المصرية والعربية طالما اختلفوا إلى مجلسه وأخذوا عنه ونهلوا من نبعه كؤوسا مترعة من العلم والمعرفة .

وهو أيضا رائد من رواد النهضة العلمية فى مصر وأحد قادة نشر الثقافة العلمية باللغة العربية . قاد دعوة موفقة لتعريب العلم وتدريس العلوم فى الجامعات باللغة العربية وظل ينشر هذه الدعوة فى دأب وإصرار على مدى أكثر من أربعين عاما وكان قد أنشأ فى مطلع الثلاثينيات جمعية أنصار اللغة العربية بكلية العلوم وقد نجحت هذه الدعوة وصاحب ذلك إنشاء مجلة (رسالة العلم) التى سرعان ما اجتذبت إليها الكثيرين المشتغلين بالعلم ينشرون فيها بحوثهم ونتائج أعمالهم العلمية باللغة العربية مع ترجمة المصطلحات العلمية وقد رأس الفقيد تحرير هذه المجلة الرائدة عدة عقود وكان يكتب مقالها الافتتاحى كل ثلاثة شهور على مدى هذه السنوات الطوال

وقد تناولت هذه المقالات موضوعات على جانب كبير من الأهمية جادت بها قريحته الوقادة . منها على سبيل المثال : ثورة العلم ، تنظيم البحث العلمى فى مصر ، العلم فى خدمة الاقتصاد القومى ، البحث العلمى ومشروعات الإصلاح ، التخطيط العلمى للوطن العربى ، الجامعات بين البحث العلمى والتعليم ، السباق الدولى فى البحث العلمى ، الموارد العلمية فى البلاد العربية ، تطور الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية ، التعبئة العلمية ، بعض اتجاهات البحث العلمى .

ويجدر بى أن أشير إلى مقتطفات من كلمة الفقيد التى صدر بها أول عدد من رسالة العلم عام ١٩٣٤ إذ قال « ثم بدأت الطلائع الأولى تتخرج فى كلية العلوم حاملة علم الجهاد فى ميادين العلم والعرفان مؤدية واجبها نحو الوطن ونحو العلم ، وكان لها أن تفكر فى إخراج صحيفة عامية تكون أداة اتصال بين الخريجين وترجمانا صادقا لبحوثهم ومختلف ميادين نشاطهم العلمى وأن تكون أداة لنشر العلوم بلغتنا القومية فإن لغة الدراسة بالكلية أجنبية ونحن نرجو مخلصين أن تتهيأ الظروف للغة العربية لتكون لغة العلم فى هذا البلد ، ولعلى إذ أردد هذه الأمنية الصادقة من أعماق قلبى إنما أضرب على قيثارة شجية تترنم بها أفئدتنا جميعا فمن ذا الذى لا تردد مشاعره هذا الذى أرتجيه والذى آمل أن يحققه الزمن فى المستقبل القريب . فاللغة العربية إنما هى أمانة فى أعناقنا وواجبنا إنماء ثروتها العلمية . تلك كانت كلمة الفقيد منذ نحو ستين عامًا تنم - كما قال عنه المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف - عن غيرة صادقة تحتشد فى صدره على العلم وعلى اللغة العربية وعلى الجامعة . صارت فيه طبيعة تشهد عليها تصانيفه وتآليفه باللغة العربية وسعيه المتواصل فى أن تكون هذه اللغة لغة العلم والتعليم فى الجامعة .

وفى سبيل نشر الثقافة العلمية باللغة العربية اضطلع الدكتور منتصر بالإشراف على عدد كبير من الكتب السنوية ومجموعات المحاضرات والدراسات التى تنشرها الجمعيات والهيئات العلمية والاتحاد العلمى المصرى والعربى بما يقدر بأكثر من ثلاثين مجلدا ضخما كما قام بنشر عدد من الكتب العلمية المبسطة والمقالات العديدة فى الصحف والمجلات لا فى مصر وحدها بل فى كثير من

البلاد العربية وقد نشرت له دراسات عديدة فى سلسلة اقرأ وتراث الإنسانية والثقافة والرسالة و العلوم والكتاب والعربى والقافلة ورسالة العلم وغيرها مما يجاوز بضع مئات وما لو عنى بجمعه لملأ مجلدات ٍ ضخمةً كتبها منذ فجر شبابه وحتى قبيل رحيله بأسلوب يتسم بالعمق والرصانة ويعكس ثقافة واسعة وقريحة وقادة .

ومن بين الكتب التى تزيد على الثلاثين كتابا التى ألفها أو ترجمها أو راجعها كتب : العلم فى حياتنا اليومية (جزآن) ، قادة العلم فى العصر الحديث (جزآن) ، تاريخ العلم عند العرب ، فجر الحياة ، العلم الإغريقى ، العلم وأصل الكائنات ، الكشف والفتح ، العلم والإنسان الحديث ، الحياة على مر العصور ، أصل الأنواع (جزآن) ، العلم المصنوع من حولنا ، الجنس البشرى يتطور .

وللفقيد دور كبير فى نشر الاهتمام بتاريخ العلوم والإسهام مع الأستاذ الكبير المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف فى إنشاء الجمعية المصرية لتاريخ العلوم وإصدار مجلة لها حوت العديد من المقالات والدراسات عن علماء العرب الأعلام والتراث العلمى العربى وقد بدأت هذه الجمعية تعاود نشاطها فى السنوات الأخيرة وتنشر المحاضرات التى تلقى بها ـ وقد ألّف الدكتور منتصر أول كتاب يعتدُّ به لتدريس تاريخ العلم بالجامعات وقد حمل على كتفيه فى تفان منقطع النظير الدعوة للاهتمام بهذا العلم وقام بتدريسه عدة سنوات من منطلق واع مستنير يرى فى دراسة تاريخ أسلافنا من العلماء العرب وأمجادهم فى العصور الذهبية للنهضة العلمية الإسلامية ما يحفز على بناء حاضر مجيد ومستقبل زاهر يعيد للأمة العربية سابق مجدها وعظمتها – وفى سبيل دعوته للتعريف بالعلماء العرب ونشر أعمالهم كتب وحاضر وأذاع العديد من الأحاديث والمقالات والمحاضرات فى المجلات والصحف المختلفة والإذاعة وقد تُرجِم عددٌ كبيرٌ من أحاديثه تلك وأذيع ضمن الإذاعات الموجهة لتعريف الأجانب بالعلماء العرب وتجلية أعمالهم كما شارك فى وضع دليل بيليوجرافى لأعمال هؤلاء العلماء .

أما نشاط الفقيد فى مجمع اللغة العربية والذى امتد سنين طويلة منذ انتخابه عضوا به عام ١٩٥٨ فتشهد عليه جهوده البارزة فى ترجمة المصطلحات العلمية وقد أشرف وشارك فى ترجمة ألوف منها إبان عضويته فى لجان العلوم الطبيعية بالمجمع من فيزيقا ورياضيات ٍ

وكيمياءَ وجيولوجيا وأحياء وطب فضلا عن عضويته فى لجنة ألفاظ الحضارة ولجنة المعجم الكبير ولجنة تيسير الكتابة ولجنة إحياء التراث العربى - كما اشترك فى ترجمة خمسة عشر ألف مصطلح علمى إبان عمله أمينا عاما للاتحاد العلمى المصرى والعربى وشارك أيضا فى وضع قاموس يضم نحو خمسة وثلاثين ألف مصطلح أصدرته هيئة التدريب الفنى للقوات المسلحة .

كما كان للفقيد إسهاماته فى أعمال مجلس المجمع ومؤتمراته . ومن إنجازاته تحقيق كتاب الشفاء لابن سينا ، ومن الكلمات والدراسات التى ألقاها بالمجمع أو نشرها بمجلته : مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العلمية لحلها ، التفكير العلمى الإسلامى ، العلم وغزو الفضاء ، حاجتنا إلى معجم علمى عربى ، تطوير الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية له وذلك بالإضافة إلى كلماته فى استقبال عدد من الأعضاء الجدد وكلماته فى تأبين من مضى إلى رحاب الخالدين .

وإذا كان الدكتور منتصر قد أبلى أحسن البلاء فى هذا المحراب وعلى الصعيد الوطنى فقد امتد نشاطه إلى الساحة العربية ، فقد اختارته الكويت فى أوائل الستينيات مديرا لجامعتها المنشأة فوضع لبنتها الأولى وأرسى قواعدها وعاد للوطن عام ١٩٦٤ . ثم أرادت المملكة العربية السعودية أن تستفيد بخبرته الجامعية الواسعة فأعير إليها مستشارا لشؤون الجامعات بها عام ١٩٧٥ ومضى بها بضع سنوات ليعود إلى المجمع ليواصل رسالته العلمية واللغوية . وإلى جامعة عين شمس ليعمل أستاذا متفرغا بكلية العلوم بها إلى أن ودع الحياة .

وعلى الساحة الدولية أيضا كان للفقيد نشاط كبير فهو عضو جمعية البيئة النباتية البريطانية وجمعية علم البيئة النباتية الأمريكية وجمعية تقدم العلوم الأمريكية وعضو الجمعية الدولية لعلم البيئة الصحراوية بالهند ومثّل مصر فى العديد من المؤتمرات العلمية - كما امتد نشاطه على الصعيد القومى فهو عضو بالمجمع العلمى المصرى ورئيس سابق وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم والجمعية النباتية المصرية كما كان نقيبا للمهن العلمية لعدة سنين ورئيسا لجمعية خريجى كليات العلوم وأمينا عاما للاتحاد العلمى المصرى والعربى وللمؤتمرات والدورات العلمية

التى ينظمها الاتحاد كما شغل منصب الأستاذية بمعهد الدراسات الإسلامية وبمعهد الدراسات العربية . وقد نال الدكتور منتصر جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٧ وكان قد سبق أن نال جائزة التفوق العلمى عن كتابه «حياة النبات» عام ١٩٣٨ .

هذه صفحات ناصعة و ضاءة من حياة فقيد المجمع المغفور لـه الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر الذى كان رحمه الله أحد علمائنا الأعلام أسهم فى بناء النهضة العلمية والثقافية فى مصر على مدى نيف ونصف قرن كما كان فارسا من فرسان اللغة العربية وحماتها طالما شهدنا بعمق فكره وأصالة علمه وطلاقة لسانه ورواء بيانه .

لقد مضيت أيها الفقيد العزيز هادئا إلى رحاب الخالدين ولا أحسبك ودعت الحياة إلا راضيا بعد أن قدمت لوطنك أجل الأعمال ونشأت أجيالا من أبنائك وأتباعك وحوارييك يترسمون خطاك ويسيرون على نهجك ويواصلون رسالتك الخالدة .

لعمرى لئن خطفتك المنايا
ووارتك تحت ظلام الحفر
فما زلت فى كل نفس تعيش
عبيرا زكا وضياء غمر

رحمك الله رحمة واسعة وأنزلك منازل الأطهار والأبرار فقد كنت فى الحياة نورا يهدى الناس سواء السبيل وستظل فى الممات ذكرى تنفع المؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دكتور محمود حافظ

عضو مجمع اللغة العربية

★ ★ ★

عاشق المِجهر

قصيدة للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

فى تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر

إلى روح العلامة المغفور له الأستاذ الدكتور عبد الحليم بدر منتصر رائد علم النبات فى الجامعات المصرية وعضو مجمع اللغة العربية .

أرض العلوم أصابها زلزالُ
فتصدّعت منها ربىً وجبالُ

من هَول نازلةٍ بفقد معلّمٍ
أستاذِ جيلٍ ، ماله أمثال

أسطورةٍ فى علمه وبحوثه
فى الضّاد حَبرٌ مفلِقٌ مِقوال

لهْفى على « بدر» أنار عقولَنا
ستظل تبكى فقدَه الأجيال

* * *

عبدَ الحليم ترحُّماً ووَداعا
قد كنتَ فى أفق العلوم شعاعا

نبكيك حُرَّ الرأى أم ذا حكمةٍ
أم فيكَ نبكى العلم والإبداعا

عبدَ الحليم رحلت نجمًا لامعًا
وحَيِيتَ تعشق مجهراً ويراعا

فى جنة الرحمن فانعم بالرضا
وتلَقَّ أجراً طيِّبًا ومتاعا

* * *

أى مجمعَ الفصحى عزاءً خالصًا
فى فقد عَلَّامِ النبات عزاءَ

فى راهب العلم الأصيل ورائد التـ
ـعريب مُوفٍ حقّه إيفاءَ

مُحْيٍ تراثَ العُرب فى حقل العلو
م ، مُحقِّقٍ جَلَّى خفاهُ جلاء

دنيا العلومِ عليه تنزف دمعها
وتنوحه أُمًّا تضِجُ بكاء

(تُكلُ الرجال من البنينَ ، وإنما
تُكلُ الممالك فقدُها العلماءَ)

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقى ضيف

نائب رئيس المجمع

فى تأبين المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات

عضو المجمع من اليمن

يعز علىّ اليوم أن نجتمع لتأبين زميل كريم من زملائنا العرب الذين نشرف دائما بعضويتهم فى مجمع القاهرة هو المغفور له الأستاذ أحمد على عقبات عضو المجمع من اليمن ، ولقد كان للزميل الراحل إسهام واضح فى مؤتمرات المجمع فلم يخل مؤتمر من هذه المؤتمرات من بحث له قيم ، أو تعليق جيد ، واليوم إذ نخصص هذه الجلسة لتعداد مآثره الكثيرة على اللغة العربية نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وجزاه خير الجزاء عما قدَّم لأمته ولغته من جليل الخدمات .

★ ★ ★

كلمة المجمع فى تأبين
المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات
للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى

كان بينى وبين السيد عقبات صلة مراسلة فقد سألنى مرّة عن صديق يمنى هو السيد محيى الدين العنسى الذى قضى فى بغداد سنوات بين ١٩٣٦ و١٩٤١ مشرفا على الطلاب اليمنيين فى بغداد .

وكان السيد العنسى من أصحابه . واستمرت هذه الصلة ثم انقطعت طوال الحرب العالمية الثانية . وعلمت بعد ذلك أنه اختير عضوا فى مجمع اللغة العربية ، وكان له فى المجمع نشاط أشاد به أستاذنا الجليل إبراهيم مدكور .

لقد شارك فى المناقشات وقدّم مباحثَ دلت على أنه من رجال المعرفة وسأعرض لها . أقول :

لم أعرف عن سيرتة العلمية غير اليسير مما سمعته فى صنعاء . ولم أره بعد صلتى القديمة به طوال سنين ، حتى إذا تحولت إلى صنعاء بعد مقامى فى الأردن فى منتصف العام فى سنة ١٩٨٧ سألت عن صاحبى القديم فقيل لى إنه مريض غادر صنعاء إلى بليدة صغيرة بعيدا عن دنيا الناس ، وما كان فى طوقى أن أصل إليه . ولما طلب منى السيد الأمين العام للمجمع أن أعد كلمة فى تأبينه فى الحفلة التى تقام اليوم ، رحت أسأل أهل المعرفة عما لديهم من أخباره وسيرتة ، فلم أفز منهم بطائل إلابذرء يسير لايفى بحاجتى فى كلمة أبسط فيها شيئا عن سيرته وأعرض لفضله وأدبه .

وقد عرفت أخيرا أن له ولدين عليا وهو الكبير ومحمدا وهو دون أخيه فى السن بقليل وعرفت رقمى الهاتف لهما فاتصلت بعلىّ وقلت له إنى مسافر الجمعة أى بعد يومين من التحدث بالهاتف إلى القاهرة لحضور مؤتمر المجمع وسيقام فيه حفل تأبين للوالد – رحمه الله – فهل لك شيء تزودنيه عن الوالد ،

فأحسن الردّ وتأملت خيرا . قال لى : سيأتيك غدا أخى محمد ومعه ورقة تفيد وتجد فيها بغيتك . وكان الغد وهو يوم الخميس الذى يسبق يوم سفرى إلى القاهرة وانتظرت محمدا ولم يأت فى الموعد وبقيت انتظر ، ثم اتصلت ثانية بعلىّ فقيل لى : إنه سافر خارج صنعاء ، وكذلك أخوه محمد ، وهما يعلمان موعد سفرى .

عجبت والله كيف يكون هذا من ولد يتنكر للمروءة فلا يأبه بكثير من أمور الجدّ ، أفلى بعد هذا أن أتلو قوله تعالى :

« إنّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » .

ولم يكن لى إلا أن أفزع إلى ما ورد من أخبار السيد عقبات فى كتاب المجمع « مع المجمعيين » الذى وجدت فيه أنه :

ولد سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢١ م فى حى بر العربى بصنعاء . ولما بلغ السابعة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائية التى هى « مدرسة الإصلاح » وأحرز فيها الشهادة الأولى . ثم التحق بالمدرسة العلمية « دار العلوم » فدرس فيها النحو والصرف والفقه والأدب والتاريخ كما درس بعض أعمال الإدارة العسكرية والشؤون المالية . وتخرج فى هذه سنة ١٣٦١ فالتحق بإمارة القصر (وزارة التموين) وشغل فى هذه الوزارة منصب الوكيل لمديرية القصر والسكرتارية .

وقد عين سنة ١٣٦٥ فى الهيئة العسكرية للتفتيش العسكرى ، وفى السنة التالية ١٣٦٦ عيّن رئيسا للشعبة الثانية من شعب الإدارات العسكرية .

وللسيد عقبات مباحث نشرها فى صحف اليمن هى : إرشاد النظام وأدب الجيش ، وزاد الجندى .

وقد قدّم فى المجمع بحوثًا هى : اللغة العربية وأثرها فى قوة الأمة وضعفها ،

وتراث اليمن العلمى ،

وحياة الناس فى أمثالهم ،

والقاضى محمد أحمد الحجرى ،

وكان يبدى رأيا فى كل ما يتصل باليمن وجغرافيته مما عرض فى (المعجم الكبير) للمجمع .

وله كتاب وسمه بـ « واجبات الجندى » .

وقد أثنى عليه وأشاد بمنزلته أستاذنا الكبير الدكتور مدكور لدى استقباله عضوا فى المجمع .

أقول : وقد أفدت من القاضى إسماعيل الأكوع فى صنعاء أنه كان مرافقا للإمام على سيف الإسلام ابن الإمام يحيى إمام اليمن الذى انتهى عهده فى الثورة اليمنية .

وقال لى ولده علىّ ، وهو يتحدث فى الهاتف حين اتصلت به : إن والده قضى ٤٢ سنة فى الخدمة المدنية والعسكرية ، وشغل منصب مدير مكتب وزير الحربية . وله صحبة بالشاعر محمد محمود الزبيرى شاعر اليمن الكبير .

وقال أيضاً : إنه شغل منصب الأمين العام للجنة النشر التابعة لرئاسة الجمهورية فى حكم الجمهورية الأولى التى أعلنها قادة الثورة

وتوفى فى ٢٠ / ١١ / ١٩٩٤ وصلى عليه فى مسجد قبة المتوكل ، ودفن فى مقبرة خزيمة فى صنعاء . وقد ترك وصيته وفيها أبيات شعرية .

رحم الله السيد أحمد عقبات وأحسن عقباه وجعل الجَنة مثواه .

إبراهيم السامرائى

عضو المجمع من العراق

★ ★ ★

شارك فى مراجعة هذا الجزء من المجلة

خالد محمد مصطفى

المحرر بالإدارة العامة للتحرير والشؤون الثقافية

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة

محاسب / أحمد محمد صالح

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٦٣٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
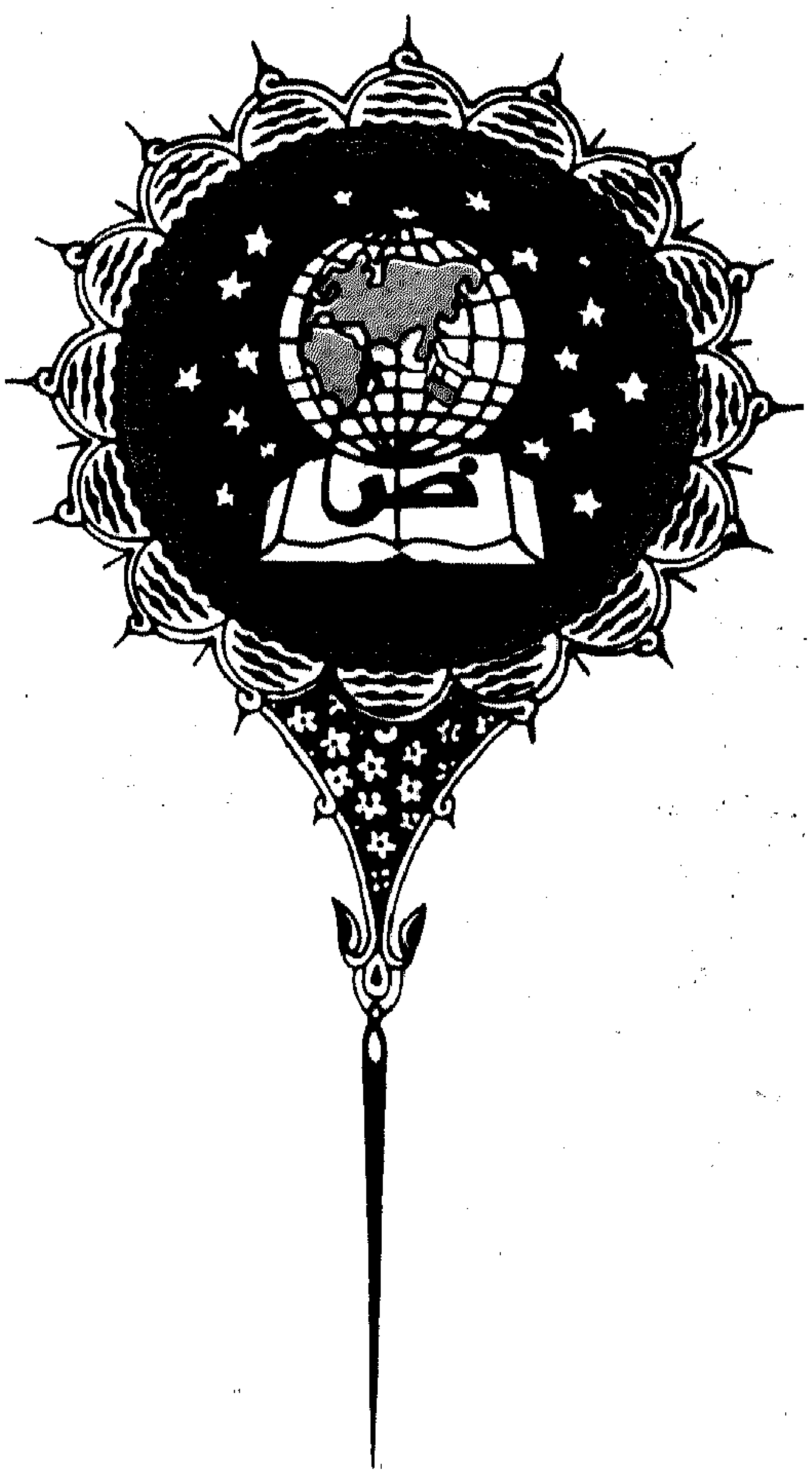
٩٩٣٧ - ١٩٩٧ - ٢٠١٤